مقدمة في

في المعتقلات الصهيونية

عبد الستار قاسم

وطلبته

عبد الرحيم العلي		فيصل المفلح

احمد زكي		أسماء خروب

قسم العلوم السياسية

جامعة النجاح الوطنية

المحتويات

مقدمة

يروي هذا الكتاب التجربة الاعتقالية بتفصيل مقتضب. انه محاولة تضع بين يدي القارئ تجربة ابن فلسطين داخل المعتقل ومعاناته في مختلف مراحل الاعتقال. لا يدخل الكتاب في التفاصيل الدقيقة لحياة المعتقل والتي قد تكون على قدر كبير من الأهمية في فهم التجربة، وانما يقتصر في تفصيلاته على تلك الأمور التي يمكن ان ندعوها الجوهرية او البارزة. لا يتحدث هذا الكتاب لا من قريب او من بعيد عن تجربة السجناء المدنيين. السجن المدني لا يهمنا هنا ولا تهمنا تجربة نزلائه. ينحصر ما نركز عليه هنا في تجربة المعتقلين الذين زجوا وراء القضبان او تم التحقيق معهم لاسباب أصبحت تعرف بأنها أمنية، أي تجربة أولئك الذين وجهت إليهم تهم بشان أعمال ضد الاحتلال والذين ثبتت ضدهم تهم.

زجّ الآلاف من أبناء فلسطين في معتقلات الاحتلال منذ عام 1967 ارتفع عدد المعتقلين بشكل كبير بحيث أصبحت حياة المعتقل ظاهرة بارزة في حياة الشعب الفلسطيني ككل، يشكل الذين زجوا في المعتقل نسبة لا باس بها من مجموع الشعب الفلسطيني، ويشكل الذين تأثروا بحياة المعتقل ومشاكله وهمومه نسبة كبيرة من مجموع الشعب، طالت ظاهرة الاعتقال كل قرية صغيرة كانت او كبيرة، وكل حارة في كل قرية، وكل زاوية في كل المدن الفلسطينية. آلاف العائلات على امتداد البلاد وعرضها، عانت من الليالي الطوال منتظرة خروج المعقلين وقاست معهم الأيام الصعاب القاسية التي عاشوها تحت القمع والقهر.

آلاف مؤلفة من العائلات وقفت، ومازالت تقف، على أبواب معتقلات الاحتلال الموزعة على مختلف أرجاء فلسطين منتظرة أبناءها لدقائق معدودة. هموم الآباء والأمهات امتزجت مع آلام المعتقل الفلسطيني الذي ثمن الحرية التي أصبحت القضبان تحول بينه وبين العمل على تحقيقها. معتقلون سقطوا على ارض المعتقل دفاعا عن كرامتهم وحقوقهم، وكثيرون نحلوا جوعا من اجل خلق جو اعتقالي فيه بعض احترام للإنسان، وآخرون خرجوا من المعتقل بعد سنين طويلة لا يملكون من الحياة سوى تجربتهم النضالية والاعتقالية.

لم يجلس المعتقل الفلسطيني طيلة سنين اعتقاله في زاوية من غرفة الاعتقال يقرض أظافره في انتظار لحظة الإفراج، بل عمل على مختلف الأصعدة التنظيمية والثقافية والنضالية

من اجل تحسين ظروف اعتقاله، ومن اجل استثمار وقته فيما يفيد المجتمع الاعتقال ككل، وكان لعمله هذا نتاج أثرى التجربة الفلسطينية وساهم في تعميق الوعي السياسي لدى الناس على مختلف مشاربهم عانت حركة المعتقلين من كبوات ومشاكل، لكنها كانت قادرة على المضي بصورة إيجابية نحو تحقيق الإبداع الإنساني.

حيث ان المعتقل يضم نخبة من الفلسطينيين الثائرين لشعبهم ووطنهم، وحيث انهم يشكلون ظاهرة بارزة في حياة الشعب الفلسطيني فانه من المهم جدا ان تنال هذه التجربة اهتمام الباحثين والكتاب ودور النشر. انه من الحيوي ان يطلع على اوجه صراعات المعتقل ضد إدارات المعتقلات وان يعي مدى التطور الذي طرأ على هذه الحياة وعلى تلك الصراعات.

رواية التجربة الاعتقالية ضرورية من الناحية الإنسانية بصورة عامة لأنها تحدث عن تجربة أناس عاشوا ظروفا خاصة من الاضطهاد والقمع، وهي أيضا ضرورية من الناحية التاريخية لان التجربة الاعتقالية جزء لا ينفصل عن تاريخ الشعب الفلسطيني في صراعه من اجل نيل حقوقه وطرد الغزاة، وهي كذلك من الناحية السياسية لأنها تمثل قمة في صراع الفلسطيني من اجل الحرية وتحقيق المصير، وهي بالتالي حقل معرفي يعطي الفلسطيني فكرة جلية حول مختلف اوجه حياة المعتقل، فالفلسطيني الذي لم يجرب الاعتقال مرشح لان يجربه، وان يكون على وعي بما سيلاقي أمامه افضل من ان يكون جاهلا.

هذا الكتاب لا يروي التجربة الاعتقالية بتفصيلاتها وانما يشكل مقدمة أولى نحو رصد هذه التجربة بطريقة علمية مفصلة، أي الكتاب هذا قد يخفق في إعطاء التجربة حقها كاملا، الا انه يبقى رسالة واضحة الى كل المهتمين بالأمر من اجل تكثيف الجهود نحو القيام بالأبحاث العلمية اللازمة حول المهتمين بالأمر من معتقلين وباحثين وغيرهم فيساهموا في تفصيل ما ورد في الكتاب وما لم يرد، ويتناولوا مختلف قضايا الاعتقال بتبحر وتدقيق.

لا يحاول المؤلفون من خلال هذا الكتاب إضفاء صيغ التبجيل والإشادة على عمل المعتقلين، بل يحاولون، بقدر الإمكان إيصال المعلومات الى القارئ بلغة عادية وقريبة من اللغة العلمية الباردة، قد يظهر أحيانا هنا هناك بعض الكلمات التي تثير حماسا، لكن القصد منها ليس إثارة الحماس بقدر التعبير الدقيق، هذا لا يعني بان المؤلفين يعتقدون ان الكلام الحماسي لا ضرورة له، وانما لا يعتقدون ان الكتاب العلمي مكانه الناسب، هذا ولا يتوقع

القارئ ان الكتاب يعدد صفات المعتقلين الحميدة ويثني عليها فقط، او انه يروي الجانب الإيجابي للتجربة الاعتقالية، وانما يروي الكتاب مختلف الجوانب الإيجابية والسلبية، الا انه عند ذكر الجوانب السلبية يعمل المؤلفون على وضع خط احمر لا يتجاوزونه، فهناك من هذه الجوانب ما قد يخرج نشره عن نطاق الإفادة فينعكس سلبا.

بمعنى آخر رأى المؤلفون ان ذكر السلبيات جزء لا يتجزأ من الأمانة العلمية لكن شريطة ان تبقى هذه الأمانة ضمن إطار الخدمة للشعب الفلسطيني وقضيته، وذكر السلبيات هنا لا يعني بأي حال من الأحوال التشهير او التجريح، وانما يعني الحث على إصلاح الوضع والبحث عن حلول لكل ما يعترض الحركة الأسيرة من عراقيل.

من اجل إنجاز الكتاب، رأى الباحثون ان المقابلة فضل أداة بحث يمكن استخدامها، يعود ذلك الى أنها تعطي الباحث والمبحوث المجال للتبحر في التفاصيل ودقائق الأمور، لم تكن الأسئلة المغلقة مجدية سواء طرحت شفاهة او من خلال استمارة مكتوبة، فمهما بلغت الإجابة على السؤال المغلق من تفاصيل تبقى محدودة ولا تعطي الصورة واضحة حول تجربة معينة او حدث محدد.

بما ان عدد الخارجين من المعتقلات كبير، فانه لم يكن بالإمكان إجراء مقابلات من الجميع ، ولهذا تم اختيار عينة، لكن العينة لم تكن مأخوذة من كل من دخلوا المعتقلات بل اقتصر أخذها من المحررين الذين خرجوا من المعتقلات بموجب اتفاق تبادل الأسرى الذي تم بصورة غير مباشرة بين الجبهة الشعبية–القيادة العامة وبين إسرائيل عام 1985، لم يكن هناك من سبب من اختيار العينة من هذه المجموعة ممن خاضوا التجربة الاعتقالية سوى حصر مجتمع تسهل معه عملية الاختيار، وهذا الحصر لا يؤثر بتاتا على نوعية المعلومات المحصول عليها لان التجربة الاعتقالية تخص عالما محصورا وذات أطر عامة محددة.

رأى الباحثون ان العينة يجب ان تكون كبيرة جدا حيث انه كان من المتوقع ان يكون المبحوثون بعضهم بعضا، لكنها يجب ان تتسع لمختلف وجهات النظر والفئات السياسية ولبعض التجارب الشخصية التي تشكل مجرد نماذج، فمن الناحية الشخصية، قد تكون تجربة كل فرد تجربة فريدة وتستحق دراسة متفردة، وحيث ان ما يهم الباحثين هنا هو التجربة الاعتقالية بصورة عامة فانه قدر ان عينة من ستين شخصا تتسع لمختلف الفئات الفلسطينية ووجهات النظر المختلفة.

لم تكن العينة عشوائية من حيث طريقة اختيارها فقد روعي فيها الأمور التالية:

1. تمثيل كل الفصائل الفلسطينية الممثلة في المعتقلات وهي: فتح، الجبهة الشعبية، الجبهة الديمقراطية، الجبهة الشعبية-القيادة العامة، حركة أبو موسى، جبهة التحرير العربية، الصاعقة، جبهة تحرير فلسطين.

2. تمثيل فئات عرفت بناء على أسس غير فصائلية وهي: الذكور، الإناث، المتدينون، المتهمون بالتعاون مع إدارة المعتقلات، روعي في فئة المتدينين مختلف التوجهات الدينية سواء كانت توجهات عامة او تصب ضمن إطار الجهاد الإسلامي او إطار الإخوان المسلمين.

3. تمثيل مختلف مناطق فلسطين وهي: الجليل، المثلث، جنين، رام الله، الخليل، القدس، بيت لحم، غزة، نابلس.

4. تمثيل قيادات مختلف الفصائل لان لهذه القيادات تجارب قد تكون اكثر شمولا من تجارب الأشخاص الذين لم يتبوؤوا مواقع قيادية.

5. تمثيل المعتقلين الأوائل أي الذين عاصروا المعتقلات منذ بداية الاحتلال، يعود السبب في ذلك الى ان هؤلاء خبروا تطور ظروف المعتقلات منذ الأشهر الأولى للاحتلال، وبالتالي لديهم قدرة اكثر من غيرهم حول تصوير أوضاع المعتقلات القاسية.

6. تمثيل مختلف المدد الاعتقالية من اجل فهم مدى تأثير طول التجربة الزمني على استيعاب الأوضاع الاعتقالية وتحليلها.

هذا ومن الجدير بالذكر انه تمت مراعاة حجم الفصيل عند تحديد عدد أفراده في العينة وذلك بالنسبة للفصائل الكبيرة: فتح، الجبهة الشعبية والجبهة الديمقراطية. اما بالنسبة للفصائل الصغيرة فقد أعطي بعضها واحد وبعضها اثنان وذلك تبعا لحجم الفصيل.

توجه الباحثون نحو المحررين بعد تحديد أسمائهم، شرح كل باحث للأشخاص الذين قابلهم خطة البحث وهدفه وحدوده، وحثهم على التعاون معه من اجل إنجاح البحث، وقد خير المبحوث في تعاونه ان يسلك إحدى طريقين: اما ان يتحدث مع الباحث الذي يكتب او يسجل ما يراه مناسبا للبحث او ان يدون هو ما يراه مناسبا ويعود الباحث بعد فترة محددة لاستلام المدون. اختار اغلب المبحوثون الطريقة الثانية، أي فضلوا كتابة ما رأوه مناسبا.

وقع خطأ هنا من قبل الباحثين ولم يتم التنبيه اليه الا بعد فترة من الزمن، فبدل ان يسعى الباحثون الى الطلب من المبحوثون التخصص في مجال معين، سعوا الى الطلب منهم الكتابة حول مختلف مواضيع البحث، اثر هذا على تركيز المعلومات، وكتب بعض المبحوثون نزرا يسيرا حول كل عنصر من عناصر البحث، بالطبع مس هذا النزر اليسير فقط الخطوط العريضة للتجربة ولم يدخل في التفاصيل مما افقد الباحثين بعد الاطلاع على مزيد من المعلومات، طلب من بعض الباحثين بعد التنبه الى هذا الخطا التخصص في عنصر واحد من عناصر البحث.

لم يتعاون جميع أفراد العينة مع الباحثين، واعتذر عدد محدود جدا منهم عن التعاون مع أول زيارة قام بها الباحثون، الا ان عددا آخر لم يلتزم بالمواقيت المحددة لتلبية طب الباحثين، منهم من وجد ان العبء ثقيل، ومنهم من وجد نفسه مشغولا بأمور الحياة كالزواج، ومن المحتمل ان بعضهم قرر عدم التعاون لاسباب احتفظوا بها لانفسهم، ومن المؤسف ان بعض أفراد العينة أخفوا عدم رغبتهم في التعاون بالمماطلة مما كلف الباحثين مجهودا إضافيا في ملاحقة وعود تبين انها مجرد إخفاء لنية أخرى.

قدم بعض المبحوثين مساعدات محدودة جدا، هناك من قدم عونا بشكل"إسقاط واجب" فكتب عددا محدودا من الصفحات التي لم تشتمل أي شيء خارج من الخطوط العريضة، لكن بعض المبحوثون اقبلوا على التعاون وكأنهم أنفسهم يقومون في البحث، منهم من أسهب في الشرح والتفصيل، ومنهم من كتب عدد من التفاصيل تجاوز المائة، لكن الباحثين لم يكتفوا بما وردهم او ما سجلوا، بل راجعوا المعلومات المتوفرة وصنفوها، ثم حددوا النقص فيها والأمور التي لم يتم الخوض بها، وقاموا بعد ذلك بإجراء مقابلات شخصية كان من شانها إكمال مالم يكن وافيا وشرح ما استجد من مواضيع.

من ناحية تمويل البحث، لا يوجد هناك جهة ممولة له، عمد الباحثون في بحثهم الى الاعتماد على مواردهم المالية الخاصة وعلى التبرعات الشخصية، ثم التوجه الى بعض الأصدقاء ومشجعي البحث العلمي الذين قدموا كل حسب استطاعته مالا ساعد على إنجاز هذا المشروع، وحيث ان المتبرعين ابدوا رغباتهم بعدم ذكر أسمائهم في لائحة الشكر فانه لا يسع الباحثين الا التقدم بالامتنان إليهم والتقدير لما قدموه من دعم معنوي او مادي.

ينقسم هذا الكتاب الى ستة أجزاء رئيسية، يركز الجزء الأول على الأيام الأولى للتجربة الاعتقالية والتي تشمل الاعتقال والتحقيق وما يتبع من معاناة وتعذيب معنوي وجسدي، يفصل هذا الجزء دقائق التحقيق ومختلف الأساليب المتبعة لانتزاع اعتراف المعتقل، ويشمل الجهود التي يقوم بها المحققون الإسرائيليون وتلك المناطة بالعملاء المتعاونين معهم، اما الجزء الثاني فيركز على تطور ظروف المعتقلات منذ عام 1967 حتى الان، يفصل هذا الجزء الأوضاع المريرة التي عانى منها المعتقلون داخل المعتقلات النضالات المتواصلة التي خاضوها من اجل تحسين الأوضاع وتوفير حد أدنى من المتطلبات الإنسانية، وهنا لا يتم التركيز على معتقل واحد وانما تؤخذ المعتقلات بصورة إجمالية.

يهتم الجزء الثالث بالحركة الثقافية داخل المعتقلات بوجهيها التعليمي الهادف الى تحصيل أكاديمي والتثقيفي، سنلاحظ في هذا الفصل عملية التركيز على النواحي الثقافية المختلفة، والتنمية التربوية التي اتبعها كل فصل في تنشئة معتقليه، ويشمل الفصل توضيحا للنضالات التي خاضها المعتقلون في سبيل خلق حياة ثقافية متطورة.

يختص الجزء الرابع بالعملاء والمتعاملون، يقصد بهؤلاء الذين طوعوا أنفسهم لأجهزة المخابرات الإسرائيلية وإدارات المعتقلات واصبحوا جواسيس ينقلون أخبار زملائهم او يورطون معتقلين جدد في حبائل الاعتراف،لعب هؤلاء دورا كبيرا في المعتقلات مما يبرر ضرورة أفراد فصل كامل حولهم يبين الكيفية التي يتورطون بها والأسباب التي تدفعهم الى ذلك، ويوضح أساليب استخدامهم داخل المعتقلات من أجهزة المخابرات والإدارات.

اما الفصل الخامس فيتعلق بالعلاقات بين الفصائل يشرح هذا الفصل العلاقات التي قامت بين الفصائل عقب الاحتلال مباشرة وتطورها عبر الزمن، وبالضرورة يوضح الفصل دور الوعي الفصائلي في خلق أسس تنظيمية جدية داخل المعتقلات، ويتطرق للعلاقات المتوترة التي كانت تسود الجو الاعتقالي أحيانا.

ينتهي هذا العمل يفصل حول الضغوط النفسية التي يتعرض لها المعتقلون داخل المعتقلات، فعلى الرغم من صلابة ارداة العديد من المعتقلين وإيمانهم المطلق بما صنعوا من اجل الوطن، الا ا ظروف المعتقل القاسية تخلق بعض ردود الفعل النفسية والأزمات التي تؤثر على البناء النفسي للمعتقل وتجعله عرضة للتوترات او الهواجس او القلق او الاكتئاب، سنحاول في هذا الفصل فهم تلك العوامل التي تؤثر على النفسية والمعاناة التي يخبرها معتقلينا داخل المعتقل.

تجدر الإشارة هنا وقبل الانتهاء من المقدمة الى ان الباحثين الا واحدا قد جربوا حياة الاعتقال بفترات مختلفة، من الباحثين من قضى عشر سنوات في المعتقل ومنهم من قضى فترة طويلة تحت التحقيق، أي ان الباحثين ليسوا بعيدين عن حياة الاعتقال، بل خبروها بدرجات متفاوتة وبمدد سمحت لهم الاطلاع عن كثب على المعالم العامة لحياة الاعتقال، فالباحث هنا لا ينقل تجربة غيره فحسب وانما يندمج في البحث بصورة لا تفصل بين تجربته الخاصة والمعلومات قيد الموضوع.

ظروف الاعتقال الأولى

تبدأ رحلة الفلسطيني مع حياة الاعتقال مع اللحظة الأولى التي يقبض عليه فيها، فقد يمضي أياما قليلة ويعود الى أهله وذويه، وقد تطول إقامته في المعتقل، بقاؤه في الأسر رهن بإثبات التهمة او التهم الموجهة ضده وقد لا يكون متهما بصورة مباشرة، وانما ارتأت سلطات الاحتلال حجزه الى حين تحت عنوان اعتقال اداري او اعتقال بهدف التحقيق، وبما اننا نكتب عن التجربة الاعتقالية، فان الاهتمام منصب على الذين يمكثون في المعتقل فترة تجعلنا قادرين على القول انهم يخبرون حياة الاعتقال، أي التركيز يتمحور حول الذين يعتقلون بهدف التحقيق معهم بشان تهم محددة وواضحة.

يعيش المقبوض عليهم لاسباب "أمنية" محددة ظروفا اعتقالية مختلفة عن تلك التي يعيشونها المقبوض عليهم لاسباب "أمنية غير محددة" والذين تعتقد سلطات الاحتلال ان احتجازهم يساعد على استقرار الأوضاع الأمنية، يتعرض المعتقلون من التصنيف الأول لظروف اعتقال أولى تتميز بتحقيق مكثف معهم من قبل جهاز المخابرات، يستمر هذا التحقيق فترة قد تطول او تقصر تبعا لعدم إثبات التهم او إثباتها، فكلما فشل رجل المخابرات في الوصول الى نتيجة إيجابية كلما طالت فترة التحقيق، اما إذا استطاع ان يحصل على اعتراف سريع من المعتقل بشان ما قام به من أعمال موصوفة بأنها ضد الأمن فان فترة التحقيق سرعان ما تنتهي وينتقل الى مرحلة انتظار صدور الحكم ضده من قبل محكمة عسكرية.

تمثل فترة التحقيق ظروف الاعتقال الأولى، انها فترة مميزة وخاصة، ويعيش المعتقل بأنها تحت أوضاع قاسية جدا تستهدف معنوياته وقدراته على الصبر والتحمل والكتمان، يواجه أرادته وقناعاته، انه معزول عن العالم، لا يتصل بأحد ولا أحد يتصل به مع بداية اعتقاله، وعليه ان يواجه التنكيل دون ان يسمح له تأفف، انه هو في مواجهة جهاز المخابرات التي تستعمل كافة أسلحتها من اجل إلحاق هزيمة بسلاحه الوحيد وتركيعه.

نحاول في هذا الفصل تفصيل مختلف الأمور التي يصادفها المعتقل، وشرح الأساليب التي تتبعها المخابرات في سبيل الوصول الى هدفها، تبدا المخابرات أعمالها باعتقال الشخص المعني ومن ثم يتتابع المسلسل.

انها تشبحه، تحقق معه، تزنزنه، تضربه، وتستخدم كل الوسائل في سبيل ابتزاز اعتراف او رضوخ او تعامل معها، ربما لا نستطيع استنفاد كل الوسائل التي بجعبة المخابرات، او نحيط بكل ما يمكن ان تبتدع من وسائل تعذيب وعقاب، لكننا نحاول بقدر الامكان شرح تلك الوسائل البارزة والتي تشكل قاسما مشتركا في استخدامها ضد المعتقلين، وتبقى الحقيقة قائمة بان أجهزة المخابرات تتفنن بأساليب القهر والتنكيل تبعا لعدم قدرتها على التمسك بأي قيم أخلاقية.

الاعتقال

تتعدد أشكال الاعتقال تبعا للظروف والأسباب، فهناك اعتقال أثناء معركة تنشب بين الفدائيين والجنود الإسرائيليين واعتقال آخر من قبل دورية عسكرية إسرائيلية تقوم بأعمالها الاعتيادية، فقد تقوم الدورية باعتقال شخص في الشارع او على طريق عام او يجلس في مقهى، الخ. وقد يعتقل شخص من على أحد الجسرين، او أثناء قيامه بعملية تسلل عبر الحدود، وقد يكون الاعتقال عشوائيا خاصة بعد حدوث عملية عسكرية في مدينة او انفجار عبوة ناسفة، وربما يكون في حالات خاصة من على سفن في عرض البحر او عن طريق اختطاف طائرات او بواسطة التسليم الدولي، وقد يكون عن طريق الاستدعاء الاعتيادي.

على الرغم من عدم وجود إحصائيات دقيقة حول أنماط الاعتقال المختلفة، الا ان نمط الاعتقال البيتي يبقى، من خلال الملاحظة، النمط السائد والأكثر شيوعا، وحيث اننا لا نستطيع شرح أسلوب الاعتقال لكل نمط لا اغلب الأنماط تخضع حقيقة لظروف كل حالة الخاصة، فإننا نركز على النمط السائد والذي ينسحب الغرض من طريقة تنفيذه على معظم الأنماط الأخرى.

يتم الاعتقال في الحالات المدرجة على انها أمنية في اغلب الاحيان ليلا، تتم حالات اعتقال بغرض الحجز ليلا، وتتم اعتقالات لحالات أمنية أثناء النهار او بالاستدعاءات، الا ان المتوقع ان تقوم قوات الاحتلال بمداهمة بيت المعني أثناء الليل وبالتحديد بعد الساعة الحادية عشرة قبل منتصف الليل. هذا لا يعني انه لا تتم مداهمة البيوت في ساعات مبكرة من الليل، الا ان هذه الحالات تحدث رعبا اقل خاصة إذا كان المعني أهل بيته لا يأوون الى الفراش مبكرا.

تتعمد المخابرات الإسرائيلية مداهمة البيوت في ساعة متأخرة من الليل حتى تحدث نوعا من المفاجأة والصدمة لدى السكان، انها تفضل مفاجأتهم وهم يغطون في نوم عميق وقبل ان يكون النائم قد اخذ قسطا لا باس به من الراحة، فالمخابرات ترغب في ان يفيق أهل البيت من نومهم يتخبطون وغير قادرين على التفكير السليم او استيعاب ما يجري، وتتعمد المخابرات أيضا ان يفيق السكان على فوهات البنادق موجهة نحوهم مما قد يؤدي غرض إنزال الرعب والشلل الفكري لفترة وجيزة.

لا ترسل المخابرات لاعتقال الشخص سيارة عسكرية واحدة او سيارة شرطة، وانما ترسل في الغالب قوة عسكرية مكونة من عدة سيارات وعدد من الجنود يفوق العشرين في كثير من الأحيان، أحيانا تعزز هذه القوة بمجنزرات او مصفحات.

لا تتطلب حالات الاعتقال مثل هذه القوة ولكنها تخدم أغراضا غير غرض الاعتقال المباشر، لم نسمع المخابرات الإسرائيلية تعطي تفسيرا للقوة الكبيرة التي ترسلها، ولكنه بالإمكان من خلال الملاحظة ان يستنتج المرء ما تهدف اليه.

قد تكون الاحتياطات الأمنية أحد أسباب تجريد قوة عسكرية لاعتقال شخص اعزل، تضع المخابرات سواء كانت الإسرائيلية او غيرها احتمال هرب الشخص او استخدام سلاح يخفيه، فحتى تكون قادرة على مراقبة كل أركان البيت ومداخله، وعلى إحباط أي محاولة لمهاجمة المعتقلين فانها تجرد قوة كبيرة حتى لو كانت احتمالات الهرب او المهاجمة قليلة جدا، لكن القوة الكبيرة تخدم غرضا آخر بالنسبة للمخابرات الإسرائيلية يمكن استنتاجه من أقوال عملائها والمتساقطين الذين يمكن ان يشهدوا اعتقال شخص، فالعميل يسمع بعد الاعتقال مشيدا بقوة جهاز مخابرات إسرائيل وبالاحتياطات الواسعة التي تتخذها، اما المتساقطون فيرددون عبارات من شانها ان تترك لدى المستمع انطباعا ان هذا الجهاز دقيق جدا في عمله ولا ضرورة للعمل ضد دولة إسرائيل او الإساءة الى أمن جنودها ومواطنيها، أي ان القوة الكبيرة تخدم غرض بث نوع من الحيرة والذهول لدى المواطن عل في ذلك ما يردع محاولات المس بجيش الدفاع الإسرائيلي او بإسرائيل.

لكنه من المحتمل ان السبب القوي وراء تجريد القوة الكبيرة يكمن في خلق جو من الرعب والإرهاب ووضع المعتقل وذويه في حالة نفسية صعبة، تهتم المخابرات دائما بإرباك

المعتقل وتقريبه من حافة الانهيار التي يفقد فيها نفسه ويعترف بما لديه، تبدا عملية الإرباك مع الاعتقال، يستثار المعني من نومه على فوهات البنادق وجنود يعبثون بالبيت ويفتشون ورجال مخابرات يصرخون ويأمرون، انهم يقصدون وضعه ي ما يشبه بجبهة عسكرية غير متكافئة بتاتا.

اللحظات الاعتقالية الأولى حاسمة بالنسبة للمخابرات، في هذه اللحظة يبدأ الإنسان المعني حساباته المتشابكة والمتتالية والمتسارعة، يقفز في ذهنه سبب او أسباب الاعتقال، انه يبدأ بالتخمين حول ما إذا كانوا يعلمون او لا يعلمون، وإذا لم يكن في ذهنه سبب واضح فانه يبدأ باسترجاع شريط أعماله وأقواله عله يجد خاطرة ما يبرر هذا الاعتقال، يبدأ بالتفكير أيضا بماذا عسى هؤلاء الجنود ان يفعلوا، هل سينهالون عليه بالضرب بين لحظة وأخرى؟ هل سيسحقون جسده؟ ام هل سيوفرونه لوقت قريب؟ هل سيتحمل العذاب والزنزانات والعصي والكرابيج؟ انه يصارع الأفكار في داخله، يقول لنفسه انه سيصمد ولن يبوح بسر، سيتحمل العذاب والجوع والبرد، وإذا كانت شخصيته مهزوزة وارادته تميل الى الضعف فانه يحدث نفسه بضرورة الاعتراف ليوفر على نفسه الضرب والإهانات وسوء المعاملة وقسوتها.

انه من المهم جدا لدى المخابرات ان تهز الشخص في هذه اللحظة لان اهتزاز نفسية المعتقل يؤثر على إرادته ويشكل حلقة أولى في سلسلة من الاهتزازات، أي ان الحرب بين المعتقل والمخابرات تبدا هذه اللحظة. المخابرات تريد اعترافا سريعا وسقوطا سريعا، وعلى المعتقل ان يقرر فيما إذا كان سيفشل هذا الهدف أم لا، وربما يكون قرار المعتقل لحظة الاعتقال هو الحاسم، إذا صمم المعتقل على اتخاذ موقف مهما كانت الضغوطات والمصاعب فان احتمالات صموده فيما تبقى عالية او على الأقل أعلى من احتمالات صمود المتردد وغير الواثق من نفسه.

تغذي المخابرات أحيانا الضغط النفسي المرافق لهجمة الجنود بضرب المعتقل وتهديده وشتمه بأقذر الكلمات، من شان هذا الضرب ان يعطي مؤشرا عما يمكن ان يحصل تحت التحقيق، أي انه عبارة عن رسالة أولية يقول لسان حالها ان عدم الاعتراف سيكون وبالا، لكن بعض المعتقلين الذين يتمتعون بوعي وصلابة وارادة يستفيدون من وجبة الضرب الأولية هذه لاستيعاب الجو النفسي المرافق لعملية الإهانة الجسدية ومن ثم استيعاب الضرب دون ان تكون له تأثيرات نفسية تؤدي الى الارتباك والاعتراف.

يقيد الجنود يدي المعتقل اما بالتحديد او بقطعة مقوية من البلاستيك ويعصبون عينيه او يضعون في رأسه كيسا تخرج منه رائحة كريهة ولا تكمن الرؤيا من خلاله، يقيدون يديه كنوع من الاحتياط ضد أي ثورة قد يحاول المعتقل القيام بها كالهرب او ضرب جندي او خطف بندقية، اما غطاء الرأس او عصبة العينين فيقصد منها وضع المعتقل في حيرة حول المكان الذي يقتادونه اليه، وعلى الرغم من ان الغطاء لا يشكل خطرا لكنه يضع المعتقل في حالة نفسية متوترة تفتح مجالا أمام هواجس وتخيلات لتعكر تفكير المعتقل وتؤثر سلبيا على تركيزه.

من شان المعتقل الذي لم يخبر الاعتقال من قبل ان يشعر بقرف من الكيس ورائحته الكريهة، فالإنسان العادي لم يعتد مثل هذا الموقف الفجائي الذي قد يهزه بعض الشيء، لكن من المفروض ان ينتظر اليه على انه تجربة بسيطة يجب استيعابها بسهولة واسترخاء حتى يكون بالإمكان استيعاب مواقف وحالات اشد هجوما على نفسية المعتقل.

هذا ومن المتوقع ان يعمد الجنود الى ضرب المعتقل أثناء نقله الى المعتقل، فالجنود كما يبدو يحملون تعليمات واضحة من المخابرات ليساهموا في خلق هزات نفسية لدى المعتقل تجعله اقل قدرة على الصمود ومواجهة الاتهامات بإرادة صلبة، والجنود لا يضربون الشخص بطريقة لا تؤذيه وانما يتعمدون ضربه على مناطق حساسة ليشعر انه قد اصبح في وضع صحي سيئ، او انه على وشك ان يموت، او ان تتكسر أضلاعه وأطرافه، انهم يضربونه بطريقة تحفزه على التفكير بموازنة صحته وحياته باعترافه، انهم يريدون ان يركز على حياته ورفاهة لا على صموده وصلابة إرادته، أي ان يختار طريق الاعتراف عندما يمثل أمام رجل المخابرات لان ذلك هو الطريق الأقصر نحو توقف الضرب وإنهاء العذاب.

اما في حالات الاعتقال المقترنة بعمل مسلح واضح او اشتباك فان الضرب المبرح يأخذ مدى واسعا، ففي هذه الحالة التي لا تحتاج الى إثبات تهمة يتبنى الجنود سلوكا انتقاميا لا سلوكا من اجل خلق جو نفسي، وفي ذلك لا يراعي الجنود جراحا او دماء تنزف، المعتقل بنظرهم عبارة عن إرهابي ومخرب ولا يستحق رحمة او مراعاة للقيم الإنسانية المتعارف عليها عالميا.

ينجو من وجبات التهيئة النفسية هذه المستدعى عن طريق المختار أو الشرطة او أي مسؤول تسلطي آخر، فهذا لا يعاني أهله من زيارة الليل المزعجة وصدمتها، ولا يؤخذ بموكب من الإهانات والشتائم، لكن هذا لا يعني انه لن يعاني في المعتقل، وانما يعني فقط ان

تهمته على قدر كبير من السخف ولا تستحق المطاردة او المظاهر العسكرية، هذا ومن الملاحظ ان الذين تم استدعاؤهم غالبا ما يكونون بعيدين عن التهم الأمنية، وانما ترغب المخابرات بمضايقتهم والصافي بعض التهم ضدهم كإلصاق صورة او رفع علم او المشاركة بمظاهرة، تشك المخابرات أحيانا بان شخصا يتحدث بقضايا وطنية او يهاجم العملاء او يقف ضد المهادنين، فتعمل على كسر شوكته باستدعائه وتعذيبه وزجه في المعتقل تحت تهمة أمنية خفيفة.

الشبح

يمر المعتقل بمرحلة انتقالية قبل ان يصل الى الفترة المعروفة بفترة الشبح، تتمثل هذه المرحلة بتفتيش ملابسه وجسده واخذ ما بحوزته من ساعة او نظارات او حزام او أموال او لفافات تبغي، في هذه المرحلة يتعرف الشخص على المعتقل الذي سيكون فيه الفترة القادمة، ويقوم شرطي بفحص ما يحصل من أوراق او دفاتر ملاحظات صغيرة، ويتفحص جسده للتعرف على آثار كدمات سابقة، هذا إجراء تعتبره المخابرات ضروري حتى تكون على بينة من الكدمات والعاهات غير المسؤولة عنها.

يقيد المعتقل بعد هذا التفتيش السريع وينقل الى مركز التحقيق، نادرا ما يجري تحقيق مع الشخص حال وصوله خاصة إذا كان اعتقاله ليلا، غالبا ما يتعرض المعتقل لما هو معروف بالشبح، والشبح عبارة عن تقييد يدي المعتقل بماسورة او مربط مثبت في واجهة بحيث يبقى المعتقل وقفا لا يستطيع ان يحرك يديه ولا يستطيع ان ينام او يذهب الى الحمام او ان يجلس، انه هناك يقف وفي رأسه كيس قذر تخرج منه رائحة نتنة.

الشبح ليس محكوما بوقت محدد، فربما يشبح المعتقل بضع ساعات او بقية ساعات الليل حتى يحين وقت التحقيق، وربما يبقى مشبوحا يوما بأكمله او يومين او ثلاثة، تعتمد فترة الشبح على تقدير رجل المخابرات الذي سيحقق مع المعتقل ومزاجه ووقته، إذا قدر رجل المخابرات ان الشخص المعني عنيد ومن الصعب ان يعترف فانه يطيل فترة التحقيق فيترك المعتقل مشبوحا، وربما يفضل المحقق وكما هو الحال في كثير من الأحيان، ان يتلذذ على منظر الفلسطيني مشبوحا.

هذا ولا يترك المشبوح وشانه، فالمشبوح يتعرض للضرب والإهانات من قبل الجنود والمحققين الذين يمرون به، فكل شخص يأخذ نصيبه، فهذا يضرب المشبوح براحة يده، واخر برجله واخر بقبضته، وبالطبع لا يستطيع المشبوح ان يفلت من أي ضربة، فهو أحد الأساليب التي يتبعها رجل المخابرات للتأثير على إرادة المعتقل وتثبيط عزيمته على الصمود.

يهدف الشبح الى تحقيق ذات الغرض الذي تهدف اليه عملية الاعتقال وما يصاحبها من عملية قمع وضرب وتهديد، المحققون يتهمون المعتقل ويريدون منه اعترافا بأقصر وقت ممكن، تضع عملية الشبح المعتقل في وضع صعب متمثل بجوع شديد وقلة نوم وضيق نفسي هائل بسبب كيس الرأس، ويتفاقم هذا الوضع مع عدم السماح له باستخدام مرحاض وان عليه ان يضغط على نفسه او ان يستسلم لضغط أجهزته العضوية، تتوقع المخابرات من المعتقل ان يسال نفسه عن نوعية العذاب القادم إذا كان القمع في بداية الاعتقال بهذه القساوة، يبدا المعتقل وكما تأمل المخابرات بالاعتقاد بان ما هو آت على قدر اكبر بكثير من القسوة والألم، وإذا كان الأمر كذلك، فان المخابرات تأمل ان يصل المعتقل الى نتيجة ان لا فائدة من الكتمان والإنكار وان الاعتراف يشكل مخرجا من كل هذه الآلام.

وحقيقة فان المخابرات تحقق جزءا من هدفها إذا بدا المعتقل يحدث نفسه حول جدوى الإنكار وفوائد الاعتراف، ان ذلك يعني ان المعتقل اخذ يشكك بفائدة الإنكار ويصور لنفسه فوائد يمكن ان يجنيها من الاعتراف أي انه يبدا باقران الإنكار بالضرر والاعتراف بالفائدة، وهذا نمط من التفكير تعمل المخابرات على ترسيخه طيلة فترة التحقيق حتى يتمخض في النهاية عن اعتراف.

نمط التفكير هذا لا يمكن ان يساور فلسطينيا يعي قضيته واهداف شعبه وعلى قناعة تامة بما يعمل وكذلك لا يخطر هذا النمط على بال شخص يتمتع بإرادة قوية وشخصية ناضجة ويقدر الأهداف التي تحاول المخابرات تحقيقها، ان مثل هذا الشخص لا يركز عادة على الآلام التي تلحق به، وانما يركز على أهداف المحقق، فهو يعي ان التركيز على الآلام، على الأقل من الناحية النفسية يقود الى ضعف ربما يتسارع ليصبح سقوطا، اما التركيز على أهداف المخابرات يجعل الفكر مشغولا بكيفية مواجهة عمليات القمع والتنكيل.

فكما سنرى تتلخص عملية المواجهة بين المعتقل والمحقق في خلق نمط تفكير لدى المعتقل يقود الى الاستسلام، وتكمن قدرة المعتقل هنا في تغييب هذا النمط والتركيز على

نقيضه، ينطبق هذا الأمر على عملية الشبح، فمن رأى في الشبح ألما شديدا يجب التخلص منه، فان الاعتراف سيكون أحد وسائل الخلاص، اما من رأى فيه وسيلة نحو الاعتراف، فانه سيجد في تحمله ابتعادا عن الاعتراف.

التحقيق

لسنا معنيين في هذا الجزء يسرد المراحل التي يمر بها التحقيق يصورة متسلسلة لان التسلسل غير موجود من ناحية عملية، هناك مراحل عامة ذات معالم غير واضحة يمر بها التحقيق، الا ان عملية التحقيق تبقى خاضعة لكل حالة على حدة ولتقدير المحقق ولما يراه مناسبا، لكن من الواضح ان هناك أساليب عديدة يتبعها المحقق ويحاول من خلالها تحقيق هدفه في نزع اعتراف من المعتقل، لا يتم اتباع هذه الأساليب بنوع من التسلسل، الا ان فشل أسلوب ما يؤدي الى استخدام أسلوب آخر دون ان يكون هناك نمط ترتيبي محدد وموحد بين المحققين، ولهذا يركز هذا الجزء على أساليب التحقيق دون تسلسل عملية تحقيق.

الإيهام بالمعرفة

يحاول رجل المخابرات مع بداية التحقيق استغلال الفكرة التي حاولت المخابرات الإسرائيلية غرسها في عقول الكثيرين عبر السنين والقائلة بان جهاز المخابرات الإسرائيلية على درجة عالية من الكفاءة والدقة والتغلغل بحيث لا يخفى عليه شيء مما يجري داخل فلسطين وخارجها، يحاول المحقق ان يقول للمعتقل انه يعرف كل شيء عنه وعن عائلته وأصدقائه، وان المخابرات الإسرائيلية لا يخفى عليها شيء وان عملائها يزودونها دائما بكل شيء يجري في العالم العربي وداخل التنظيمات الفلسطينية، يعرف جهاز المخابرات كل شيء، ولا ضرورة هناك لأي محاولة إخفاء.

وفي هذا السياق ربما يقول المحقق للمعتقل انه يعرف ماذا أكل قبل يومين او ثلاثة، ويعرف مع من شرب الشاي في ساعة معينة، وربما يذكر رجل المخابرات للمعتقل أسماء أصدقائه واسماء خصومه وبعض المشاكل الشخصية التي واجهها، بالطبع هذه أمور ليس من الصعب معرفتها، فجهاز المخابرات ليس وحده القادر على معرفة هذه الأمور، بل انه بإمكان أي شخص عادي ان يوظف جاسوسا مقابل مبلغ زهيد من المال ليأتي بالأخبار الشخصية لأي فرد، لكن المعتقل الذي لا يملك خبرة ولا يتسلح بوعي حول أساليب المخابرات قد يذهل أمام هذا المدى من المعرفة بنشاطاته واعماله خاصة إذا قفزت في عقله فكرة ان المخابرات

الإسرائيلية لا تعجز عن شيء يقوم به بما في ذلك نشاطاته الوطنية السرية، فيبدأ يفكر بالاعتراف.

وربما يبدا رجل المخابرات بسرد أسماء يدعي تعاونها معه، ومن ضمنها أسماء بعض القيادات الفلسطينية التي تساهم في اتخاذ القرار الفلسطيني، وان هذه الأسماء مطلعة على كل نشاط يقوم به أي وطني في الداخل وان المخابرات تحصل على القوائم وصور الوثائق والمراسلات، أي ان المحقق يعمل على إثارة الشكوك حول القيادات، فإذا كانت القيادات عميلة، فما فائدة الإنكار؟ في النهاية يريد المحقق من المعتقل ان يقول لنفسه: "كلهم عملاء فما جدوى الإنكار؟" يبدا المخدوع بهذا الأسلوب يسرد كل نشاط له سواء كان هاما او غير هام.

بعد هذه المقدمة وربما قبلها يسال المحقق المعتقل عن سبب اعتقاله، هذا سؤال ذكي جدا يهدف الى جر المعتقل الى إعطاء أسباب لاعتقاله واليت تشكل شبه اعتراف بما قام به من نشاطات، إذا استطاع ان يعلل المعتقل اعتقاله، فمعنى ذلك ان تعليله لا يأتي من فراغ، هذا فضلا عن ان حاجة المعتقل تفتح آفاقا جديدة أمام المحقق، فربما يكون لدى المحقق أسباب اعتقال مختلفة عن الأسباب التي يذكرها المعتقل، أي ان إجابة المعتقل تشكل مساعدة كبيرة للمحقق في تحقيق هدفه.

ينتبه الواعون لأساليب المخابرات الى مثل هذا السؤال وتكون إجابتهم على الدوام بعبارة لا اعرف او لا اعلم، وربما يجيب البعض ان الاعتقال عبارة عن تسلية لان المحققين يريدون ملء فراغهم، لا يستسلم المحقق لهذه الإجابة بل يراوغ المعتقل ويحاول انتزاع سبب منه، وفي السياق يحاول المحقق الإطراء فيقول للمعتقل مثلا انه رجل واع ويحسب بدقة كل خطواته فكيف لا يعرف سبب الاعتقال، من شان هذا الإطراء من وجهة نظر المحقق، ان يثير النخوة في نفس المعتقل ومحاولة المحافظة على صورته لدى رجل المخابرات، أي ان الإطراء يهدف الى خلق شعور المعتقل بضرورة الحرص على احترامه وعلى رأي المحقق فيه كرجل متزن ويفكر بهدوء، لا ينطلي هذا الأمر على المعتقل المحنك الذي لا يهمه رأي المحقق فيه، والذي يعتقد ان مديح المحقق عبارة عن شتيمة.

الملف الكبير

يحاول المحقق ان يكرس فكرة معرفة كل شيء خاصة من المعتقل بتوجيه حديثه نحو المعتقل قائلا بان كل نشاطاته مرصودة وكل شيء مسجل وان ملفه الخاص قد كبر كثيرا وربما يحمل المحقق رزمة أوراق كبيرة موضوعة داخل ملف ويقول للمعتقل ان هذا هو ملفه الذي يحتويه كل شيء، ثم يقول: "انت فعلت كل هذا ولا تعلم لماذا اعتقلناك؟".
يحتوي الملف حسب المحقق على تهم خطيرة وكثيرة وان على المعتقل الا ينكر شيئا لان الإنكار لن يجدي، وقد يتابع المحقق حديثه قائلا ان المخابرات قد صبرت وانتظرت عل المعتقل يعيد التفكير بنشاطاته ويتوقف ولكنها بعد ان يئست قررت اعتقاله.

قد يكون بحوزة المخابرات بعض التقارير عن نشاطات المعتقل، لكن الملف يريه المحقق للمعتقل ليس الا مجموعة أوراق ربما تكون في طريقها الى سلة المهملات، إذا كان لدى المحقق بعض المستندات او التقارير فانه بالتأكيد لن يطلع المعتقل عليها لأنها من المفروض ان تكون سرية، فقط يحاول رجل المخابرات إيهام المعتقل بأنه لا مفر أمامه وان الاعتراف يشكل المخرج الوحيد، وهذا أمر قد ينطلي على بعض المعتقلين الذين لم يجربوا حياة المعتقلات ولم يتعرضوا للتحقيق من قبل، فمع الهالة الكبيرة الموضوعة فيها المخابرات الإسرائيلية يشعر المعتقل الجديد ان كل ما سمعه عن هذا الجهاز من قبل اصبح واقعا عمليا أمامه، فكيف به يواجه جبروت هذا الجهاز؟ تسول له نفسه ان عليه الا يحاول وعليه ان يعترف.

اما بالنسبة للمعتقل المجرب والمطلع على أساليب المخابرات تعتبر قصة الملف الكبير قصة مخيفة ويجب عدم الاستماع اليها، بل ان هذا المعتقل يبادر رجل المخابرات بالتحدي ويطالبه بان الإثباتات سرية وانه لن يطلعه عليها، إذن أين الإثبات؟ حقيقة لا توجد هناك إثباتات وانما يريد المحقق من المعتقل ان يعطي الإثبات بنفسه، أي ان يعترف.

وجبة ضرب خفيفة

ربما يقرر المحقق تأجيل مواجهة المعتقل بالتهمة التي اعتقل بشأنها، حجته في ذلك تكمن في وضع المعتقل بحالة نفسية اكثر صعوبة مما يجعل اعترافه اسهل وايسر، بحوزة المحقق عدة رسائل من شانها تأزم المعتقل، من ضمن هذه الوسائل وجبة ضرب ساخنة ستتبع

إذا لم يتم الإدلاء بما لدى المعتقل من معلومات، يقرر المحقق مثل هذا الإجراء ليؤكد للمعتقل صحة ما كان يسمع به خارج المعتقل حول تعذيب المخابرات للمعتقلين، فمن المعروف ان الناس تتحدث عن أساليب التعذيب وقسوتها شراسة المعذبين، وجبة الضرب الأولى من شانها حسب ما يراه المحقق، ان تحيي شريط الأحاديث في ذهن المعتقل مما يجعله يفكر بتفادي وجبات الضرب القادمة عن طريق التساقط والاعتراف.

يستغل المعتقل الواعي والمفكر هذه الوجبة ليكون اكثر صلابة في مواجهة ما يأتي من عذاب، من المتوقع ان يفكر المعتقل بالضرب ومن المتوقع ان يتوجس خيفة منه، او ان تتكون حالة نفسية لديه مترددة في قبول العذاب، يغذي هذا الوضع كل ما سمعه عن أساليب المخابرات، الا ان الخوف ينهار مع أول كف او لكمة توجه ضده، يحاول المعتقل الواعي ان يستوعب الضرب والعذاب ليحوله الى صمود وثبات، فكل ضربة تكسبه خبرة جديدة في الصمود وتضيف الى ثقته بنفسه، الضرب بالنسبة له يؤدي غرضين: غرض إزالة الخوف وغرض ترسيخ الصمود، مع كل ضربة يشعر المعتقل بنوع من الشموخ لان إرادته اصلب من كل عصي المخابرات.

الزنزانة

من المحتمل ان يستضيف المحقق المعتقل في الزنزانة أولا، قد لا يشاء ان يقابله في بادئ الأمر ويفضل وضعه في الزنزانة حتى يأخذ المعتقل فكرة واضحة عن مكان سكناه الجديد، وربما يدخله اليها بعد التحدث معه، كل ذلك تابع لمزاج المحقق وتقديره للحالة التي يتعامل معها.

الزنزانة عبارة عن مكان قذر ومظلم وتنبعث منه رائحة كريهة، يتميز جوها بالرطوبة والبرد الشديد شتاء والحر الشديد صيفا، جدرانها صماء وقد تحتوي على نافذة صغيرة جدا تسمح بنور ضعيف وقد تكون مغلقة أمام النور تماما.

لا تحتوي الزنزانة غالبا على أي نوع من المرافق، لا ماء فيها ولا مرحاض ولا غطاء يقي من البرد، عدد قليل جدا من الزنزانات في مختلف المعتقلات ومراكز التحقيق يحتوي على صنبور ماء او بطانية، وإذا شاءت المخابرات احترام شخص لمكانته او تأثيره او اهتمام جهات سياسية فيه فإنها قد تعطيه زوجا من البطانيات.

والزنزانة مكان قذر جدا لا يصلح بتاتا لأي نوع من العـيش، انهـا مكـان المنـام والمرحاض في آن واحد، ولا يتم تنظيفها الا على فترات طويلة، قد يأمر المحقـق المعتقـل بتنظيف الزنزانة، وبالطبع لا يعطيه أي نوع من الأدوات او المنظفات، فقـط ينظفهـا بيديـه وتصبح نظيفة بالقدر الذي تسمح به يداه، أحيانا يتعمد المحقق إغلاق فوهة المرحـاض فـي الزنزانات لتنتشر القاذورات بصورة مائية على ارض الزنزانة، ثم يطلب من المعتقل التنظيف بيديه.

يتعمد المحققون في كثير من الأحيان سكب الماء في الزنزانات بهدف حرمان المعتقل من الجلوس او التمدد على أرضيتها، وبهدف تحويل وقوفه الى جحيم لا يطاق، وهـذا أمـر شديد القسوة في الشتاء عندما يكون الماء باردا والمعتقل لا يجد شيئا يستدفئ به.

اما بالنسبة لباب الزنزانة فانه من الحديد المصفح الذي لا يمكن العبث به، وهو مقوى بنوع كبير وقوي من الاقفال والسحابات، هذا ولا تفتح الزنزانة مباشرة الى ردهة، وانما لا بد من المرور بباب ثان وربما ثالث قبل الخروج نهائيا من الزنزانة نحو غرفة التحقيق، والباب مزود بطاقة صغيرة جدا تكفي لإدخال قطعة خبز او خيارة او سمكة، انها لا تعطـي ضـوءا لأنها تفتح عادة على مكان مظلم.

يزج المحقق المعتقل في الزنزانة لوضع مزيد من الضـغط عليـه مـن النـاحيتين النفسـية والجسدية، الزنزانة بوضعها الحالي تشكل عبئا ثقيلا لا يقدر على مواجته الا الواثق من نفسه والمقتنع بقضيته وصاحب الإرادة الصلبة، وحتى يزيد المحقق من الضغوط يتخذ عـددا مـن الإجراءات لمضاعفة الأزمة النفسية التي يرغب في تحقيقها، تتعدد هذه الإجراءات التي تذكر منها ما يلي:-

<u>الإبقاء على المعتقل مدة طويلة في الزنزانة:</u> يتعمد المحقق ترك المعتقل فـي الزنزانـة دون استدعائه للتحقيق مدة قد تصل ثلاثة أيام او أربعة او اكثر، يجد المعتقل نفسـه تحـت هـذه الظروف معزولا تماما، انه بمفرده في هذه الزنزانة المقيتة ذات الجدران الملذة الصـامتة، لا شيء يعمله سوى الانتظار القاتل، انه لا يستطيع النوم ولا الجلوس ولا حتى الوقوف بشـكل سوي، انه يصل الى مرحلة يفضل معها العذاب والضرب الشديد على البقاء في الزنزانة، انه

يريد ان يكلمه أحد او ان يخرج، ان يرى شيئا آخر من العالم، وقد يصل الأمر في المعتقل الى ان يتمنى قدوم المحقق وضربه في الزنزانة.
اما ضعيف النفس والإرادة قد يبدأ بالتفكير بالاعتراف حتى يخلص من هذا الجو المقيت جدا.

هذا وقد يساور المعتقل شك بأنه هو الوحيد في المكان وان رجال المخابرات قد تركوه، ربما يفكر بان إسرائيل قد انسحبت وانه بقي لوحده في الزنزانة ولا يعلم أحد عن مكان وجوده يدفعه التفكير هذا في كثير من الأحيان الى ضرب باب الزنزانة بعنف عل الجندي الحارس يلقي عليه بنظرة، أي ربما تصبح نظرة الجندي أحد عناصر الاطمئنان.

<u>سحب أسباب الرفاه :</u> يعتر أي شيء موجود في الزنزانة غير القاذورات والأوساخ عنصر رفاه، فوجود بطانية او بساط رقيق رث عبارة عن امتياز لا يستحقه الا الذين يعترفون بما لديهم، وإذا كان المعتقل قد وضع خطا في زنزانة تحتوي على صنبور مساه فانه ينقل الى زنزانة أخرى وبهذا يكون المعتقل قد جرد من شيء ثمين في ظروف قاسية.

<u>الإيذاء بين الفينة والأخرى:</u> يقوم المحقق بين الحين والآخر بمضايقة المعتقل في الزنزانة، فقد يفتح عليه الباب ليسكب عليه ماء يبلل ملابسه وجسده، وهذا أمر في غاية الإيذاء خاصة في الشتاء، وقد يطلب منه ان يخلع ملابسه ويلقي بها خارج الزنزانة، وقد يفتح عليه الباب ليلقي ببعض المسبات والشتائم، هذا ومن المعروف ان رجال المخابرات مدربين على احتراف الكلمات القذرة والنابية، ورجال المخابرات الإسرائيلية يتقنون الشتائم التي بتداولها العرب.

<u>منع الطعام والماء:</u> قد يترك المحقق المعتقل بدون طعام لفترة طويلة من الزمن، ظروف الطعام في الزنزانة سيئة جدا، وتختلف الى حد كبير عن ظروفه في المعتقل، قد يحصل المعتقل في زنزانة التحقيق على وجبة بسيطة من الطعام كسمكة متعفنة او حبة بندورة او قطعة خبز وخيارة او قليل من اللبن الزبادي، فحتى يزيد المحقق من شدة الجوع التي يعاني منها المعتقل فانه يتركه بدون طعام لفترة ليست قصيرة وقد تتعدى الأيام الثلاثة، وقد يمنع عنه أيضا الماء الحيوي للجسد.

الزنزانة مصممة بطريقة تقود الى قهر الإنسان وتفتيت كيانه والقضاء على تكامله النفسي، انها جو يدفع نحو الركوع والخضوع والاستسلام، انها من اجل سحق الإرادة الإنسانية وتحويل الإنسان الى مجرد أداة طيعة تؤمر فتلبي وتنهى فتنتهي، انها عالم موحش

ومؤلم واصم وابكم، انها من المفروض ان تكون أقسى من غابة وحوش أوحش مـــن مكـــان مهجور تنزله العفاريت، وليخرجه منهارا يبوح بما عمل وبما لم يعمل.

لكن الزنزانة من الناحية الأخرى عنوان التحدي ورمز الإباء والشمم، انها الجو الأمثل الذي يختبر المعتقل فيه إرادته وقدرته على التحمل والصبر والاستمرار، لحظات مـــن هـــذا القبيل قليلة جدا في حياة الإنسان، ربما يعتقد الإنسان انه صلب وقوي وقادر علـــى مواجهـــة الصعاب، لكنه ربما لا يلاقي الصعاب التي تعتبر امتحانا حقيقيا لما يعتقد انها صفاته، تعطـــي الزنزانة للمعتقل هذه الفرصة، وعليه ان يرى الى أي مدى يستطيع ان يثبت نفسه، لن يقضي المعتقل نحبه ان ان فرصة وفاته ضئيلة جدا إذا اعتمدنا على الإحصائيات المتوفرة وحتى لـــو كان الموت هو نهاية التحمل فان أمامه فرصة ان يختار بين الموت بشرف والحياة بذل.

ثم ان الزنزانة توفر فرصة لتوثيق عرى حب المعتقل لوطنه وشعبه، انها المكان الذي يمثل الثمن الذي يجب ان يدفعه الإنسان من اجل وطنه، وصل المعتقل الى هذا المكان لانه عمل من اجل وطنه بدافع الحب والحرص وبدافع من حب الحرية والاستقلال، أي ان الزنزانة حلقة وصل مادي بين الإنسان والقيم الوطنية التي يؤمن بها، انها رمز العطاء والإقدام والشجاعة، وهي بالتالي رمز الصمود واستمرار تدفق حب الوطن والناس وحب قرى فلسطين ومدنها وشوارعها، وحب زيتون فلسطين وجبالها وسهلها وبحرها، الزنزانة ليست وسيلة قمع، وانما وسيلة تجديد عهد على الاستمرار في التضحية حتى التحرير.

والزنزانة بالنسبة للمعتقل المؤمن بوطنه أمته وقضيته، انها ليست جوا موحشا ومخيفا بقدر ما هي خلوة يأوي فيها الإنسان الى ذاته يتفكر ويتأمل بشؤون وطنه أمتـــه، انـــه هنـــاك لوحده بعيدا عن صخب الحياة ونشاطاتها واجتماعياتها حيث ان يتفكر بهدوء ويعيد تقييم كـــل أفعاله ونشاطاته وتوجهاته الفكرية، الزنزانة مكان ينطلق فيه العقل الإنســـاني ليبـــدع فكريـــا وليكسر كل الحواجز المادية التي كانت تكبله وتشل حركته وتقلل من تضحياته، وهي أيضـــا المكان الذي يتيح للمعتقل فرصة التفكير بهدوء حول الإجابات التي يجب ان يـــدليها لرجـــل المخابرات حول أسئلته، انه يستطيع ان يفكر ويحبك قصة منطقية مقنعة لرجـــل المخـــابرات دون ان يترك خلفه أي آثار تدينه، أي انه يستطيع الإفلات من الاعتراف بصـــياغة إجابـــات مترابطة لا تشكل تهما أمنية.

بعبارات أخرى، الزنزانة تشكل حافز سقوط بالنسبة للمعتقل الضعيف غيـر المـؤمن بعدالة قضيته والذي ينظر الى التضحية على انها مسالة عابرة تدخل ضمن دائـرة القناعـان الإنسانية، اما بالنسبة للمعتقل قوي الإرادة وصلب العزيمة، فان الزنزانة رمز صمود وتحـد وفرصة نحو التفكر الإنسان بتهذيب نشاطاته والسمو بنفسه نحو درجات أعلى من التضـحية والفداء.

وقبل الانتهاء من موضوع الزنزانة فانه يجدر التنويه الى ان هناك زنزانـة أخـرى يسميها المعتقلون الاكس، هذه عبارة عن زنزانة انتظار وتختلف جذريا عن زنزانة التحقيـق، فهي عبارة عن قصر بالمقارنة بزنزانة التحقيق، انها تحتوي على فرشة رقيقة جـدا وبعـض البطانيات ومصباح يضيء على مدى أربع وعشرين ساعة، وتقدم فيها وجبات ثلاث، وبإمكان ساكنها ان يخرج الى مرحاض وان يأخذ حماما ويحلق ذقنه، وهي زنزانة تابعة للمخـابرات وتخدم كمأوى مرحلي للمعتقل لحين استئناف التحقيق معه.

قد يقدر المحقق أثناء التحقيق انه بحاجة الى مزيد من المعلومات، او يرى انـه مـن الضروري ترك المعتقل لفترة من الزمن ليفكر في التهم الموجهة ضده، فيرسـله الـى هـذه الزنزانات حتى يحين وقت استئناف التحقيق معه.

التهمة الكبيرة

عندما يقرر المحقق اتهام المعتقل بصورة مباشرة ومحددة، فانه لا يقف عند حد التهمة المقصودة فقط وانما يتوسع في العدد والمدى، فإذا كان المعتقل متهما فقط بالتنظيم فان المحقق يواجهه مثلا بتهم التنظيم والتدريب على السلاح والاتصال بجهات معادية، يحـاول المحقـق عمل هذا لاسباب منها:

أ-لإفساح المجال أمام نفسه للتأكد من حجم التهمة الموجهة ضد المعتقل، فهو لا يريد ان يحصر نفسه بالتنظيم فقط، فربما تدرب المعتقل على السلاح وبقي الأمر سرا، فيعطي نفسه فرصة التحقق من الشك، فقد يعترف المعتقل بالتهم الموجهة ضده ويخرج المحقق منتصرا.

ب–لتهويل الأمر أمام المعتقل مما قد يؤدي الى إصابته بنوع من الذعر والارتباك، فعندما يواجه المعتقل بتهم كبيرة يبدا بمحاولة الربط بينها وبين حجم العقاب الذي ينتظره، وكلما كبرت التهم وتعددت كلما ارتفعت سنين الاعتقال في حالة الاعتراف، قد يخلق ضغط ما يتخيله المعتقل من سنين وراء القضبان نوعا من الهروب والتراجع فيندفع نحو القول: "انا بس عندي تنظيم، انا لم أتدرب ولم اتصل" أي انه يعترف بالتهمة الحقيقية من اجل ان ينفي عن نفسه التهم الأخرى.

تنطلي هذه الحيل في بعض الأحيان ويحقق المحقق هدفه ما بانتزاع اعتراف حول التهمة المباشرة او بانتزاع اعترافات أخرى كانت مجرد تكهن وغير مستندة على معلومات، لكن المحقق يفشل في كثير من الأحيان، فالمعتقل الحريص والحذر لا يتكلم الا بعد ان يتأكد من حقيقة التهمة الموجهة ضده، ويعمل تدريجيا على حصر نفسه بتهمة محددة ويأخذ بالتركيز عليها.

يعي المعتقل صاحب الخبرة والمعرفة ان تشتت المحقق وعدم تركيزه على تهمة او تهم بينة وواضحة ان المحقق لم يصل بعد الى التهمة المقصودة، لا يصل المحقق الى التهمة مباشرة، فمثلا لا يواجه المحقق المعتقل في اليوم الذي يعتقل فيه بقوله مثلا: "انك متهم بإلقاء قنبلة بتاريخ كذا وبالاشتراك مع فلان على باص كان يمر بشارع صلاح الدين في القدس"، هذا أمر غير وارد بتاتا، ربما يقول المحقق هذا الكلام لكن بعد مرور فترة من الوقت وبعد استنفاذ كل المحاولات لتوجيه تهم غير محددة عل المعتقل يعترف.

التعذيب الجسدي

يسير التعذيب الجسدي المباشر جنبا الى جنب مع كل خطوات ومراحل التحقيق، لا توجد مرحلة تخلو من العذاب والإهانة، فالمخابرات لا تكتفي بتعذيب المعتقل باحتياجاته العضوية كالأكل والنوم والإخراج والدفء، وانما تعمل على إيذائه جسديا بصورة مباشرة وبأشكال متعددة، ولا شك بان أجهزة المخابرات تتفنن في هذا النوع من قمع المعتقل في سبيل الحصول على اعتراف، فرجل المخابرات مدرب على ان يكون بدون أخلاق او قيم إنسانية،

ومدرب على نزع الشفقة والرحمة من نفسه حتى لا تتداخل أي عوامل إنسانية في عملية نزع الاعتراف.

التعذيب الجسدي لا يكتفي بمجرد الإيذاء، وانما يعمد الى تعطيل أجهزة الجسم او تشويه أعضاء المعتقل، وعلى الرغم من ان رجل المخابرات يحمل تعليمات بتعذيب المعتقل الى الدرجة التي لا يموت معها، الا ان العديد من المعتقلين سقطوا تحت التعذيب من جراء الوحشية المتمادية التي يمارسها المحققون في أساليبهم التعذيبية، ومن المعروف ان العديد من المعتقلين عانوا من كسور في أطرافهم أثناء التحقيق، وبعضهم ما زالت تظهر عليهم آثار حروق او خلع الأظافر، وبعضهم تعطلت لديهم القدرة الجنسية.

هذا وقد مارست المخابرات الإسرائيلية في بداية الاحتلال أساليب تعذيبيه رهيبة، وفتحت من اجل ذلك مراكز خاصة للتعذيب، لقد تفننت في هذه الأساليب وتفوقت على كل أساليب الفاشية والشاهنشاهية، والمعتقلون الأوائل يعرفون هذه الأساليب اكثر من غيرهم لانهم عانوا منها بشكل مباشر، وإذا كان هناك هناك مجال للمقارنة بين التعذيب الجسدي اليوم وبين الامس فان الفارق شاسع جدا، فاليوم تركز المخابرات جهدها على العذاب النفسي اكثر من الجسدي، بعكس الامس الذي كان يركز على العذاب الجسدي.

ومن الممكن ان يكون التعذيب الجسدي بشكل كف او لكمة بقبضة يد او ركلة برجل، وقد يكون بصيغة وجبة ضرب عنيفة، قد يقوم رجل المخابرات بتقييد يدي المعتقل ومن ثم يأخذ بضربة برجليه ويديه او بعصا او سوط، وربما يجتمع على المعتقل اكثر من محقق واكثر من اثنين، ويعملون على ضربه بالعصي والجنازير والسياط بشدة، وربما يلقوه أرضا ويضربوه بعنف على أجزاء جسده بما في ذلك البطن والصدر والرأس، أي ان الضرب يأخذ أنماطا كثيرة ويصل الى درجة عنيفة من الحدة.

هذا ومن الممكن جدا ان ينزف المعتقل دما نتيجة الضرب، وربما يصاب بنزيف داخلي عنيف، وقد يفقد الوعي، ومن المحتمل أيضا ان تكسر يده او رجله، او تتكسر بعض أضلاعه، او تمزق بعض عضلاته، ان مخاطر الضرب كثيرة وكلها واردة، وبالطبع نأمل من خلال هذا الحديث الا يأخذ القارئ انطباعا بان هناك تثبيطا عن العمل، وانما الهدف هو ان يتعرف القارئ على التجربة، وإذا تعرف عليها ودخل المعتقل فانه لن يفاجأ بشيء.

قد يأخذ التعذيب شكل حروق، فمن الشائع ان يطفئ المحققون أعقاب لفافاتهم بجسـد المعتقل، وبعد فترة من الزمن يظهر جلد المعتقل موشحا بحروق كثيـرة دون عـلاج، وقـد يعرض جسد المعتقل للنار من اجل أحداث حروق واسعة والتي من شانها ان تقود الـى آلام شديدة.

يدخل الماء أيضا ضمن وسائل التعذيب الجسدي خاصة في الحالات البسيطة كتهمـة التنظيم او رفع علم او رشق حجر، يعري المحقق المعتقل ثم يسكب عل جسده بصورة فجائية او تدريجية ماءا شديد البرودة، وبعدها مباشرة يسكب عليه ماء حارا، ويعتبر المـاء البـارد وسيلة تعذيب ذات فاعلية في الشتاء عندما يكون الجو باردا، ومن الممكن أيضـا ان يسـكب المحقق الماء على المعتقل وهو في كامل ملابسه لان ابتلالها عبارة عن نوع مـن التعـذيب، فجسد الإنسان بدون ملابس يجف بصورة أسرع مما لو غطي بملابس مبلولة.

قد يستخدم المحقق الزرد كوسيلة تعذيب، كان يضع زردا في يديه ويضـيق رباطهـا لتدخل حوافها في جلد المعتقل، ويزاوج المحقق هذا الوضع بضرب شديد، وقد يستخدم الزرد للشبح بطريقة رهيبة جدا، كان يربط المعتقل بيديه ويعلق ويتحول ثقل جسده على رسغيه، او ان يعلق المعتقل ويديه خلف ظهره، او يعلق من رجليه، كل هذا يتم مع الضرب المبرح.

في أيام البرد، ربما يؤمر المعتقل الى الخارج ويعرى ويضرب بالسياط او بالشوك او بالعصي والجنازير، يضرب حتى يفقد حواسه، وقد يغطس بماء بارد جدا، او قد يوضع رأسه في ماء ليوشك على الاختناق.

استخدمت زنزانات لا تسمح للإنسان بحركة، وعلق فيها صنبور ماء تخرج منه نقطة نقطة على راس المعتقل او جسده، واستخدمت أدوات لخلق إزعاج وفوضـى فـي الـرأس، كضرب صحون رنانة في الأذنين مما يسبب دوارا شديدا وذهولا، واستخدمت حفر القاذورات لوضع المعتقلين فيها، وكذلك تم استخدام أساليب الترهيب كان توضع يد إنسان في الزنزانة او جمجمة او دماء، وذلك ليظن المعتقل ان الموت البطيء مصيره.

هذا وتستخدم في المعتقل طريقة الضغط على العيون واللكم على الوجه مما يؤدي الى سقوط الاسنان، وكذلك يتعمد المحقق ايذاء اللسان والأعضاء الجنسية، ويستخدم المحقق أحيانا

الزجاجة التي يرغم المعتقل على الجلوس عليها لتدخل في استه، وقد يرغمه أحيانا على وضع الأقلام بين أصابعه ومن ثم الضغط عليها.

واستخدمت المخابرات الإسرائيلية الحيوانات وخاصة الكلاب في التعذيب، كانت تترك الكلاب المدربة تهاجم المعتقل فتمزق ملابسه، والكلاب مدربة على إرهاب المعتقل دون ان تقتله، وكذلك استخدمت الكراسي الكهربائية.

باختصار، أساليب المخابرات في التعذيب الجسدي المباشر كثيرة جدا ومتعددة الأشكال والألوان، وعلى المعتقل الا يفاجأ من أي شكل تعذيبي، وعليه ان يتوقع أي شيء يخطر على باله، فإذا خطر بباله ان يحملوه بطائرة ويلقوا به على الأرض، فان عليه الا يستبعد الأمر او أن يلقى من على عمارة عالية، او ان يحقن بمواد تسبب الهستيريا المؤقتة او الدائمة، او ان يعطى عقاقير تضر بالجسد او بعض أجزائه، كل الأمور الواردة وكل الهواجس ممكنة، لكننا نكرر هنا ما قلناه قبل قليل من ان المخابرات الإسرائيلية أخذت تقلل من تركيزها في السنوات الأخيرة على التعذيب الجسدي المباشر لصالح التعذيب النفسي.

تهدف عملية التعذيب كما تهدف كل الأساليب الأخرى الى تركيع المعتقل وانتزاع الاعتراف منه، انها تقصد رفع درجة الألم التي من شانها ان تقهر إرادة المعتقل وترغمه على وضع ما لديه من معلومات أمام رجل المخابرات، انها جزء من لعبة شد الحبل القائمة في المعتقل بين قدرة المعتقل على امتصاص الألم وتحويله الى صمود وبين هدف الألم في إحداث السقوط، ولا شك بان كثيرين جدا يتهاوون أمام الألم ونتيجة لذلك لا يعترفون فقط بما عملوا حقيقة وانما يلصقون بأنفسهم أعمالا لم يقوموا بها بتاتا، انهم يعترفون بكل تهمة يوجهها إليهم المحقق في سبيل الخلاص من التعذيب، وفي لحظة ضعف يفضل المعتقل سنين اعتقال طويلة على ان يتحمل التعذيب لأيام قليلة.

هذا وقد اتضح لنا ان الأغلبية الساحقة من الفلسطينيين لم يأخذوا دروسا في ما يمكن ان يواجهوه داخل المعتقل وحتى انه لم يقل لهم انهم من الممكن ان يعتقلوا ويواجهوا المحقق الإسرائيلي، دخل اغلب المعتقلين الفلسطينيين المعتقل وهم يجهلون عملية التحقيق والتعذيب ومختلف الوسائل التي من شانها ان تجعل المعتقل يركع ويعترف، وهذا أمر يشير الى تقصير المسؤولين عن مختلف العناصر المنظمة، ربما يفسر هذا على ان الشرح حول الاعتقاد من شانه ان يثبط الهمم ويرعب البعض فيترددوا في الالتحاق بصفوف الثورة، بالطبع هذا تبرير

سخيف وتافه لانه ثبت ان الاعترافات قد جرت اغلب العناصر المنظمة الى المعتقل، انه مـــن الأجدى تثقيف الفرد حول الاعتقال ومن ثم حول كيفية الصمود، على ان تكون هناك أعـــداد كثيرة منظمة يتهاوى الكثير منها مع أول كف.

وحتى لا نظلم الذين صمدوا، فإننا لا نقول ان الكل تهاووا واعترفوا، او ان الكل كان بإمكانهم الاستمرار في عدم الاعتراف، فبعض المعتقلين واجهوا تهما دامغـــة وبأدلـــة ماديـــة واضحة لا مجال للهرب منها، وبعض المعتقلين صمدوا حتى النهاية على الرغم مـــن وجـــود أدلة واضحة ضدهم، عوقب الصامدون بتعذيب وحشي ورهيب وخارج كل حـــدود إنســـانية، والقي بهم في الاعتقال الإداري.

هذا ويستشف فكر الذين صمدوا أمام التعذيب ان الصمود عبارة عن حالة ذهنية، وان تسلح الإنسان بذهنية البقاء بدون اعتراف تقود في النهاية الى عدم الاعتراف، ان من يحـــاول ان يركز على الألم الناجم عن التعذيب لا بد ان يعترف انه يكون قد حصر فكره بهـــذا الألـــم واخذ يشعر به بتسارع، أي ان التركيز على الألم يخلق ذهنيـــة الخـــلاص منـــه، أي ذهنيـــة الاعتراف، لكن الذي يعي ان التعذيب من اجل إخضاع النفس يعي ان إذلال النفس بالاعتراف اشد من ألم الجسد تحت العذاب، أي انه إذا قرر المعتقل أن يبقى رافع الرأس وغير مهـــزوم داخليا ومنتصرا على رجل المخابرات، فانه يمتص الألم على انه وسيلة من اجل قهر المحقق وتبديد جهوده، كل ضربة تعني قدرة اكبر على التحمل وهزيمة جديدة لرجل المخابرات.

الترهيب

من المحتمل ان يقرر المحقق تهويل الأمر أمام المعتقل لجره نحو المســـاومة، وقـــد يحصل هذا في أي وقت يختاره المحقق، وليس بالضرورة قبل التعذيب الجسدي او بعده، لكن الاحتمال الأكبر هو ان يختار المحقق هذا الأسلوب قبل ان يشن حملته التعذيبية الواسعة ضـــد المعتقل، وهنا يحاول المحقق ان يصور الأمر للمعتقل على انه خطير جدا ويأخذ أبعادا خارجة عن نطاق مسؤولياته، فمن شان المحقق ان يقول"انا مجرد موظف ولا املك من الأمر شـــيئا، وقد عقد المسؤولون اليوم اجتماعا بشان وضعك" وقد يضيف قائلا"لقد سمعت أحـــدهم يقـــول انهم يريدون هدم بيتكم وانهم قد يعتقلون بعض أفراد عائلتك، لكن آخر أكد انك لن تخرج من هنا قبل عشرين عاما".

يأخذ التهويل أشكالا متعددة من شانها وضع المعتقل في حالة يـــأس شـــديد وإدخـــال الرعب الى قلبه، ويهدف المحقق بهذا الأسلوب الى إيصال المعتقل الى درجة يقول لـــه فيهـــا "وكيف الخروج من هذه الورطة؟" وبالطبع يجيب المحقق بطريقة يجيـــب المحقـــق بطريقـــة الرجل الطيب"انا مجرد موظف، انت تعلم، لكن إذا وضعتني في حقيقة ما عملت فانه بإمكاني مساعدتك لدى المسؤولين"، قد تنطلي هذه الحيل على بعض المعتقلين خاصة من صغار السن وغير المجربين والذين يفكرون في بعض الأحيان بمفاهيم إنسانية وغير المجـــربين والـــذين يفكرون في بعض الأحيان بمفاهيم إنسانية، قد يظن صغير السن ان المحقق قد يساعد فعلا وقد يشفع له وبالتالي يوفر هدم البيت واعتقال اخوته وسنين طويلة من الاعتقال.

الترغيب

ربما يرى المحقق ان أسلوب الترهيب لا يجدي نتيجة فيحاول الأســـلوب المعـــاكس، وهو الترغيب، من خلال هذا الأسلوب يحاول المحقق ان يقول للمعتقل ان مشكلته بسيطة ولا تستحق العناء، ويوجه كلامه للمعتقل: "انت فقط تكلم عن الحقيقة وانا واثق انك ستنام في بيتك الليلة"، ثم يأتي على سيرة الأهل ويقول له ان أهله ينتظرونه ويصعب عليه ان يبقيه في هـــذه الأوضاع القاسية،"انا لي أهل واعرف شعور الأهل تجاه ابنهم ولا بد لـــي ان اعمـــل علـــى إعادتك إليهم بأقرب فرصة ممكنة"، واذا كان للمعتقل زوجة وأولاد فانه يأتي علـــى ذكـــرهم بتردد وتعاطف.

يصدق بعض المعتقلين خاصة من صغار السن عديمي الخبرة هذا الأمر، انـــه يبـــدأ بالظن ان رجل المخابرات رحيم وودود وصاحب قلب طيب، فيقع بالمطب ويبوح له بكل مـــا عنده، ومن ثم يكتب الأعراف على الورق، لا يرى بعدها رجل المخابرات، بل يرى الحـــاكم العسكري الذي يحكم ضده بسنين عديدة في المعتقل، لكن المعتقلين الـــواعيين يعلمـــون ان لا طيبة في المعتقل ولا نوايا حسنة، التعامل في المعتقل بإطار المفاهيم الإنسانية غير وارد بتاتا، لا يوجد في مرحلة التحقيق الا صراع بين رجل مخابرات يملك أســـاليب ووســـائل مختلفـــة لانتزاع الاعتراف ومعتقل لا يملك من اجل الصمود سوى الوعي والإرادة الصلبة.

التوريط بالتوقيع

يحاول المحقق في بعض الأحيان توريط المعتقل بتوقيع يضعه على الورق، فقد يطلب المحقق من المعتقل ان يكتب اسمه او يوقع على ورقة بيضاء، يكتب المحقق بعد التوقيع اعترافا بيده ويكون التوقيع في نهاية ما كتب، غالبا ما يكتب المحقق اعترافا اخطر مما هو مطلوب من المعتقل ان يعترف به، يهدف هذا الإجراء الى إرباك المعتقل مما يدفعه الى الاعتراف، وبالطبع يعمد المحقق الى رفع درجة الإرباك بقوله انه سيبعث بهذا الاعتراف الى المحكمة التي ستتخذ إجراءها المناسب ضده، ويضيف بان العقوبة على هذه التهم المدونة تصل الى رقم كبير من السنين في الاعتقال.

عندما يتوقع المحقق من المعتقل ان يقول له: "ان هذا لم أقم به كله"، وعندها تبدا المحاورة حول حقيقة ما قام به المعتقل، وينتهي الأمر الى ان يكتب المعتقل اعترافه بيده.

لا بد من الإشارة هنا الى ان المحقق لا يعتمد بتاتا على ما يكتب من اعتراف حتى لو ذيل بتوقيع المعتقل، انها مجرد محاولة لإيهام المعتقل انه وقع في الشرك، خلق مثل هذا الوهم يبدو معقولا إذا أخذنا بالاعتبار ما هو متداول في الحياة العامة من التصديق على معاملات مذيلة بتوقيع صاحب الشان دون ان تكون مكتوبة بخط يده، فإذا لم ينتبه المعتقل الى عقم هذه الأساليب فانه يقع بسهولة.

العدو والصديق

يعمل رجال المخابرات أحيانا كفريق ضد المعتقل، فقد لا يتخصص محقق واحد بقضية المعتقل بل يتناوب على المعتقل اكثر من محقق، يأخذ التناوب او الاجتماع أشكالا متعددة منها التناوب على الضرب او أحداث ضيق نفسي من الأسئلة التي عليه ان يجيب عليها، ومنها لعب دور العدو والصديق، يلعب أحد المحققين دور الشرير الذي لا يرحم وينهال بالضرب الشديد على المعتقل، بينما يمثل محقق آخر دور الرجل الطيب الذي يحاول ان يساعد المعتقل ويخرجه من ورطته مع المحقق الآخر.

من المحتمل ان يدخل المحقق الطيب غرفة التحقيق ليردع المحقق الشرير عن أعماله وليقول له انه رجل قذر لا يفهم معنى الإنسانية او احترام الإنسان، ثم يطـرده مـن الغرفـة بتوبيخ شديد، ثم يقدم المحقق الطيب لفافة تبغ ويسال المعتقل ان كان بحاجة لمـاء او شـاي، ويعمل على تهدئة المعتقل ويطمئنه انه لن يمس بسوء ما دام موجودا فـي المعتقـل، وانـه "سيربي ذلك الكلب الذي لا يحترم أحدا".

وبعد ان يشعر المحقق الممثل لدور الطيب انه استطاع خلق نوع من الاطمئنان لـدى المعتقل يحاول ان ينتزع منه الاعتراف استدراجيا، فقد يطلب منه ان يـذكر قضـيته حتـى يستطيع مساعدته بشكل جيد، وحتى يستطيع إقناع المسؤولين بضرورة ذهابه الى البيت، ثـم يطمئنه بان عليه الا يخشى أحدا، بل عليه ان يصبر على الظلم وما بعد الضيق الا الفرج، انها أيام قليلة ويخرج من المعتقل، وهنا قد يقع المعتقل ويدلي بما عنده ظنا منه ان هـذا الممثـل سيساعده، انه لن يجد نفسه بالتالي الا أمام المحكمة ليسمع الحكم بأذنيه.

لا يوجد في المخابرات رجل طيب، المخابرات عبارة عن جهاز قمعـي، لـيس فـي إسرائيل فحسب، وانما في كل دول العالم، رجل المخابرات مدرب علـى قلـة الأدب ونبـذ المفاهيم الإنسانية والإساءة الى الناس بالشتم القذر والإهانات والضـرب والتعـذيب، ورجـل المخابرات ممثل جيد، انه يستطيع إتقان عدة أدوار ويستطيع التلون بسهولة، فهذا الرجل الذي يمثل دور الرجل الطيب ربما يكون ممثلا في ذات الوقت لدور الشرير مع معتقل آخر.

التيئيس

يسلك المحقق طريق التيئيس كوسيلة لانتزاع اعتراف من المعتقل، يتكلم المحقق عـن عجز الثورة وعمقها وفشلها، ويوجه كلامه للمعتقل "الجيوش العربية بكل طائراتها ودباباتها لم تصمد أمام جيش الدفاع، فهل سيصمد بعض الزعران أمامنا بكلاشين؟" لن يحرر هؤلاء الذين يقولون انهم ثوار فلسطين حسب رأي المحقق، ويضيف بأنهم يورطون الشباب معهـم تحـت اسم التحرير، ولا ينال هؤلاء الشباب الا الموت او الإصابة بعاهـة او الاعتقـال، ويستشـهد بحديثه بما حصل في الأردن ولبنان وبما حصل من اقتتال بين الفصائل الفلسطينية.

يقول المحقق ان محاربة إسرائيل كمن يناطح بجبل، انه لن يجني سوى الدمار والشقاء ولن يحقق هدفا، وبالتالي ينصح المعتقل بان يبحث لنفسه عن مستقبل مادي، من الأفضل لـه

حسب نصيحة المحقق ان يبحث لنفسه عن مستقبل مادي، من الأفضل لـــه حســـب نصـــيحة المحقق ان يبحث عن عمل او تجارة او ان يكمل دراسته ويتزوج ويعمل على تحقيـــق رفـــاه مادي، هذا هو العمل المفيد والمثمر والذي يخلو من الملاحقات والمطاردات.

ثم يأتي المحقق على الزعامات العربية وقيادات الثورة، ويحاول ان يركز على حيـــاة القصور التي يعيشها الزعماء العرب الذين يتبجحون بخطبهم حول تحرير فلسطين، ويحـــاول أيضا ان ينقل الى المعتقل صورة بعض القيادات الفلسطينية اتي استفادت ماديا مـــن الثـــورة، ويقول للمعتقل: "انت هنا تضحي بجهدك ووقتك ومالك وزعماؤك يشترون العمارات ويقيمون الحفلات ويتمتعون" هؤلاء لا يقيمون لانفسهم مكانة، حسب رأي المحقق الا بدماء أبناء شعبهم وجماجمهم، انهم يزايدون ويخطبون دون ان تكون في نيتهم التضحية الحقيقية ثم يشير علـــى المعتقل بان يقرر ترك هذا الطريق لانه هو الخاسر الوحيد، وغيـــره يقـــبض المـــال باســـمه وبأسماء المضحين من الشعب الفلسطيني.

يعزز المحقق هذه الحملة التيئيسية بتذكير المعتقل ببعض الأمثال العربية التي تـــدعو الى الخنوع والاستسلام، فمثلا يقول له: "امش الحيط الحيط وقول يا رب الستيرة" او "الكف ما بلاطم مخرز" ويقول للمعتقل ان الناس لا يهتمون بمسائل التحرير، الناس يبتاعون ويبيعـــون وكان القضية لا تهمهم". انهم يعملون بحكمة حسب الأمثال العربية، فلماذا تشد عنهم وتـــدفع الثمن؟ ينام الآخرون في فراشهم الوثير وأنت هنا مرمي بالزنزانة" ثم يقول لـــه ان النـــاس لا يستحقون كل هذه التضحيات، ولا يوجد من يقدرها او يقدر منفذها.

يسهب المحقق في شرح هذه المسائل حتى يخلق لدى المعتقل عقلية نقمة على القيادات الفلسطينية وعلى الناس وحتى يكفر بكل شيء اسمه فلسطين، انه يريد من المعتقل ان يقـــرر طلاق القضية الى الأبد ان هذا الطلاق يبدأ بالاعتراف، قد يجد الإنسان نفسه في لحظة ضعف مقتنعا بما يقال ويقرر ان كلام المحقق منطقي ومن الضروري ان يعتـــرف، الا ان المعتقـــل الذي يتفهم محاولات المعتقل وأساليبه لن يتعب نفسه بالاستماع الـــى مثـــل هـــذه الأحاديـــث السخيفة، فالثورة بالنسبة للمعتقل المثقف تمر بأزمات أحيانا ويصيب بعـــض قادتهـــا مـــرض يبعدهم عن الروح الحقيقية للثورة، والناس بالنسبة له أيضا بحاجة الى وقت وجهـــد كبيـــرين حتى ينخرطوا في الثورة يجد وبأعداد كبيرة، ولهذا فان حملة المحقق لن تنطلي عليـــه ولـــن تخدعه او تطرحه بحضن رجل المخابرات.

اعترافات الآخرين

يضغط المحقق على المعتقل في حال وجود شركاء له بالتهمة او التهم الموجهة ضده بمواقف الآخرين من الاعتراف سواء كانت مزعومة او حقيقية، يبدأ المحقق ضغطه بإيهام المعتقل ان صديقه وشريكه فلان اعترف عليه وتنصل من أي مسؤولية غالبا ما يكون هذا الحديث عار عن الصحة، لكنه يهدف الى زعزعة ثقة المعتقل بزميله مما يدفعه الى التحدث متهما صديقه ومخليا سبيل نفسه، واذا كان المحقق قد اخذ ولو لمحة عن بعض تفاصيل المسالة قيد البحث فانه يستفيد منها لخلق جو حقيقي حول اعتراف الآخرين، واذا فشلت المحاولة يهدد المحقق قائلا انه سيأتي بالشريك ليرى الأمر أمامه.

يأتي رجل المخابرات في كثير من الأحيان بالشريك، الا انه يعطيه أوامر بعدم التحدث او إعطاء إشارة، ثم يبدأ يحدث المعتقل قيد التحقيق باعترافات شريكه المتواجد بالغرفة وكيف ورطه هو بهذه الاعترافات، ويهدده بانه سيدعه يكتب الاعتراف ويقدمه للمحكمة وبالتالي سيتورط هو لوحده

يأتي رجل المخابرات في كثير من الأحيان بالشريك، الا انه يعطيه أوامر بعدم التحدث او إعطاء إشارة، ثم يبدأ يحدث المعتقل قيد التحقيق باعترافات شريكة المتواجد بالغرفة وكيف ورطه هو بهذه الاعترافات، ويهدده بانه سيدعه يكتب الاعتراف ويقدمه للمحكمة وبالتالي سيتورط هو لوحده

أحيانا يكون الشريك قد اعترف حقيقة ولا يجد رجل المخابرات وسيلة افضل من مواجهة المعتقل بالشريك الذي يروي القصة بحضور الجميع، وماذا بعد المواجهة انها فضيحة وليس مجرد اعتراف؟

تمر مثل هذه التهديدات على بعض المعتقلين ويعملون على اتهام شركائهم كانتقام منهم لكن التجربة تقول ان على المعتقل ان يضع في ذهنه دائما انه لا يعرف أحدا في المعتقل، من الأفضل له ان يتنصل من كل الناس وكأنه لم يعش أي نوع من الحياة الاجتماعية، المعتقل المجرب يقول دائما: **"**لا اعرفه ولم اسمع به ولم أره قط في حياتي**"** وقد حصل داخل المعتقل ان معتقلين قد تنصلوا فعلا من اعز أصدقائهم واقرب الناس إليهم، أدى ذلك الى تركيز تعذيب ضدهم ومضاعفة وقت التحقيق معهم، الا انهم استمروا على مواقفهم.

يعمل رجل المخابرات أحيانا على جمع معتقلين معا في غرفة واحدة ليتأكد فيما إذا كانوا على معرفة بعضهم ببعض، فابتسامة او إيماءة من معتقل لاخر قد تعطي المحقق مؤشرا، وقد يترك المحقق المعتقلين معا في الغرفة بعد ان يكون قد وضع جهاز التقاط للصوت في مكان ما في الغرفة في مكان ما في الغرفة لالتقاط أي حديث يدور، والمعتقل الواعي في هذه الحالة لا يبتسم ولا يومئ ولا يحدث ولا تطرا عليه أي تغييرات سواء كانت تغييرات ابتهاج او حزن او امل، الخ.

النقل من مركز تحقيق لآخر

تعمد المخابرات الى نقل المعتقل من مركز تحقيق لاخر وذلك حتى لا يعتاد على المكان قد يخلق التعود على مكان معين نوعا من الاستقرار النفسي لدى المعتقلين والرتابة، فاعتياد المناظر وبالذات غرف التحقيق يخلق جوا نفسيا لدى المعتقل بان الحياة تسير برتابة وان آلامها قد أصبحت نمطا غير مثير، تكسر عملية النقل مثل هذا الاستقرار ومن شانها ان تضع المعتقل في حالة تخبط جديدة. انه بحاجة لتلمس ظروف الموقع الجديد وللتعرف على مزاج المحققين الجدد وأساليبهم، ولن يعرف ما يريد الا بعد ان يكون قد تعرض لصنوف من التعذيب، هذا فضلا عن العذاب الذي يلاقيه في رحلته من المركز الأول الى الثاني فالناقلون يحملون أوامر بالتفنن بتعذيب المنقول.

استخدام الأهل

يستخدم رجل المخابرات أقارب المعتقل للضغط عليه في سبيل الاعتراف، فيحاول مثلا استغلال والده او أمه او أخيه لاستدراجه نحو الاعتراف، قد يقال للوالد ان ابنه في أمان وانه سيخرج من المعتقل قريبا وبعد الإدلاء ببعض المعلومات، فإذا أدلى بها فانه بإمكانه ان يعود به الى البيت، يتحمس الأب، خاصة إذا كان م السذج الذين يصدقون وعود المخابرات، ويكلم ابنه ويحاول إقناعه بالاعتراف، وقد يحصل نفس الشيء من الام او الأخ او الزوجة، إذا تجاوب المعتقل مع هذا الأسلوب فانه يكون قد وضع نفسه في ورطة.

يمثل رجل المخابرات أحيانا دور المتعاطف مع الأهل كان يقول للمعتقل ان أمه مريضة وعلى وشك ان تموت، فإذا اراد ان يطفئ حزنها على ابنها وينقذ حياتها فان عليه ان يعترف، وربما يرى المحقق رفع الضغط النفسي على المعتقل من خلال إبلاغه ان احد أفراد عائلته كأبيه او ابنه قد توفي، وانه بإمكانه ان يحضر الجنازة إذا اعترف، بالطبع رجل المخابرات مهتم بالاعتراف لا بجنازة او بأموات، ليس من عادة المحقق ان يصدق او من عادة المخابرات ان تتعاطف إنسانيا مع أي فلسطيني.

تنقل المخابرات قضية الأهل نقلة واسعة عندما تهدد المعتقل بشرف أمه او أخته او زوجته، تستغل المخابرات القيم الاجتماعية العربية التي تركز على شرف الأنثى من اجل تركيع المعتقل، فقد حصل مرارا ان أتت المخابرات بأخوات المعتقلين وهددتهم بممارسة الجنس معهن إذا لم يعترفوا، كثيرون اضطروا الى الاعتراف.

لم يحصل ان نفذ رجل المخابرات تهديده بالممارسة الجنسية، الا ان المعتقل كان يثار عند نزع قطع من ملابس أخته، وكان على وشك ان يفقد صوابه عندما يوشك المحقق على تركها عارية، انها وسيلة بشعة ومقذعة في الحصول على اعتراف، لكنه من الضروري توعية الفلسطيني والفلسطينية حول هذا الأمر، وعلى الفلسطينيين جميعا ان يعوا ضرورة عدم الاهتزاز أمام هذه الأساليب المنحطة.

استخدام العملاء

على الرغم من اننا سنأتي تفصيلا الى دور العملاء في انتزاع الاعتراف في فصل قادم، الا انه لا يضير ان نشير اليه الان، فالمحقق يجند العملاء لابتزاز اعتراف من المعتقلين وذلك عن طريق تمثيلهم لادوار وطنية، يوضع العميل في ذات الزنزانة او الاكس التي يوضع فيها المعتقل، ويحاول العميل سرد قصص عن بطولاته الوهمية والعمليات العسكرية التي قام بها واتصالاته مع قيادة الثورة، انه يقوم بهذا الدور بهدف استدراج المعتقل للحديث عن العمليات او النشاطات التي قام بها،

أحيانا يزج المعتقل في غرفة مخصصة للعملاء والذين يمثلون أدوارا وطنية ويظهرون أخلاقا حميدة، ويحاول رئيس الغرفة ان يستدرجه للحديث من خلال وعودات مادية تصل أهله عن طريق قيادة الثورة التي يتصل بها دائما، واذا فشلت المحاولات، فان العملاء

يأخذون بتهديد المعتقل على اعتبار انه جاسوس وبدون تاريخ وطني، لو كان وطنيا لتحـدث عما قام به من نشاطات، لكنه يبدو عكس ذلك، ولاتمام عملية التمثيل، فـانهم قـد يضـربوه ويهددوه بإحداث جروح في جسده بأدوات حادة.

كثيرون جدا هم الذين اعترفوا عن طريق العملاء، لقد ثبت ان العملاء قاموا بخدمات كبيرة للمخابرات الإسرائيلية وما زالوا يفعلون ذلك، لكن المعتقل المجـرب يعـي تمامـا ان المعتقل ليس مجالا للحديث عن بطولات او عمليات او نشاطات، مثل هذا المعتقل لا يأتي أبدا على ذكر ثورة او تحرير او عمليات فدائية او أي شيء، انه يصمت دائما ولا يتكلم حتى لـو كان محدثه والده او أمه او أي قريب آخر.

على كل سنعود الى هذا الموضوع في فصل كامل

جهاز كشف الكذب

من شان هذا الجهاز ان يرصد بعض التغييرات التي تطـرا علـى جسـد الإنسـان كنبضات القلب وإفرازات العرق الناجمة عن توترات عصبية، وهنا لسنا معنيين بطريقة صنع الجهاز او مكوناته، وانما معنيين بشرح الهدف منه والأشياء التي يمكن ان يرصدها.

قبل استخدام الجهاز يعمل المحقق على ترهيب المعتقل بقوله ان هذا الجهاز يعطيـه مؤشـرا عندما يكذب، والمؤشر هنا يكمن في ذبذبات ترتفع وتنخفض تبعا للتغيرات التي تطـرا علـى الجسد، ومن الممكن ان يلاحظ الإنسان العادي بعض التغييرات عندما يكذب فـي أي مكـان، فإذا سئل عن مكان وجوده قبل ساعة من الزمن أعطى مكانا غير المكان الصحيح، فانه يشعر ببعض الخفقان وربما ببعض الحرارة غير الاعتيادية في البطن، وربما يشعر ببعض إفرازات العرق إذا تلمس أطراف أصابعه، لكن هذه الأعراض يمكن ان تختفـي إذا كـان الشـخص محترفا عملية الكذب بحيث أصبحت مسالة الكذب لديه عبارة عن عادة لا تخلق لديه وضـعا نفسيا يثيره.

يعتمد رجل المخابرات في جهازه لكشف الكذب على الحالة النفسية التي يكـون فيهـا المعتقل عندما يكذب، تغير الحالة النفسية يؤدي الى ظهور بعض التغيرات الدالة عليها، وبمـا ان الجهاز يستطيع ان يرصد التغير في نبضات القلب او التغير في سرعة الـدورة الدمويـة

وإفرازات العرق، فانه يستطيع رصد التغيير النفسي الذي يطرا على المعتقل، يوصل المعتقل بأسلاك الجهاز من أذنيه وبطنه وأطراف أصابعه، والأسلاك هذه تلتقط التغيير مهما كان بسيطا، فعندما يحصل تغير ترتفع الذبذبات وينتبه المحقق الى موقع الكذب.

يحاول المحقق ان يبرهن للمعتقل امر كشف الكذب في البداية وبعد وصله بأسلاك من خلال الطلب منه التركيز على رقم معين من 1-10، او ان يركز على رقم من أوراق اللعب، ثم يطلب المحقق من المعتقل ان يقول "لا" لكل رقم يذكر، يبدا المحقق بذكر الأرقام وبما ان "لا" تقال لكل الأرقام فان المعتقل يكون قد كذب بالنسبة لرقم واحد ويكون قد ظهر ذلك على الذبذبات مما يفيد المحقق حول الرقم الصحيح.

الجهاز ليس لعبة، انه يرصد التغيرات ويعكسها في ذبذبات فقد شاع بين المعتقلين ان الجهاز لا يعمل بالطريقة التي يصفها المحقق وانه مجرد وسيلة ترهيب، ونحن نقول ان الجهاز حقيقي لكنه لا يشكل إثباتا أمام المحكمة، انه ممنوع في العرف الدولي ولا يجوز استخدامه ضد المعتقلين، وعليه فانه على المعتقل الا يوقع على استخدام الجهاز ضده، إذا فعل فانه يخالف بذلك الأعراف الدولية.

هذا ومن الجدير بالذكر ان الجهاز قد يشير الى موقع لا تقال فيه الحقيقة لكنه لا يكشف عن الحقيقة، وحتى يستطيع المعتقل مواجهة مثل هذا الجهاز، فان عليه الا يسلي نفسه بأقاويل حول عدم خطورة الجهاز، بل عليه ان يسلح نفسه بوسائل تعكر عمل الجهاز، وهذا لا يتأتى الا باتباع خطوات تجعل المحقق غير قادر على تحديد الكذب من الصواب، انه ليس من السهل ان نوصي هنا بالا يتأثر المعتقل عندما يكذب لان الظرف الموضوعي الموجود فيه المعتقل أقسى من ان ينسى انه يكذب في موقع من هذا القبيل، لكن السهل هو ان يعمل المعتقل على توتير أعصابه بنفسه، من الأفضل ان يعمل المعتقل على تذكر مواقف سخيفة او محرجة وضع فيها، او ان يتذكر أمورا تثير الغضب او مواقف تقشعر منها الأبدان، او ان يتصور انه يموت ويحمله الناس ليدفنوه، او انه يستثار فترتجف أعصابه أي عليه ان يتخيل مواقف ترفع من نبضات قلبه ومن إفراز العرق لديه، من شان هذا ان يؤثر على ذبذبات الجهاز وتبدو في الغالب انها تشير الى الكذب.

إذا لم يستطع المعتقل وضع نفسه في مواقف ترفع من حدة التوتر لديه، فان عليه أن يستخدم الشهيق والزفير، عليه ان يأخذ شهيقا عميقا ويصبر عليه قبل ان ينفثه، وينصح

بصورة عامة ان يتنفس في الدقيقة ست مرات، يؤدي التنفس هذا الى استرخاء العضلات وتقليل التوتر وكذلك إفراز العرق، وإذا استطاع المعتقل ان يفعل ذلك فان تركيزه سيتحول عن مسالة الكذب ويصبح الاسترخاء همه الاساسي، من شان ذلك ان يبقي وتيرة الذبذبات ثابتة، ومن المهم جدا في إحداث الاسترخاء والسيطرة على الجسم ان يطلق المعتقل لأعضائه الحرية ولا يكبلها بأي نوع من التفكير، وعليه أيضا ان يرخي جفونه الى درجة الإغماض.

هذا ومن المهم ان نشير الى ان المحقق لا يركز أسئلته على النواحي الأمنية، وانما ينوعها، فمثلا يسال عما إذا كان للغرفة باب او فيما إذا كان لها سقف، وربما يسال فيما إذا كان اسم المعتقل كذا، الغرض من تنويع الأسئلة هو توقع إجابات نعم او لا أكيدة على بعض الأسئلة مما يجعل المحقق متأكدا من مقدار الذبذبات المؤشرة على الإجابة الصحيحة.

الصليب الأحمر

المعتقل تحت التحقيق معزول عن العالم، تعزل المخابرات المعتقل لأنها تبحث عن معلومات في صدره ربما يكون لها علاقة بأناس آخرين خارج المعتقل، وربما إذا اتصل المعتقل بالخارج ان يستطيع بالتعاون مع الآخرين إخفاء بعض الأدلة او أخبار شركاء له بما يجري فيتخذون الاحتياطات الأمنية اللازمة.

لا يسمح لاي شخص ان يتصل بالمعتقل تحت التحقيق الا الصليب الأحمر الدولي، يسمح للصليب بمقابلة المعتقل في اليوم الرابع عشر من الاعتقال، ومهمته تنحصر في ملابس المعتقل، يقوم الصليب بالاتصال بالأهل ويبلغهم بحاجة المعتقل من الملابس، ثم يعود الصليب بعد أسبوعين وهكذا، لا يقدم الصليب أي خدمة أخرى سوى لفافة او لفافتين أثناء المقابلة، ويقوم أيضا بتسجيل أي شكاوي يتقدم بها المعتقل حول ظروف الاعتقال ومعاملة المخابرات، ينقل الصليب هذه الشكاوي ويطلب حسن المعاملة.

لا يقوم الصليب الأحمر بخدمات أوسع لانه مقيد باتفاقيات تحدد خطوط نشاطاته داخل المعتقلات.

التوقيف

يوقف المعتقل تحت التحقيق لمدة ثمانية عشر يوما، بعد ذلك يتوجب على المخـــابرات ان تحصل على أمر توقيف لمدة شهر، وبإمكانها ان تعطي أمرا لشهرين او أمرين منفصـــلين لكل شهر على حدة، هذه مسالة خاضعة للتغيير حسب ما يراه المشرع الإسرائيلي.

تطلب المخابرات أمر التوقيف من اجل استكمال التحقيق مع المعتقل، وطلب الحصول على أمر التوقيف يعني ان المعتقل لم يعترف بالتهم الموجهة ضده، أي انه اعتـــرف جزئيـــا، وإذا انقضت فترة الثمانية والسبعين يوما التي تشكل فترات التوقيف، فانه من الممكن ان تقوم المخابرات باعتقال المسرح فور إطلاق سراحه، وربما تعتقله بعد خروجه من بـــاب المعتقـــل مباشرة، وذلك من اجل ابتزاز اعتراف منه.

هذا وقد دأبت المخابرات على الطلب من المعنيين بإصدار أوامر اعتقال إدارية بشان الذين لا يعترفون مع وجود أدلة واضحة ضدهم، حيث ان المحكمة لا تستطيع ان تحكم ضـــد شخص لم يعترف بالتهمة، فان المخابرات لجأت الى الإجراءات الإدارية، وقد طالـــت مـــدة الاعتقال الإداري حتى وصلت الآونة الأخيرة من إجراءاتها حسب ما رآه المشرع، واصـــبح بوسعها ان تدين شخصا بشهادة آخرين ضده، أي ان اعتراف الشخص المعني بالتهم او التهمة لم يعد السند الوحيد لإصدار حكم ضده.

الإجراءات النهائية

يطلق سراح المعتقل إذا لم يعترف ولم تستطع المخابرات تقديم أدلة واضحة ضده.

اما إذا اعترف فانه يكتب اعترافه لدى رجل المخابرات، ومن ثم يرسل الـــى مكتـــب الشرطة حيث يكتب محضر رسمي بالاعتراف ويقدم للمحكمة، يستلم المدعي العام العســـكري القضية ويعمل على تحديد موعد للمحاكمة، وبالطبع بإمكانه ان يحصل على أمر توقيف طويل من المحكمة استنادا على الاعتراف المتوفر، إذ انه يكون لدى المحكمة ما تستند عليه قانونيا.

ينقل المعتقل بعد هذه الإجراءات الى المعتقل ليصبح تحت إشراف إدارة المعـــتقلات، أي ان فترة عزله تكون قد انتهت، ويدخل الغرف ليعيش حياة اعتقالية جديـــدة فـــي انتظـــار انقضاء فترة الحكم.

ملحق

نورد هنا قصة أحد المعتقلين مع رجال المخابرات كما كتبها، وذلك كمثال عملي على الأساليب المختلفة التي تتبعها المخابرات في التحقيق.

بسم الله الرحمن الرحيم

في ذات ليلة وفي حوالي الساعة الحادية عشرة ليلا، اقتحمت مجموعة من أفراد العدو غرفتي التي كنت بها انا وست اخوة، ولقد كان الاقتحام بعد فرض الطوق على البيت، وكان عدد أفراد العدو يقارب ل 30 فردا، وعند عملية الاقتحام حضر مختار المخيم مع ضابط الاعتقال واسمه دافيد، في هذه الأثناء كنت أغط بنوم عميق لأنني كنت في النهار اعمل عملا شاقا لأول وهلة تقع أنظار العدو علي، قام أحد الجنود بوضع القيود في يدي، وبدأت عملية تفتيش واسعة بالبيت فوجدوا بعض المجلات مثل البيادر والشراع وبعض الكتب الثقافية وخارطة لفلسطين، كان أحد اخوتي قد رسمها، وبعد ان عاثوا في البيت فسادا أخذوني مكبل اليدين معصوب العينين، في سيارة عسكرية الى سجن جنين، وفي هذه الأثناء كانت الساعة تقارب على الثانية ولقد عرفت الوقت من ساعة حائط، وبعدها أخذوني الى مكان التحقيق في غرفة تقع على الطابق الثاني، وعندما بدا الصبح يتنفس قام ضابط التحقيق باستدعائي وبدا يطرح أسئلة بعيدة جدا عن أي موضوع سياسي أم عسكري، وهذه الأسئلة كانت تتعلق بالعمل أين تعمل، وما هي صنعتك وما رأيك ان تمدد بيتي بالكهرباء، وطبعا بعد ان عرف أنني اعمل كهربائي، ولقد كانت الإجابة أنني لا اعمل عند اليهود، بعدها قال لي بسلم عليك سليم، فقلت له من هو سليم فقال لي لا تعرف شخص اسمه سليم، قلت الذين اسمهم سليم كثيرون فقال لي انا اقصد سليم الموجود في حيفا، عندها شعرت بان الأمر ليس هين قلت اعرف هذا الشخص، وهو قريب لي، عندها قال هل تعتقد أنني أحضرتك من البيت في هذا الوقت حتى أقول لك ان سليم يسلم عليك قلت له ماذا تريد ان أقول، انت تقول سليم بسلم عليك وانا أقول الله يسلمه، عندها قال لي كم مرة سافرت الى عمان، قلت مرتين، فسال واي السنوات كانت، قلت 80، 82، وبسرعة قال ومن مسئولي المنظمة قابلت في عمان وكم هي كمية النقود التي تسلمتها منهم، فقلت ذهبت الى عمان من اجل ان احصل على تعاقد مع السعودية او أي دولة خليجية لأنني خريج معهد قلنديا، قال لي هذه بالنسبة للمرة الأولى فلماذا سافرت المرة الثانية، قلت لأنني جربت حظي مرة واحدة وهذا لا يكفي، فقال لي انت تكذب فأجبت أنني أقول

الصدق، عندها ضرب بيده الطاولة وقال لي سوف تقول كل شيء عندما تشاهد سليم وسـليم موجود في سجن الجلمة فقلت له انا مستعد ان أواجه أي إنسان لانه لا يوجد بيني وبين الناس الا كل خير، بعدها صرخ على جندي واقف بجانب الباب وقال له أجلسه على مطلع الـدرج، فبقي الحال على هذا المنوال يومين وانا جالس على مطلع الدرج، ولم ترى عيني النـوم ولا للحظة واحدة بعدها أحضرني الى الغرفة وتناول ورقة وقلم وبدأ يرسم مسدس وقنبلة ويقـول لي ما هذا فقلت له لا اعرف ما هذا فقال لي هذه الأشياء التي كنت تشتريها من سليم، فأنكرت أي علاقة لي بسليم بخصوص هذا الشيء وكنت اركز على انه يوجد علاقة قرابة ولا غرابـة في هذه العلاقة، عندها طلب مني ان اخلع ملابسي فرفضت وبعدها احضر جنـديين وقـاموا بنزع الملابس عن جسدي أدخلوني الى الحمام وفتح علي حنفية الماء البارد وبعدها أدخلنـي الى غرفة فيها تيار دافئ وكان يسألني عن أي علاقة لي بسليم بخصوص السلاح وانا أنكـر، يعيد الكرة مرة تلو الأخرى، وبعدها يجلسني على مطلع الدرج، استمر هـذا الحـال أسـبوع وكانت هذه الطريقة تتم في الليل اما في النهار فكان أحد ضباط المخـابرات يجلسـني علـى كرسي ويداي مكتوفة الى الخلف ويبدأ بالبصق على وجهي وشتمي خاصة إخـواني وامـي، ويقول لي بعد ساعة او ساعتين سنحضر أختك ونعريها أمامك وسنفعل بها كذا وكـذا، كـان جوابي احضروا من تريدون واعملوا ما تشاءون، وفي الليل يخرج صراخ قـوي مـن أحـد الغرف ومن حسن حظي أنني كنت اعرف كثيرا من أساليب التحقيق وهذا بفضل ان الاخـوة محمد العلي وسعيد اعتقلا اكثر من مرة، وكما أسلفت بعد حوالي تسعة أيام حضرت سـيارة عسكرية وعصبوا عيني وكبلوا يدي ورجلي ونقلوني الى سجن آخر وعندما دخلت السجن قام الشرطي بخلع الكيس عن رأسي وقام بعملية الشبح ولقد شاهدت شخص يلبس اللبس العسكري للثورة وهي ما يطلق عليه (المبرقع) بعدها بحوالي ساعة أدخلوني الى زنزانة وبها شـخص ويوجد بهذه الزنزانة سرير بطابقين ويوجد بالطابق العلوي شخص نائم ويلبس نفـس الـزي الذي ذكر وبعد حوالي نصف ساعة فاق من نومه وبدا بالتعرف علي، فقلت له أنني اسكن في مخيم بلاطة واعمل في شركة بنابلس بقسم الكهرباء وأشياء عادية، وفي هـذه الأثنـاء دخـل الشخص الذي رايته مشبوح بالخارج يسلم علي بحرارة وبدا بالأسئلة وكنت أحاول ان ابتعـد عن أي موضوع سياسي ولقد قالوا لي انهما من لبنان ونزلوا دورية خلـف خطـوط العـدو استشهد أحدهم وهما الاثنين مع رفيق ثالث لهما في الزنزانة مجاورة وفي أثناء الليل حـاولوا ان يعرفوا لماذا انا معتقل فقلت لهم أنني لا اعرف لماذا انا هنا وفي أواخـر الليـل حضـر شرطي وصرخ باسمي أخذني وسجنني حتى الصباح الباكر وبعدها أرجعني الى نفس الزنزانة فقال لي أحدهم أين كنت فقلت له كنت مشبوح فقال لي انك لا تقول الصدق، عندها قلت انظر الي كيف ان القيد قد حفر حفرة في ساعدي وكما أسلفت كنت اعرف انهم عملاء لكني حاولت

ان لا اظهر أي شيء حول معرفتي هذه –بعدها جلست وكان الحديث عن الضـــفة والنشـــاط السياسي وانا أحاول جر الحديث عن الرياضة والفن، بقيت في هذا الحال ثلاث ليالي وبعدها، جاء الشرطي وصرخ على اسمي أحضرني الى ضابط المخابرات وقال لي ســوف أجعلــك تسمع كل شيء من سليم واوقفني خلف الباب وبدا يسال سليم هل تعرف شخص اسمه ســـعد العمري قال نعم، عندها سأله كم قطعة سلاح اخذ منك، أجاب 3 مسدسات و3 قنابل، فقال لي هل تسمع قلت نعم وهذا كذب وافتراء، وعندها قال لي ان سليم مستعد ان يشهد عليك وأمامك فقلت انا مستعد، ففتح الباب وظهر سليم وسط خمس من رجال التحقيق فقال له ضابط التحقيق قل لسعد كل شيء فبدا بسرد القصة عندها هجمت عليه وضربته برجلي وقلت له انك كــذاب وإذا كنت تفتش عن خراب بيتي فلن تفرح لأنني بريء وفي الحال قفز 3 من رجال التحقيــق وامسكوا بي جيدا وقالوا لسليم تكلم عن كل ما تعرفه، فقال أشياء كثيرة وانا أنكر كل شـــيء، قلت لهم هذا سكير ويشرب الحشيش وعندما لم يجد أي إنسان يخرب بيته وجدني انـــا، هـــذا الكلام بعد ان أخذوني الى غرفة مجاورة وقالوا لي لماذا يريد سليم ان يلقي عليــك بالتهمـــة، عندها قلت لهم لانه يوجد أخ لي بالسجن وبما ان اخوي سجن على قضية أمنيـــة فـــيمكن ان تصدقوه، عندها انهالوا علي بالضرب والركل وبعد حوالي ساعة أدخلوني الى زنزانة وكـــان سليم في زنزانة مجاورة وعنده العملاء الاثنين اللذان يلبسان الزي العسكري وقف سليم علـــى الباب وحاول ان يبرر اعترافه علي وقال لي انه عذب كثيرا وان أشخاص اعترفوا عليه وانا أقول له انت تعرف أنني بريء فلماذا تحاول ان تلبسني هذه التهمة بعـــدها أشـــرت اليـــه ان يسكت ولكنه لم يستجب وعندها قال لي انه مجبرا على الاعتراف وانه اعترف علي لوحـــدي ولم يعترف على الاثنين اللذين معي فقلت له على الفور اسكت ولا تتكلم ولكنه استمر بالكلام واصفا نفسه انه قاوم كثيرا ولكن كان أمامه ان يعترف، وعلى الفور أخذوه من الزنزانة وفي اليوم التالي سألوني عن الاثنين اللذان معي فقلت لهم لا اعرف أحد فقالوا لي لا تعرف محمد العلي بطل الكمال الجسماني وسعيد عبد الله البطل الآخر قلت لا توجد لي معرفة بهم من قبل سوى أنني قبل 3 أعوام تدربت على رياضة الكمال الجسماني في نابلس واعرفهم كما اعرف الكثير من الشباب وفي نفس الليلة أحضروهم وبدأ بمرحلة تعذيب قاسية جدا، ولقد كان ســـليم قد قال كل شيء يعرفه وبالتفصيل، عندها كان لا بد من الاعتراف لان كل الأدلة كانت ضدنا وان هذا التعذيب والإرهاق والصمود الذي أبديناه سيكون نهايته الحكم المؤبد لانه في قـــانون تامير الذي ينص على انه إذا اعترف شخص واحد شخص او مجموعة سيحاكموا ولو هم لـــم يعترفوا، بعدها كان الاعتراف وهو قتل العميل عليوي والقاء قنبلتين على سيارتين إسرائيليتين من اللتان تسافران الى ألون موريه عندها حاولوا معرفة كل شيء فكـــان اعترافـــي تنظـــيم، اتصال مع القيادة بالخارج تنظيم اخرين، احضار سلاح والاتصال بالداخل، التخطيط، إعطـــاء

الأوامر ورئاسة مجموعة عسكرية، ولكن الأمر لم يتوقف لان سليم عاد واعترف انه أعطاني 22 قنبلة يدوية فعاد التعذيب من جديد وهم اعتبروا ان الاعتراف الأولي كان خدعة لهم وكالوا لنا جميع أنواع التعذيب الذي ابتدعته عقلية الإرهاب الصهيوني الا ان جميع أفراد المجموعة بقوا صامدين على نفس الاعتراف السابق، وبعد هذه المرحلة، عادوا بنا الى سجن جنين وهنا كان لنا لعبة أخرى مع العملاء، فلقد وضعونا انا والأخ محمد كل لوحده في زنزانة وكان يوجد بين هاتين الزنزانتين مسافة كبيرة حيث كنت انا في زنزانة رقم 8 والأخ محمد في زنزانة رقم واحد ولقد شعرنا ان جميع من في الزنازين تقريبا هم عملاء، ولقد كان في نفس هذه الفترة يوجد عميل اسمه سامي مبارك ولقد عرف من قبل الشباب وفي فرصة العيد تم ضربه في مردوان قسم ج، ونال عليه الأخ محمد حكم مدته 3 سنوات، ولقد ركز العملاء على معرفة شيء أخفيته أم لا، ولقد حاول العميل سامي بجميع الوسائل الحقيرة ان يحصل منا على أي كلام الا انه فشل، وعندها وبعد يومين أحضرت سيارة جيب عسكرية ووضعوا بها الأخ محمد وانا وكلانا مكتوف اليدين الى ماسورة بجانب السيارة وقالوا لنا أننا ذاهبون الى منطقة نابلس، وفي الطريق عندما وصلت السيارة في منطقة الشهداء نزل الجنود مدعين انهم سيتناولون بعض الساندويش والكولا، وتركونا لوحدنا عندها أشار الي الأخ محمد بعدم التحدث لانه يوجد في السيارة مسجل، فكان ان فشل الملعوب الجديد والذي عرفته لاول مرة في حياتي وبعد حوالي نصف ساعة رجع الجنود وقالوا لنا عملتم بما قلناه لكم أي لم تتحدثا مع بعضكما البعض فقلنا نعم، وفي مقر الحكم العسكري في نابلس وبجانب مكتب الهويات حاولوا إعادة الكرة مرة ثانية الا أنها فشلت حيث نزلوا من السيارة وابتعدوا كثيرا وكل هذه الفرص حتى نتحدث انا والأخ محمد، وان أشياء يعتقدون اننا نخفيها ولكننا كنا حذرين للغاية وفي نفس اليوم عادوا بنا الى سجن جنين وبدءوا بعملية تعذيب متواصلة ومكثفة مثل الشبح من يوم الأحد صباحا حتى يوم الجمعة مساء ولمدة شهر تقريبا. ولقد كان التركيز في هذه الفترة حول عملية مقتل زهير مناع واطلاق النار على أمام مسجد عسكر احمد القطناني وشخص قتل في مدينة طولكرم اسمه محمود عمر، ولقد كانت حجتهم ان جميع هؤلاء أطلق عليهم النار في نفس الفترة التي قتل فيها وليد عليوي ومعلوماتهم ان الذي نفذ كل هذه العمليات حتما ستكون مجموعة واحدة لان المنطقة كانت قبل هذه الفترة تنعم بالهدوء، الا انهم لم يأخذوا مع المجموعة لا حق ولا باطل واستمر الحال الى حوالي 4 شهور من التحقيق المكثف وبعدها، طلبني ضابط المخابرات وقال لي نحن متأكدون أنكم مجموعة خطيرة جدا ولقد قمتم بقتل واحد عربي هذه المرة ونحن خائفين ان تكون المرة القادمة عملية القتل تصاب يهودي، ولهذا قررت وزارة الدفاع تسفيرك الى الخارج عن طريق لبنان، وقال لي انه بعد ساعة سوف تحضر سيارة شرطة عسكرية ويتم نقلي الى سجن في الشمال (تبين انه سجن عكا) وبعدها يتم

إرسالي الى سجن أنصار ومن ثم اسلم الى الثورة الفلسطينية، ولقد تمت عملية النقل الى سجن عكا ومن ثم وفي صبيحة اليوم التالي الى منطقة صور والى بناية مدرسية في تلـــك المنطقـــة أدخلوني الى إحدى الغرف وكان يوجد بداخلها خمسة أفراد، وعندما عرفوا أنني من فلســـطين كان سلامهم حارا جدا، ولكنني كنت يقظ للغاية فبعد فترة حاولوا عمل ملعوب جديد. وهـــو يتمثل بما يلي:

سألني أحدهم لماذا انت معتقل، فقلت له يوجهون لي بعض عمليات القتل والقاء القنابل على أفراد العدو، فسال رجل انت معترف قلت له لا، لانه لا يوجد عنـــدي أي شـــيء ممـــن يدعوه رجال المخابرات، فقال ولماذا أحضروك إذا الى هنا فقلت له القصـــد بـــأنهم ســـوف يرسلونني الى معتقل أنصار ومن ثم الى شمال لبنان، عندها قال لي لا يوجـــد إنســـان فـــي معسكر أنصار الا وعنده قضية فكيف ستكون هناك قلت له هكذا هم يريدون، فقـــال لـــي ان الحقيقة غير ذلك، قلت له وما هي الحقيقة برأيك؟ قال انت عميل لصالح إسرائيل ويريدون في هذه العملية إدخالك الى صفوف رجال الثورة في معسكر الأنصار لتتجسس عليهم، قلـــت لـــه عندها هذا كلام غير صحيح وعندما سنكون في أنصار فان الاخوة هناك سوف يتأكـــدون إذا كان هذا الكلام كذب ام حقيقة وظل الكلام يدور حول هذه الأمور وإننا في مساء اليوم الثـــاني سننقل الى الأنصار، الا انه في حوالي الساعة السادسة من نفس اليوم جاء جنـــدي وصـــرخ باسمي وعندما حضرت الى قائد عسكري قال لي أين جواز سفرك قلت له وهل انـــتم عنـــدما تعتقلون أحدا تتركون معه أي أوراق فقال وكيف تريدني ان ابعث بك الى معسكر أنصار دون استلام جواز سفرك ومن ثم شطب اسمك كمواطن في دولة إسرائيل، عندها قال لـــي ســـوف تذهب الى سجن جنين من اجل إحضار جواز السفر فغادرت بنا الســـيارة وكنـــت معصـــوب العينين وبعض الجنود يكيلون لي بعض الضربات من فوهات البنادق الى ان وصلنا الى سجن رام الله في نفس الليلة ولم يتم التحقيق معي هناك وفي اليوم الثاني تم نقلي الى ســـجن جنـــين وفي نفس اليوم أدخلوني الى الغرف وبعد ان أمضيت قرابة 3 ساعات عادوا من جديـــد الـــى غرف التحقيق ومكثت أسبوعا وبعد 4 شهور وخمسة أيام انتهى التحقيق معنا نهائيا.

تطور الظروف الاعتقالية

لم يعش الفلسطينيون داخل الأقفاص الحديدية الصهيونية على وتيرة واحدة عبر سني الاعتقال. بل شهدت الحياة الاعتقالية تطورات مختلفة على أصعدتها الغذائية والصحية والثقافية والتنظيمية. ولم تكن هذه التطورات فجائية، وانما كانت محصلة تدريجية لنضالات شاقة خاضها المعتقلون سقط خلالها العديد من الشهداء، دفع المعتقلون ضريبة كل إنجاز حققوه أو عملوا على تحقيقه،وليس من المتوقع ان حققوا أي تطور إيجابي في المستقبل بدون هذه الضريبة.

نحاول في هذا الفصل ان نتتبع ظروف المعتقلات منذ عام 1967 حتى وقتنا الحاضر ونعمل على توضيح سياسة إدارة المعتقلات،والإجراءات المضادة التي حاول المعتقلون اتخاذها لمواجهة هذه السياسة،لا يعالج الفصل تطور ظروف كل معتقل على حدة،وانما يحاول ان يجد العوامل المشتركة التي تصف بصورة عامة تطور الظروف في مختلف المعتقلات، لكل معتقل ظرفه الخاص والمتميز،الا ان المعتقلات لا تنفصل عن بعضها وتبقى جميعها ضمن ذات البوتقة.

خارطة المعتقلات

نحاول في بداية هذا الفصل تحديد المعتقلات جغرافيا محاولين إعطاء وصف لكل معتقل بقدر الإمكان:

أ. معتقلات الوسط الشرقي من فلسطين: يوجد في الوسط الشرقي من فلسطين سبع معتقلات،منها أربع أنشأها الاستعمار البريطاني بهدف القضاء على الثورة الفلسطينية المضادة له وللغزو الصهيوني،وخامس أنشأته الدولة العثمانية.

كما عمل العدو الصهيوني على إقامة منشات واجنحة جديدة، وحول مواقع إسطبلات الخيول الى زنزانات وغرف اعتقال،كما انشأ العدو الصهيوني معتقلا جديدا غربي مدينة نابلس، وهو معتقل جنيد. كذلك حول أحد مراكز الشرطية في الفارعة الى معتقل. وهذه المعتقلات هي:

1. معتقل نابلس المركزي: يقع شرقي مدينة نابلس انشيء في العهـد العثمـاني، عمل الاحتلال الصهيوني على زيادة طاقته الاستيعابية،وكان يعتبر اكبر معتقل في الوسط الشرقي من فلسطين حتى بناء معتقل جنيد،يتسع هـذا المعتقـل لحـوالي خمسمائة معتقل.
2. معتقل جنين: يقع في الشمال الغربي من مدينـة جنـين أنشـيء زمـن الاسـتعمار البريطاني،وسّعه الاحتلال الصهيوني بحيث وصلت طاقته الاستيعابية الى المائتين.
3. معتقل الخليل : يقع الى الشمال الغربي من مدينة الخليل،انشـيء زمـن الاسـتعمار البريطاني،عمل الاحتلال الصهيوني على زيادة حجم استيعابه الى ما يقارب مائتي معتقلا.
4. معتقل رام الله : يقع الى الشمال الغربي من مدينة رام الله،انشـيء زمـن الاسـتعمار البريطاني وسّعه الاحتلال الصهيوني وأصبحت سعته حوالي مائة وعشرين معتقلا.
5. معتقل الفارعة: يقع الى الجهة الشرقية من مخيم الفارعة، وعلى بعد أمتار منه حيـث يفصل بينهما الشارع الرئيسي. كان مركزا للشرطة زمن الاستعمار البريطاني. اما غرف الاعتقال الحالية فكانت إسطبلات للخيول زمن الاستعمار البريطاني وزمن الحكم الأردني. أضيف معتقل الفارعة الى قائمة مراكز الاعتقال القائمة حينما صدر الامر العسكري فـي أيار/1982 والذي يحمل رقم 998. حوله الاحتلال الصهيوني الى مركز للتحقيـق بعـد إنشاء زنزانات و تحويل الإسطبلات بطريقة تلائم التحقيق.

اصبح المعتقل منذ كانون ثاني/1984 مركزا للتحقيق والاستجواب، ينفرد هذا المعتقل في كونه الوحيد من بين المعتقلات الذي يقع تحت مسئولية مديرية المعتقلات العامة،كما وانه المعتقل الوحيد الذي تنصب فيه الخيام للمعتقلين، حيث يزج في الخيمة الواحدة أكثر من خمسين معتقلا.

6. معتقل جنيد: يقع الى الغرب من مدينة نابلس، يعتبر المركز الاعتقالي الأول من حيث المساحة وحجم الاستيعاب.كما ويعتبر المعتقل المركزي للوسط الشرقي من فلسطين. افتتح هذا المعتقل بتاريخ2/7/1984 . اما عن أسباب إنشائه فقد تحدث وزير داخلية الاحتلال الصهيوني خلال حفل الافتتاح عن ذلك فقال:"ان الهدف من بناء هذا المعتقل هو لتخفيف حدة الازدحام في معتقل بئر السبع ولإغلاق معتقل صغير قرب

طولكرم. ولمنع عمليات الهروب، ولتقليل عدد المواطنين اللازمين للعمل،بسبب وجود الأجهزة المتطورة فيه". ويتسع لحوالي ثمانمائة معتقل.

ب_ معتقل ساحل غزة: يقع الى الشمال الغربي من مدينة غزة، وسّعه الاحتلال الصهيوني ،واصبحت سعته خمسمائة معتقلا.

ج_ معتقلات الأرض المحتلة منذ عام 1948 :

1_ معتقل بيت ليد أو"كفاريونا":يقع شرقي مدينة نتانيا، افتتح عام 1967

2_ معتقل عسقلان : يقع في المنطقة الصناعية الواقعة في المنطقة الشمالية الشرقية من مدينة عسقلان، ويتسع الى حوالي خمسمائة معتقل.

3_ معتقل بئر السبع : يقع الى الجنوب من مدينة بئر السبع، افتتح عام 1970 ويتسع لحوالي الف معتقل وسجين. وهو مشترك للمعتقلين وللسجناء الجنائيين عربا ويهودا.

4_ معتقل الرملة : يقع في وسط مدينة الرملة، وانشيء زمن الاستعمار البريطاني،عمل العدو الصهيوني على زيادة حجم استيعابه،ويتسع لستمائة معتقل وسجين، ولم يزد المعتقلون فيه على ستين معتقلا في أقصى حالات تواجدهم،اما باقي النزلاء فهم سجناء جنائيون عرب ويهود. تعتبر الظروف الحياتية فيها فضل من بقية المعتقلات بحكم كونه معتقلا مركزيا له أنظمة سابقة منذ عام 1948وعلى الرغم من ذلك أوصت لجنة برلمانية صهيونية بهدمه واعتبرته من مخلفات القرون الوسطى.و بالطبع تنبع هذه التوصية من اعتبار وجود نزلاء يهود فيه.

5_ معتقل شطا: يقع الى الشمال الغربي من مدينة بيسان،أقيم زمن الاستعمار البريطاني. وهو مشترك للمعتقلين وللجنائيين من عرب ويهود،ويزج فيه عدد محدود من المعتقلين لا يتجاوز العشرين معتقلا.

6_معتقل الدامون : يقع قرب حيفا، وهو مشترك للمعتقلين والجنائيين من عرب ويهود.

7_معتقل نفحة الصحراوي : يقع جنوب مدينة بئر السبع،وعلى بعد 70 كيلومترا منها.افتتح بتاريخ 2/5/1980 ،وكان الهدف من إنشائه عزل نشطاء المعتقلين والقياديين منهم. يتسع لحوالي ستون معتقلا.

8_معتقل النساء"نفي تيرتسا": يقع في مدينة الرملة،وهو جزء من معتقل الرملة العام، ويعتبر هذا المعتقل اقل قماءة من المعتقلات الأخرى وذلك بسبب استخدامه للدعاية أمام الإعلام العالمي

9_مركز توقيف الرملة: يقع في وسط مدينة الرملة .

10_ مركز توقيف الجلمة: يقع قرب مدينة حيفا، وهو مركز توقيف مشترك للأمنيين وللسجناء الجنائيين من عرب ويهود.

11_مركز توقيف حيفا: يقع في مدينة حيفا، وهو مشترك للمعتقلين الأمنيين وللسجناء الجنائيين من عرب ويهود.

12_مركز توقيف المسكوبية: يقع في مدينة القدس، وهو أيضا مشترك للأمنيين وللسجناء من عرب ويهود.

13_مركز توقيف بئر السبع: يقع في مدينة بئر السبع، وهو كذلك مشترك للأمنيين والجنائيين من عرب ويهود.

إضافة الى ما ذكر من معتقلات ومراكز توقيف،هنالك مراكز توقيف منتشرة هنا وهناك،منها الدائم ومنها المؤقت. هنالك مثلا معسكر عتليت المخصص لاسرى الحرب من الدول العربية. إضافة الى المعتقلات الصهيونية التي أقيمت في الجنوب اللبناني وهدمت قبيل الانسحاب الصهيوني منه كمعتقل الأنصار.

تطور ظروف المعتقلات

شهد تطور المعتقلات تذبذبا مستمرا الى ان صل الى مرحلة حقق فيها المعتقلون العديد من من مطالبهم. قدم المعتقلون عبر الزمن نضالات وتضحيات كثيرة وتوجوها بالشهداء، وعانوا من التشويهات والأمراض والعلل.وقد كانت ظروف المعتقلات على درجة عالية من السوء. بحيث لم يكن هناك من مفر من تقديم التضحيات وتحمل آلام المعاناة.

تمكنت الحركة الفلسطينية الأسيرة مع الزمن من أطير ذاتها النضالية وتحقيق العديد من الإنجازات. مرت المسيرة عبر أحداث يمكن أجمالها في مرحلتين:

أ. مرحلة المخاض: بدأت هذه المرحلة مع بداية الاحتلال الصهيوني، واستمرت حتى منتصف السبعينات. شهدت المرحلة أحداثا صعبة أبقت على تدني مستوى نشاطات الحركة الأسيرة التنظيمية والثقافية والاجتماعية. وقد تميزت هذه المرحلة بمايلي:_

1_ شدة القمع والإرهاب الممارس من قبل إدارة المعتقلات.
2_ تدني المستوى التنظيمي والسياسي والنضالي لدى أغلبية المناضلين المعتقلين،وذلك بسبب حداثة انتمائهم للثورة، وما رافق ذلك من قلة التجربة ومحدودية الوعي الثوري وضعف التجربة التنظيمية قبل دخول المعتقل.
3_ اعتماد العقلية العشائرية في فض وحل الخلافات التي كانت تقع أحيانا بين المعتقلين.
4_ وجود مرافق العمل، وما ترتب عليها من آثار سلبية كإعاقة البناء التنظيمي. وسيوضح هذا عند الحديث عن مرافق العمل.

ب_ مرحلة البناء : بدأت هذه المرحلة في منتصف السبعينات و استمرت حتى الآن. بدأت عندما تمكنت الحركة الأسيرة من تجاوز المعوقات التي حالت في المرحلة الأولى دون تقدمها وتطورها.

مرحلة المخاض

كانت المعتقلات مليئة بالمعتقلين وبالسجناء الجنائيين الذين كانوا أكثرية مع بداية الاحتلال وكانت حياة المعتقلين في المعتقل سيئة جدا، وكان"قبضايات" الشوارع يصولون ويجولون بحرية في الغرف. وسادت الفئوية المتزمتة والبلدياتية والعشائرية والتعصب، إضافة الى ممارسات السجناء الجنائيين اللاأخلاقية. إلا ان المعتقلين تواجدوا في غرف خاصة بهم الى جوار السجناء الجنائيين.

وكانت حياة المعتقلين اكثر انتظاما وتنظيما من السجناء الجنائيين وذلك بسبب طبيعة الأهداف التي سعى كل طرف الى تحقيقها. فالمعتقلون مناضلون وثوار ويتمتعون بخلق ثوري، وجربوا حياة منضبطة في القواعد ومن خلال الالتزام التنظيمي. عدا عن ذلك فان المسألة في جوهرها من ناحية نفسية تكمن في الكرامة الشخصية و الوطنية للمعتقلين مما حتم

عليهم ان يقولبوا أنفسهم في إطار واقع التحدي و المجابهة و الاستعداد لكل طارئ، ووصل بهم الامر الى ضرب بعض السجناء الجنائيين في غرفهم نظرا لتماديهم في الممارسات السلبية مع زملائهم في الغرف، خاصة وان الشكاوى ضد هؤلاء السجناء كانت في اعداد متصاعدة.

ان وجود عدو حاقد على المعتقلين مع وجود أنماط حياتية سيئة عند السجناء المدنيين جعل المعتقلين في واقع مميز عن أي محيط آخر. وهذا لايعني أنهم كانوا في درجة المثالية في النظرة و التصرف، بل عانوا من العديد من المشاكل التي لم تشكل محورا قويا في تفتيت جهودهم وحياتهم المشتركة، الا ان بعض الممارسات السلبية داخل المجتمع الاعتقالي كانت تتم بسبب:

1. قلة التجربة الناجمة عن حداثة وجودهم داخل المعتقلات وعدم وجود تجربة اعتقالية سابقة. وبالتالي افتقروا الى تصورات مسبقة لحل المشاكل التي تواجه المجتمع الاعتقالي.
2. قلة الوعي: لاشك ان عملية البناء التنظيمي لهؤلاء المعتقلين كان ينقصها الكثير من الوعي السياسي والثقافي، وكذلك الوعي حول مفهوم الثورة وتجارب الثورات العالمية حتى حينما كان يتم التركيز على هذه القضايا لم يكن يعير لها المناضل اهتماما، وبقي همه الرئيسي منصبا على مقاومة العدو.
3. عدم استيعاب واقع الحياة الجديدة بشكل واع سليم،لم يكن المناضل يفكر بالاعتقال ولم يتهيأ نفسيا لحياة الاعتقال ، وكذلك لم يهيئه تنظيمه بالشرح حول ظروف الاعتقال وكيفية مواجهتها. فحينما وجد نفسه في ظروف جديدة وقاسية كان من الصعب التكيف مع هذه الظروف بسهولة ويسر.
4. اختلاف بيئات المعتقلين: نتيجة لوجود تمايز اجتماعي وثقافي ومادي وسياسي بين المعتقلين ظهرت هناك بعض الخلافات فيما بينهم.

كان لاعتقال بعض القيادات اثر واسع في تحويل وتطوير الحياة الاعتقالية، فقد اعتقل أعضاء من حزب البعث والقوميين العرب وفتح وممن تميزوا بخبرة طويلة وقدرة تنظيمية عالية، دأب هؤلاء على العمل من اجل فتح حوارات ونقاشات حول الثورة والقضية والعدو، وركزوا على ظروف المعتقل وكيفية تطويرها. وحثوا على المطالعة في سبيل تطوير الحياة الثقافية التي تجعل من الشخص المعتقل أكثر قدرة على فهم الواقع والتعامل معه بطريقة تخدم الحركة الاعتقالية.

لعب عدد من المعتقلين وعلى رأسهم أحد قادة فتح دورا أساسيا في محاولـة تنظـيم الحياة الاجتماعية تحت شعار العمل الجماعي المشترك، والاهتمام بأوضاع المرضى وكبـار السن، والتركيز على تنمية العلاقات الاجتماعية بين الجميع دون استثناء إضافة الى بناء روح من النقد والنقد الذاتي، وقد تمكنوا من تحقيق روح جماعية وتطوير العلاقـات القائمـة بـين الفئات و الأفراد.

تبلور داخل المعتقل جو من شأنه ان يرفع من معنويات المعتقلين ويزيدهم ثقة بأنفسهم وثورتهم وقضيتهم، وأصبحوا يتنورون حول المحكمة العسكرية وطبيعة الحكـام العسـكريين الذين أصبح ينظر إليهم على أنهم مجرمون، وانهم هم الذين يجب ان يحاكموا لا ان يحاكموا، واصبح يوم المحكمة فرصة لمواجهة الحكام العسكريين و تحديهم والاستهزاء بهم.

بدأت تتطور ظروف المعتقلات، ولكن هذا التطور لم يكن يشكل خطا مستقيما بل سار في خط متعرج نتيجة لمقاومة العدو العنيفة له، واستغلاله لظروف كل معتقل على حدة عمل العدو بكل وسيلة على قهر المعتقلين وضرب روحهم المعنوية، الا ان المعتقلين صمموا علـى شق طريقهم نحو الحصول على بعض الحقوق حتى تصبح الحياة محتملة ويشعر الإنسان معها بنوع من الكرامة.

خاض المعتقلون مواجهات كثيرة مع إدارة المعتقل مسّت مختلف شؤون الحياة داخـل المعتقل، ويمكن تصنيف نضالاتهم حول عدة محاور:

أ. الظروف المعيشية من طعام وشراب.
ب. الظروف الصحية.
ت. العلاقات مع الإدارة.
ث. دور الإضرابات في المساهمة برفع مستوى المعتقلات الى أرقى مستوى.

ولتحقيق الحقوق الإنسانية المنصوص عليها دوليا، ولتحويل المعـتقلات الـى موقـع نضالي متقدم لتصبح شوكة في حلق العدو.

الظروف المعيشية من طعام وشراب

شهدت الأيام الأولى لعهد الاعتقال، أي مباشرة بعد حرب حزيران عام1967 ، نوعا من البحبوحة من ناحية الطعام، إذ كانت إدارة المعتقلات تسمح بإدخال مواد غذائية عن طريق الأهل من خلال الزيارة. هذا الامر توقف بقرار من الإدارة مع حلول عام

1969 . ولكن الصليب الأحمر الدولي استمر في إحضار الفواكه عن طري الأهل حتى عام 1974 عندما بدأ يحضرها على حسابه الخاص حتى عام 1981 .تحكمت إدارة المعتقلات في كمية ونوعية الطعام المقدم للمعتقلين بعيد عام 1969 ، ومنذ ذلك الوقت والطعام يشكل مشكلة مزمنة بيت المعتقلين وادارة المعتقل. وأصبح بمثابة سلاح تعذيب وقتل بيد إدارة المعتقلات، وكثيرا ما اعتمدت هذه الإدارة سياسة التجويع لتركيع المعتقلين وإذلالهم من خلال سوء التغذية، هادفة من ذلك رضوخ المعتقلين لسياستها.

اختلفت كمية ونوعية الطعام من معتقل لآخر، فمثلا تميز معتقل الرملة عن غيره من المعتقلات وذلك بفضل تميز السجون المدنية عن المعتقلات الأمنية، وتميزت كذلك المعتقلات داخل فلسطين المحتلة عام 1948 عن معتقلات الوسط الشرقي وساحل غزة، وقد تميزت المعتقلات المغلقة أيضا عن المعتقلات المفتوحة، فمثلا معتقل عسقلان في بداية نشأته كان يعتبر مغلقا أمام الصحافة وزيارات البلديات والجمعيات ولا يدخله الا المحكومون وبالتالي بقي المعتقل في عزلة سهلت على الاحتلال عمليات القمع والتجويع.

شكل الغذاء، كما أسلفنا، أحد وسائل السيطرة التي تستخدمها إدارة المعتقل لإرهاب المعتقلين، وقد تقبل المعتقلون مع بداية الاحتلال الطعام دونما أدنى اعتراض، وكثيرا ما هددت إدارة المعتقل التوقف عن تقديم الطعام والامتناع عن تقديم ما يكفي، وكثيرا ما كانت إدارة المعتقل تردد" اننا نطعمكم لتستطيعوا تحمل الضرب والتعذيب ، ولا نطعمكم لتعيشوا بصحة جيدة ، بل لنقتل فيكم الصحة والمقاومة. ان الأيدي التي جاءت لتقتل ، عليها ألا تستقبل منا الطعام الجيد ، من جاء يقتل لا يستحق الحياة، ولا طعام من أجل الحياة بل من أجل العذاب والموت البطيء. لن نكافئكم على عملكم بطعام جيد، الكلاب أفضل منكم" وغير ذلك من المقولات المليئة بالحقد والانتقام والمهانة.

كانت إدارة المعتقل تقدم ثلاث وجبات في اليوم وفي فترات محددة ، اما من كان حظه في الزنزانة فكان يقدم له الخبز والماء فقد ولمدة أسبوع، اما الأسبوع الثاني فكان يقدم له نصف وجبة مع الضرب المرافق لها . أما المرضى فلم يقدم لهم أي طعام خاص رغم إصابتهم بأمراض القرحة والحساسية وغيرها من الأمراض التي تتطلب طعاما خاصا .

الطعام في المرحلة الأولى(1969_1970)

بعد ان منع إدخال الطعام عن طريق الأهل خلال الزيارة سنة 1969 ، بدأت الأزمات الغذائية. شكل الطعام الذي كان يقدم عن طريق الأهل وجبات غذائية كاملة وذات سعرات

حرارية عالية وبفقدانها بدأت عملية القتل البطيء والمبرمج من قبل إدارة المعتقل، واصبحت هذه الإدارة تتدخل في عملية بناء خلايا الجسم عن طريق الوجبات المقدمة للمعتقلين، وبـــذلك أصبحت الوجبات على النحو التالي:

صباحا : باستمرار كانت الوجبات كالتالي:نصف بيضة مسلوقة وذات رائحة كريهـــة جدا + 5 غرام زبده + 4 حبات زيتون + نصف ملعقة مربى+ ربع رغيــف خبز.

ظهرا: شربة (ماء ساخن ملون) +بذور ذرة مكانس مسلوقة كالأرز +قطعة صغيرة من السمك واللحم المجفف بوزن 40- 50 غرام + ربع صحن بطاطا مسلوقة أو مطبوخة، واحيانا معكرونة بدل البطاطا المسلوقة + ربع رغيف.

مساء: ثلث حبة بندورة + شاي (ماء ساخن مر) + نصف ملعقة لبن + ربع رغيف خبز + ربع صحن سلطة ، وأحيانا ربع صحن بيكا(وهي تشبه العدس في لونها وتستخدم كمأكول للحيوانات وخاصة البقر).

كانت كمية الأكل في المرحلة الأولى محدودة ولا تكفي لاطعام طفل صغير. وأحيانا كثيرة لم يكن بإمكان المعتقلين أكل الطعام لرداءته([1]، وكانوا يلاحظون بأن إدارة المعتقل تعمد الى رمي جزء من الطعام المخصص للمعتقلين في النفايات على ان تقدمه لهم، وكان هذا يتم في حالة حصول خطأ من الطباخ بزيادة الكمية المقررة.

الطهي في المرحلة الأولى :

إضافة للكم القليل والنوع الرديء فان طهي الطعام كان يشكل للمعتقلين مشكلة كبيرة من حيث النظافة والنضج، فكثيرا ما وجدت الحجارة الصغيرة والرمل والديدان في الطعام، وكان الطعام يقدم في الغالب مسلوقا دون نضج ، وتميز بالمرق الكثير(شوربة الماء الساخن الملون).

---

[1].تنص المادة 89من اتفاقية جنيف بشأن حماية الاشخاص المدنيين وقت الحرب على ما يلي:"تكون وجبات الغذاء اليومية للمعتقلين كافية في كميتها وقيمتها الغذائية وتنوعها، بحيث تحفظ المعتقلين في حالة صحية جيدة وتمنع تفشي الامراض الناشئة عن سوء التغذية، مع انواع الاغذية التي من عادة المعتقلين تناولها.

اما بالنسبة للرقابة على الطعام فكانت اسمية من قبل الممرض وضابط المعتقل، وقد سمع المعتقلون ممرض المعتقل يصدر أوامره للطباخ" اعمل كذا وكذا، أي لا تجعل الطبيخ ينضج، ضع صبغة حمراء على الطعام الفلاني، لاتقدم لهم أكثر من كذا". وللعلم فان الطباخ والممرض اشتركا بشكل أساسي في ضرب المعتقلين حين دخولهم المعتقل،بل كان لكل منهما زمرة خاصة به للضرب والتعذيب، هذا فضلا عن ان شرطي المطبخ كان يتحكم في الطباخين والعمال، فلا يحق لهم التدخل بشيء، فقد عليهم تنفيذ ما يأمرهم به.

شكلت قضية الطعام بالنهاية مسألة محورية يتم طرحها مع كل مشكلة مع الإدارة او تصادم معها، اوفي أي إضراب ينفذ او احتجاج يقدم. كان المعتقلون يصرون ويلحون باستمرار على تحسين الطعام من حيث الكم والنوع والطهي، وتركزت مطالبهم في التالي :

1. تحسين النوعية وتنويع الخضروات والفواكه .
2. زيادة الكمية .
3. إخراج طباخين متخصصين من المعتقل للمطبخ، واعطائهم حرية الطبخ والعمل.
4. تسليم الطباخين كمية المواد المسموحة[2] للمعتقلين لطبخها وفق طلب ورؤية المعتقلين للطريقة الملائمة.
5. تسليم المعتقلين لائحة بما هو مسموح به من كمية ونوعية الأكل والتي تحددها مديرية المعتقلات العامة.
6. تطوير أدوات المطبخ.
7. عمل جرد دائم لمخصصات المعتقلين من أكل وشرب ، لضمان عدم السرقة .
8. فصل مطبخ شرطة المعتقل عن مطبخ المعتقلين حتى لاتصل مخصصات المعتقلين في أغلبها الى مطبخ الشرطة.
9. عدم تواجد أي طباخ من المدنيين في مطبخ المعتقلين يهوديا كان أم عربيا، مع عدم السماح للعملاء العمل في المطبخ.

شكلت هذه الأمور خطوط تطور المرحلة الأولى بالنسبة للطعام ، ولم يكتف المعتقلون بذلك ، بل عملوا على مواصلة النضال من أجل وضع طعامي أفضل، ومع نضالهم برزت المرحلة الثانية.

---

[2].كانت ادارة المعتقل تسلب المعتقلين كميات مما هو مخصص لهم، وكان لديها اولويات من ناحية توزيع النوعية المقدمة، فأولا رجال الادارة وثانيا الطباخين "المدنيين"وثالثا اصحاب التوصيات الخاصة من عملاء الادارة، ورابعا واخيرا يأتي دور المعتقلين حيث توزع عليهم أردأ الاصناف.

الطعام في المرحلة الثانية (1970 -1976)

بدأ التحسن النسبي في الطعام كمّا ونوعا بعد إضراب عسقلان بتاريخ 5/7/1970 . أدخلت الفواكه عقب الإضراب لأول مرة عن طريق إدارة المعتقل ، كما ألغيت بذور المكانس وشوربة السمك ذات الماء الساخن الملون، وأصبحت الوجبات كما يلي:

صباحا : بيضة مسلوقة كاملة +30 غرام مرجرين+ ملعقة مربى+كوب من الشاي العادي ، كما زيدت كمية الزيتون + ربع رغيف خبز.

ظهرا : تم استبدال بذور المكانس بنصف صحن مجور من الأرز+ مرقة بدون شوربة السمك+ شربة مع بعض الخضروات البسيطة فيها+ ربع رغيف خبز+فواكه بواقع حبة أجاص متوسط الحجم او حبة تفاح من الحجم الصغير او نصف برتقالة + بطاطا مسلوقة او مطبوخة او مطحونة بدل الأرز ثلاث أيام في الأسبوع + قطعة من اللحم الرديء والشبيه بالكاوتشوك.

مساء : أحضرت المقالي لاول مرة ،قطعة باذنجان مقلية او قطعة زهرة مقلية+ ما يقارب ملعقة لبن مجمد+كوب من الشاي لأول مرة مع وجبة العشاء+ أحيانا بيضة مقلية+ نصف حبة بندورة + ربع رغيف خبز.

ويجب أن نشير هنا الى أن عملية طهي الطعام بقيت بيد إدارة المعتقل، وبالتالي بقي الطهي رديئا. واستمرت كذلك عملية سلب المعتقلين مخصصاتهم. كما استمرت الإدارة في هذه المرحلة في رفض الإدارة خروج المعتقلين للمطبخ، مع رفضها القاطع مساواة قائمة المعتقلين لقائمة السجناء . ويشير أحد المعتقلين الى" انه بسبب افتقار الوجبات المقدمة للقيمة الغذائية كنا نشرب معها ماء كثيرا لسد صراخ معدتنا.

اما بالنسبة لوجبات المرضى فبقيت بعيدة عن الوصف الطبي الدقيق، علما ان الطبيب او الممرض يحددان طبيعة الطعام الخاص للمرضى، وكثيرا ما استخدما الطعام كوسيلة ضغط على النفوس المريضة لتجنيدها في خدمة الإدارة.

المقصف

اما بالنسبة للمقصف فبعد ان منعت إدارة المعتقلات إدخال الطعام والصابون واللفافات من قبل الأهل في منتصف عام 1970، افتتحت مقصفا واحدا لكل معتقل يفتح أبوابه للمعتقلين مرة واحدة في الشهر لشراء حاجياتهم الأساسية حسب المبلغ المسموح به من قبل إدارة المعتقل ، والذي يعدل نصف دينار أردني، اصبح المبلغ في المرحلة الثانية دينارين ونصف، علما ان ذلك ارتبط بتآكل العملة الإسرائيلية المستمر، وصل المبلغ الى دينار ونصف وأقل.

اما بالنسبة لمواد المقصف فهي محدودة وتتمثل في لفافات تبغ من نوع عمر، شاي ، قهوة منقاة(نسكافيه) ، صابون ،سكر ، ملبس، بعض أنواع الشكولاته وصنف آخر من اللفافات يعجز المعتقلون عن شرائه.

كذلك يجب الأخذ بعين الاعتبار الأوضاع المادية المتردية لعائلات العديد من المعتقلين والتي تعجز عن توفير مبلغ المقصف، عمل الصليب الأحمر الدولي على تغطية نصف تكاليف المقصف لمن لا يملك مالا في حسابه داخل المعتقل ، اما إذا كان في رصيده أي مبلغ مهما كان قليلا فان الصليب الأحمر يمتنع عن تقديم أي عون بحجة ان له مالا في الأمانات.

المرحلة الثالثة والأخيرة لتطور الطعام (1976 -1985)

تطورت ظروف الطعام في هذه المرحلة بشكل إيجابي وذلك بفضل استخدام المعتقلين لسلاحهم الاستراتيجي وهو الإضراب عن الطعام، لان سياسة الاحتجاجات والمطالبات والمقابلات أي النضال السلبي، لم تجد نفعا. فكان لابد من خوض الإضراب. وبالفعل فقد تمكن المعتقلون من الحصول على جزء آخر من حقوقهم وكما يتضح أدناه:

صباحا : 1- ثلاثة أيام في الأسبوع فول+قطعة مرجرين بوزن 40 غرام +نصف حبة بندورة + شاي او قهوة (لأول مرة تدخل القهوة للمعتقل)+ ثلث رغيف خبز.

2- اما الأيام الباقية فيقدم خلالها بيضة مسلوقة + ملعقة كبيرة مربى + قطعة مرجرين بوزن 40 غرام +حبات من الزيتون + نصف صحن "ديسة" مكونة من السميد والماء الساخن والسكر + ثلث رغيف خبز

ظهرا : 1- ثلاثة أيام في الأسبوع الأول نصف صحن مجور من الأرز+ صحن شوربة خضار+ قطعة لحم مجمد او قطعة دجاج بواقع 120 غرام/معتقل (وكان دخول الدجاج لأول مرة) +ما يقارب 70 غرام فواكه+ ثلث رغيف خبز، واحيانا شراب ليمون بمعدل كوب/معتقل. كما اصبح المعتقلون العاملون في المطبخ يخصمون من المخصصات اليومية لعمل وجبة من المقلوبة بواقع مرة كل أسبوعين واحيانا مرة كل أسبوع ولأول مرة يتناول المعتقلون مثل هذه المأكولات.

2- اما الأيام الباقية فيقدم خلالها نصف صحن بطاطا مطحونة+ شوربة خضار + قطعة سمك او لحمة+ 70 غرام فاكهه + ثلث رغيف خبز

مساء : تحسنت وجبة العشاء نوعيا فلأول مرة يدخل السردين المعتقل واصبح لكل أربعة معتقلين علبة واحدة، يوزع السردين مرة واحدة في الأسبوع واحيانا ينعدم وجوده. كما واصبح هنالك تصنيع للمقالي من الباذنجان والبطاطا والزهرة + كوب من الشاي + ثلث رغيف من الخبز ، واحيانا نصف حبة بندورة+ بطاطا مسلوقة او مطبوخة او مطحونة بواقع ثلاثة أيام في الأسبوع بدل وجبة الأرز.

وجبة السبت: كانت تختلف عن بقية الأيام بحيث يعتبر السبت عيدا لليهود. فكانت أسوأ بكثير من الوجبات في الأيام الأخرى وكانت تتكون من :

صباحا : قطعة ككس صغيرة الحجم+ ثلث رغيف خبز+ قطعة مرجرين + كوب من القهوة + نصف حبة بندورة + ملعقة شكولاته .

ظهرا : شوربة فاصولياء يابسة + بيضة مقلية+ ثلث رغيف خبز+ نصف صحن أرز + حبة من الفواكه.

مساء :   خيارة + قطعة بندورة + زيتون + ملعقة لبن أو كــأس مــن اللــبن العادي+ ثلث رغيف خبز + كوب شاي.

كذلك كانت تقدم"المصة" بدل الخبز في بعض أعياد اليهود ولمدة أسبوع او اكثر, وهي مكونة من ذرة مطحونة ومخبوزة على شكل قطع مربعة الحجم15سمx15 سم . وتعتبر "فتــرة المصة" أسوأ فترة في حياة المعتقلين إذ يشعر خلالهــا المعتقلــون بــالجوع. ولــذلك اصــبح المعتقلون يدرجون على قائمة مطالبهم إلغاء"المصة" , باعتبارها ملزمة لليهود في أعيادهم ولا مجال لتطبيقها على المعتقلين.

اما بالنسبة لطعام المرضى فقد بقي سيئا ولا يفــي بالمتطلبــات الغذائيــة الضــرورية لمواجهة المرض.

اما بالنسبة للفواكه، ففي هذه المرحلة كان الصليب الأحمر الــدولي يحضــر 4 كغــم فواكه شهريا لكل معتقل ومن النوع المتوسط. تطور هذا الامر الى ان اصبح مرة كل ثلاثــة أسابيع. الا ان الصليب توقف عن التقديم عام 1981 بحجة ان ميزانيته لاتسمح بذلك ، ووعد ببحث عملية تعويض ذلك مع إدارة المعتقلات، علما بان قائمة الطعــام المقــررة مــن إدارة المعتقلات العامة تنص على انه" يحق لكل معتقل 200 غم فواكه يوميا"، الا ان إدارة المعتقل كانت تسلب معظم الكمية المخصصة ، واعترف ضابط العدو في إدارة المعتقلات العامة بــأن الكمية المقدمة من الفواكه والخضار لا تكفي ، مما دفع البرلمان الصهيوني الى طــرح ذلــك على جدول أعماله وطالب بتوفير " عودف"([3]) .

اعترف الدكتور كوهين رئيس دائرة الأطباء في معتقل نفحة " انه يلزم للمواطن العادي   في إسرائيل 3000 سعرا حراريا يوميا، وقال بانه يلزم المعتقل 1600 سعر حراريا لانه لا يعمل". انعكس هذا على كميات الطعام واصبح يقدم 50 غم من اللحم بدلا من 80 غم ، و120غم فواكه بدلا من 200غم.

اما في الفترة الأخيرة، أي بعد أيار عام 1985 ، عمدت الحكومة الإســرائيلية الــى تقليص ميزانية إدارة المعتقل العامة بحجة الأوضاع الاقتصادية المتردية في إســرائيل، كمــا

[3] .هي الكمية الزائدة عن الحاجة والتالفة والقابلة لاهلاكها والتي يجب اهلاكها، وعادة ما تقوم شركة تنوفا الاسرائيلية بذلك.

عمدت إدارة المعتقلات الى تقليص كمية الطعام وتغيير نوعيتـــه للأســـوأ اعتقـــادا منهـــا ان الأوضاع التنظيمية للمعتقلين غير قادرة على مواجهة النقص باحتجاج ومواجهة حادة.

لم تقف إدارة المعتقلات عند هذا الحد من الصراع مع المعتقلين بسبب الطعـــام، بـــل عمدت إدارة معتقل عسقلان الى جعل المطبخ والطباخين في المعتقل حقل تجارب كـــالفئران، فقد ظهرت في حزيران عام 1983 أعراض تسمم على الطباخين وعلى حوالي أربعين معتقلا. وقد حضر طاقم طبي وفحص محتويات مخزن المطبخ وكذلك المطبخ ولـــم يعلـــن النتيجـــة. وبعدها أحضرت آلات الأشعة" لقتل جرثومة متواجدة في المطبخ"، هكذا قالوا ، ولم يحـــددوا مصدرها ، اما أعراض هذه الجرثومة فهي ظهور حبات حمراء كبيرة على الجلد بشكل واسع وكثيف، يرافقها صداع وإرهاق. استمرت هذه الأعراض لمدة أسبوعين ، استنتج المعتقلـــون حسب المعلومات التي توفرت لديهم ان هذه الجرثومة أتت من مصدر " مجهول" وانه ربمـــا كان المقصود منها إجراء تجارب على المعتقلين وخلق حالة من القلق الداخلي في المعتقل.

المـــــاء

الماء حق طبيعي لكل المخلوقات ، وهو ملك عام ، وحق لا يجوز حرمان أحد منـــه، ولكن في معتقلات الاحتلال اصبح الماء مشكلة حياتية مرهقة، وأداة إرهاب مقلقـــة، وجميـــع المعتقلات تعاني من ظاهرة انقطاعه، حصلت تذمرات حول انقطاعه مرارا ، واصـــبح مـــادة الإضرابات ، خلقت إدارة المعتقل أعذارا لتبرير عملية انقطاعه[4]، كتبريرها بـــأن المواســـير غير صالحة وبالتالي لا تصل المياه للغرف، او بأن الخزان لا يكفي لتغطية حاجة المعتقلـــين والإدارة، واحيانا تدعي بأن مصاريف المياه كثيرة ولا يوجد ميزانيـــة لتغطيـــة الزيـــادة فـــي مصروف المياه.

ولكن المياه كانت تتدفق أحيانا في حالة حصول إضراب عام او مشـــكلة مـــع إدارة المعتقل مما يؤكد ان عملية قطع المياه تقع ضمن سياسة إدارة المعتقلات ، خاصـــة وان هـــذه الإدارة تدرك مدى تأثير انقطاع الماء على المعتقلين لما يشكل ذلك من ازعاجات رهيبة جـــدا ومن تأثيرات نعدد منها:

[4].تنص المادة 89من اتفاقية جنيف"...يزود المعتقلون بكميات وافرة من مياه الشرب..."

1. يعيش المعتقلون أوضاع اكتظاظ في الغرف وبالتالي يؤدي انقطاع الماء الى ظهور روائح كريهة من المراحيض الموجودة داخل الغرف، يسبب ذلك للمعتقلين صداعا وإزعاجا حادا.
2. نظافة الغرف والأدوات تعتمد على الماء ، وكثيرا ما كانت الإدارة تقطعه وقت الأكل ، مما يؤدي الى بقاء الصحون بلا جلي او تنظيف ، فضلا عن عدم تمكن المعتقلين من غسل أيديهم[5].
3. تسبب قلة الماء ضائقة خاصة في الصيف حين ترتفع إفرازات العرق ويصبح الاستحمام ملحا.

الماء الساخن

في بداية الاحتلال كانت إدارة المعتقل تسمح بالاستحمام مرة واحدة أسبوعيا شريطة ان يستحم كل ثلاثة معتقلين في ركن واحد وتحت دش واحد ولمدة عشر دقائق على الأكثر، وكان الماء الساخن لا يكفي لاستحمام الجميع، كما أنه لم يكن متوفرا باستمرار، اما في بعض المعتقلات فكان الماء الساخن ينقطع اشهرا كاملة تحت حجة ان مضخة المياه غير صالحة وبحاجة الى قطع غيار لا تتوفر الا في أوروبا.

ومع تطور الأوضاع الاعتقالية توفر الماء الساخن في حمامات الغرف وبشكل أفضل لما كان عليه في السابق ، واصبح الاستحمام تبعا لرغبة الفرد، ولا يفوتنا ان نذكر ان إدارة المعتقل تلجأ الى قطعه إذا حدثت أزمات بين المعتقلين وبينها، وقد حصلت صدامات عنيفة في أغلب المعتقلات بسبب مشكلة المياه ، وتقدم المعتقلون بشكاوى كثيرة لإدارة المعتقل وللصليب الأحمر الدولي ، كانت تجدي هذه الأساليب أحيانا الا ان سياسة قطع المياه تعتبر وسيلة ضغط وإرهاب على المعتقلات ووسيلة عقاب جماعية في كل حالة يشعر فيها مدير المعتقل بعدم الارتياح من تصرفات المعتقلين ، وفي حالة حدوث مشكلة يثيرها المعتقلون.

[5]بسبب عدم وجود قاعات للطعام في معظم المعتقلات، يتناول المعتقلون الطعام بين فرشات النوم"البرش" وفي وسط الغرفة وعلى طولها، مما يدعو الى ضرورة تنظيف بقايا الطعام فور الانتهاء من الاكل.

الأوضـــاع الصحية

ان أكثر ما يهتم به المعتقلون هو صحتهم بشقيها النفسي والجسماني، فهـــي القضـــية الأهم بين قضايا الحياة الاعتقالية، خاصة وأن المعتقل لا يتيح للمعتقلين ظروفا صحية ملائمـــة لبقائها بصحة جيدة، ان طبيعة المعتقل وما به من معاملات قاسية تستهدف حياة الإنسان جعلت المعتقلين يهتمون بصحتهم من نواح مختلفة:

1. القيام بأعباء النظافة ، فيوميا يـــتم تنظيـــف الغـــرف وأدوات الأكـــل والشـــرب والبطانيات.
2. ممارسة الألعاب الرياضية.
3. أكل كل ما يأتيهم من المطبخ من طعام.
4. عدم الركون الى علاج الممرض او الطبيب لانه في اغلبه عبارة عن مســـكنات لا تنفع شيئا.

ونذكر هنا حادثة وقوع أحد المعتقلين على الأرض وهو يلعب مع زميله فزاغ مفصل اليد، وحصل نزيف داخلي تم نقله على أثرها الى المستشفى ، ولكن لم يقدم له سوى حبة مسكن وعاد ويده معلقة في رقبته،باشر أحد المعتقلين بعلاجه بالتدليك بالماء والصابون الى أن شفي الى درجة لا بأس بها ، فلو بقي على علاج الطبيب لبقيت يده ملتصقة بكتفه.

5. المطالبة باستمرار بتوفير الصابون وأدوات التنظيف من الإدارة .

ان مسؤولية الظروف الصحية ملقاة بالدرجة الأولى على إدارة المعتقل ، وبالـــذات علـــى طبيب وممرض المعتقل معا.

لكن ممرض المعتقل الدائم وطبيب المعتقل المتنقل والذي يحضر مرة أسبوعيا عبارة عن عنصري قلق وتعذيب، بل تدمير وإرهاب للمعتقلين ، وهما ينفذان ما يؤمران بـــه مـــن المخابرات. لقد مارس التعذيب وحتى القتل ضد بعض المعتقلين عمدا وعن سابق إصرار كما حصل مع الشهداء راسم حلاوة وعلي الجعفري وغيرهما كما سيأتي ذلك لاحقـــا، ومارســـا عملية تنظيم العملاء وتشغيلهم ضد المعتقلين، وقد كشفت التحقيقات الداخليـــة للمعتقلـــين ان الكثير من الخونة ارتبطوا في البدء مع الممرض أو الطبيب، وان معظم من ارتبطوا معهـــم كانوا ضحية العلاج والعيادة، رغم ان مهمة الطبيب والممرض يجب ان تكون إنسانية بحتـــة

وذلك كما حددتها المادتان 91،92 من اتفاقية جنيف بشأن حماية الأشخاص المـدنيين وقـت الحروب والمبرمة في 12/آب/1949 ([6]).

يعامل الطبيب والممرض المعتقلين على أساس انهم قتلة ولا يسـتحقون الرحمـة او الشفقة وبالتالي لا يسري عليهم أي قانون انساني أبدا ، يشكل اللباس الأبيض رمـزا للخدمـة الطبية الإنسانية، لكن هذا اللباس في المعتقلات يشكل عنوانا للاجرام والقتل والبشاعة ، وخدمة تستهدف القضاء على المعتقل الفلسطيني ولكن بطرق غير مباشرة وذكيـة حتـى لاينفضـح الامر،ويعود ذلك الى خبرة الصهيونية الواسعة عن الأوضاع الصحية في المعتقلات النازيـة، والى إيمانها بمقولة ايزنهاور:" إذا أردت ان تقتل فاقتل بشكل مهذب ودون إسالة قطرة دم".

يبدو ان ترقيات الطاقم الطبي قد ربطت الى حد ما بمقدرة أفراده علـى التفـنن فـي تعذيب المعتقلين ، هذا ما استنتجه المعتقلون من خلال ملاحظتهم لسرعة الترفيعـات لـدى أفراد هذا الطاقم ولكثرة الأوسمة المعلقة على الصدور والأكتاف شهادة إجرام، ولتوضيح هذا التقييم للعمل الطبي داخل المعتقلات نسوق الأمثلة التالية:

1. العلاج : لم يشعر المعتقلون في يوم من الأيام ان قدم لمريض او محتاج أي علاج كامل . وبقي العلاج متمثلا في الغالب بحبة أسبرين اوTEV او Acamol ، وكذلك ما لا يناسب الحالة المرضية. لقد تبين للمعتقلين ومن خلال التجربة العملية بخصوص العلاج مايلي:

1) ان العلاج المقدم عبارة عن مسكن لا ينفع المريض .

---

[6].المادة **91** تنص على"يكون في كل مكان اعتقال مستوصف مناسب تحت ادارة طبيب مؤهل يحصل فيه المعتقلون على ما يحتاجونه من عناية ومن غذاء مناسب، وتخصص عنابير للعزل لحالات الامراض المعدية والامراض العقلية.

حالات الولادة والمعتقلون المصابون بامراض خطيرة اوالذين تستدعي حالتهم علاجا خاصا كعملية جراحية او عناية بالمستشفى، يجب ان يعهد الى أي منشأة فيها العلاج المناسب، ويوجه لها من العناية ما لا يقل عما يبذل لعامة السكان.

ومن الافضل ان يقوم على العناية بالمعتقلين افراد الهيئة الطبية الذين من جنسيتهم، لا يجوز منع المعتقلون من عرض انفسهم على السلطات الطبية للفحص، تصرف السلطات الطبية بالدولة الحاجزة لدى الطلب لكل شخص معتقل كانت تحت العلاج شهادة رسمية تبين فيها طبيعة مرضه واصابته ومدة ونوع العلاج الذي اعطي له، وتقدم صورة ثانية من هذه الشهادة الى المركز الرئيسي المنصوص عنه في المادة**140**.

المعالجة بما فيها تركيب الاجهزة الضرورية للمحافظة على صحة المعتقلين وعلى الاخص الاسنان الصناعية وغيرها من التركيبات الصناعية والنظارات تكون مجانا للمعتقلين".

المادة **92** تنص على مايلي:"يجري التفتيش الطبي على المعتقلين مرة على االقل شهريا ويكون الغرض منه بوجه خاص مراقبة الحالة الصحية العامة، وتغذية ونظافة المعتقلين، واكتشاف الامراض المعدية وعلى الاخص امراض السل والملاريا والمجاري البولية ويتضمن التفتيش على الاخص مراجعة وزن كل شخص معتقل وفحصه على الاقل بالراديوسكوب مرة في السنة".

المادة **140**تنص على" ينشأ مركز اسعلامات رئيسي للاشخاص المحميين على الاخص المعتقلين في دولة محايدة، ويمكن للجنة دولية كالصليب الاحمر، اذا رأت ضرورة لذلك، ان تقترح على الدول المختصة تنظيم مثل هذا المركز...الخ ".

2) العلاج النظري فقط_ أي يسجل في الملف فقط ولا يعطى للمريض. اما العلاج الحقيقي فهو في شنط الممرضين او الأطباء.

3) لم يصرف أي علاج ثمنه باهظ ، ودوما يصرف علاج قليل الكلفة.

4) العلاج مرهون بخدمات المريض على رأسها التعامل مع إدارة المعتقل .

5) يقدم العلاج أحيانا بهدف مضاعفة المرض وعدم شفائه بتاتا.

6) يقدم أحيانا علاج حقيقي جزئيا لا كليا خاصة بعد تفاقم المرض وتحوله الى حالة بارزة بين المعتقلين، فإذا كان مرضا قاتلا تخلصوا من المعتقل بلا مسؤولية مباشرة . ويعتبر استشهاد محمود عرب فريتخ دليلا على ذلك ، فقد أصيب بالسرطان وتوفي عام 1985 .

اما إذا كان المرض غير قاتل تركوا المريض في آلامه يتوجع ويتعذب، وقد تكررت هذه المعاملة مع الذين اعتقلوا مصابين عقب المعارك والانفجارات او التعذيب في التحقيق، او مع مقاتلين معتقلين قاموا بعمليات عسكرية واضحة او ذوي نشاط داخل المعتقل .

2. الطبيب والممرض : يشكل الطبيب والممرض، كما ذكرنا سابقا، طرفا هاما في سياسة القتل والتعذيب والإهمال للمعتقلين، فهما المسئولان عن الحالات المرضية، ومقيدان أيضا بسياسة مقرة من قبل إدارة المعتقلات.لوحظ ان كلا منهما يأخذ بالتفنن في استعمال الأساليب الوحشية مع استمراره في العمل. ويشكل الممرض"يودا" مثالا بارزا على ذلك. عمل هذا الممرض في معتقل عسقلان وعرف عنه بأنه جزار نظرا لكثافة أعماله القمعية، مارس يودا دور الممرض والسجان ورجل المخابرات، واوقع في صحة العديد من المعتقلين، ونتيجة لنشاطاته تمت ترقيته نائبا لمدير معتقل جنيد وبمرتبة" ميجر".

اما في معتقل الرملة فيوجد في مشفاه طبيب مناوب وممرضان مقيمان، يستخدم هذا المشفى للدعاية الإسرائيلية حول" معاملة الإدارة الإنسانية للمعتقلين" الا ان المظهر لايعبر عن الحقيقة وانما يشكل ستارا قانونيا للجرائم التي ارتكبت في المجال الصحي, فهم قد يفحصون المريض ويصورونه بالأشعة ويدخلونه المشفى ويكتشفون مرضه ، ولكنهم لا يعطونه الدواء المناسب ، فإذا قضى نحبه وجرى التحقيق فهناك دائما لجنة مختصة بأعمال الكذب والتزوير لتقرر في النهاية ان الإدارة لم تقصر إزاءه أبدا.

وهنا نورد قصة تبين مدى العناية من قبل الطبيب بالمريض ، أصيب أحد المعتقلين عام 1980 بالتهابات في المفاصل ولم يتلق أي علاج فما كان من أحد المعتقلين العاملين في العيادة الا ان حثّ الطبيب مرارا على مساعدته للمريض ، واستمر هذا الوضع حتى عام 1984 حين أجرى له الطبيب فحصا للدم ، وعندما رأى النتيجة نظر للمريض منذهلا وقال بالحرف الواحد" المرض يهدك هدما وأنت لاتزال نشطا" ، وأضاف" وكيف تبدو مبتسما وكأن الأمر لا يعنيك؟" فأجابه المريض: " إنني لأستطيع البكاء". عندها أوصى له بنوع من الحقن التي تستطيع إيقاف المرض فقط بشرط ان يحضره على حسابه الخاص.

اما القصة الأخرى التي تدل على لا أبالية الممرض وتلقائيته في إعطاء الأسبرين وعدم اهتمامه بالمريض او الاستماع الى شكاويه المرضية حين قال أحد المعتقلين للممرض بأن بنطلونه ممزق، فما كان من الممرض ان ناوله حبة أسبرين .

أطباء المعتقلات عدا طبيب العيون وطبيب الأسنان ، غير متخصصين, يحضر طبيب الأسنان مرة في الأسبوع، وقد لا يأتي الا مرة في الشهر . اما في بداية الاحتلال فلم يكن طبيب الأسنان عاملا في المعتقلات، وكان ممرض المعتقل يقوم بمهمته بإعطاء المسكنات او خلع الأسنان. الا ان إحضار هذه الأجهزة أخيرا لم يطور العلاج بشكل ملموس.

انحسرت مهمة الطبيب العام غالبا في تعذيب المعتقلين وليس في اشفائهم او العناية الطبية بهم. فكان يبادر الطبيب الى سؤال المريض عما به مجرد دخوله الى الغرفة وقبل ان ينهي المريض كلامه يكون الطبيب قد سجل العلاج على ورقة خاصة بالعيادة دونما فحص او معاينة. واحيانا كان يستنكر طلب المريض للعلاج لانه، حسب قوله، مخرب. لكن المعاملة كانت تختلف بالنسبة للعملاء، فإذا كان المريض من المتعاونين مع إدارة المعتقل يبتسم الطبيب ويسأله عما إذا قتل يهوديا او قام بعملية كبيرة. فإذا لم يكن عمله كبيرا صرف له علاجا لمدة أسبوع. اما إذا كان قد قتل يهوديا بالفعل فان العمالة لن تجدي نفعا. أي يعطيه علاجا مسكنا وغير مفيد كما لو لم يكن المريض عميلا.

انه مظهر عادي ان يكون المريض مستلقيا في انتظار التشخيص والطبيب جالس يدخن لفافاته بدون اكتراث او يقوم ببعض الألعاب الرياضية ويغني. ومن الاعتيادي أيضا ان يربط الطبيب العلاج بالتعامل. أي انه يرفض معالجة المريض الا بعد ربطه بجهاز المخابرات او إدارة المعتقل وتحويله الى مخبر يراقب تصرفات

زملائه. ولهذا اعتبرت العيادة وكرا ولا يجوز الذهاب اليه الا تحت ظـروف قهرية وملحة.

لا يختلف طبيب الأسنان والعيون عن الطبيب العام. فهما لا يحضران الا بعد مشاكل عديدة بين المعتقلين وادارة المعتقل. وذات مرة شكا بعض المعتقلين آلاما حادة بسبب أسنانهم، فقام الطبيب بخلع الأسنان الصالحة والسليمة وترك الأسنان المريضة. خلعت ثلاثة أسنان من المقدمة لأحد المعتقلين، اما عملية الرقع فعادة مؤلمـة جـدا. وعلى أية حال عملية رقع السن والطاحونة كانت تشكل قمة ما يذهب اليـه الطبيـب لمساعدة المعتقلين، فالخلع يشكل القاعدة الأساسية.

لا يختلف طبيب العيون عن الأطباء الآخرين، الا انه لا يولي اهتماما بفحص المريض وغالبا ما يعطي قطرة غير ملائمة. وإذا احتاج المريض نظارات، فغالبا ما يصف له العدسات غير الملائمة. هذا فضلا عن عبارات الاستفزاز التي كان يطلقهـا الطبيب كأن يقول:" العين التي استطاعت تصويب البندقية تجاه اليهـودي يجـب ان تقلع".

اما جرحى المعركة فقد كانت معاملاتهم أقسى مـن غيـرهم سـواء لـدى المخابرات او المشافي. فمن المعروف ان مشفى معتقل الرملة قد لعب دورا مركزيـا في تفاقم الأمراض وتعذيب المرضى وتنظيم العملاء خاصة وانه المشفى المركـزي للمعتقلات. وإذا تقرر نقل مريض الى هذا المشفى فانه لا ينقل اليه فورا. بـل كـان يترك في غرف انتظار تدعى المعبار. وكان انتظاره يطول أسبوعا أو أسـبوعين او شهرا تحت ظروف غير صحية وقاتلة، وكثيرا ما كان يـؤدي هـذا الانتظـار الـى مضاعفات صحية خطرة. هذا فضلا عن التعذيب داخل الزنزانة المتنقلة التي تنقله من معتقله الى المشفى او بالعكس.

3. تفشي الأمراض: نستطيع القول ان جملة من العوامل الهامة داخل المعتقل جعلت الظروف الصحية في حالة سيئة وخاصة ان المقاومة الجسدية للمعتقلين تتناسب تناسبا عكسيا مع تزايد مدة الإقامة في المعتقل. وقد تبين ان العوامل المرضية بدأت تظهر بوضوح بعد مضـي أكثر من خمس سنوات على الاعتقال، وأخذت تتصاعد مع تقدم الإقامة في المعتقـل. بلغت نسبة المرضى في السنوات الخمس الأولى حوالي 10% من المعتقلين، اما في الخمس سنوات التالية أي بعد عشر سنوات من الاعتقال تراوحت النسبة 50-60%. اما الفترة الاعتقالية التي فاقت العشرة سنوات فقد تزايدت فيها نسبة المرضى حتـى راوحت 80-90%.

اما بالنسبة لعدد الأمراض التي أصابت كل شخص معتقل، فقد وصلت نسبة المصابين بأكثر من مرض واحد 60% من المعتقلين. أغلب هذه الأمراض كانت مزمنة كأمراض المعدة والرئة والأمعاء والصداع والقلب والانهيار العصبي وارتفاع الضغط. كما ان العديد من الأمراض استمرت بسبب عدم وجود عناية طبية مثل أمراض الجلد، النظر، الصدر، المفاصل، الظهر، السكري، السرطان، الأذن، الحنجرة، البواصير، الكلى، المرارة، المحالب البولية والأسنان. ويمكن القول ان اكثر من 60% من المرضى يعانون من مرض مزمن. وحسب إحصائية أجراها المعتقلون في معتقل جنيد عام 1985 تبين ان جملة الأمراض المزمنة تبلغ 330 مرضا مزمنا ويعاني منها 160 معتقلا.

اما بالنسبة للعمليات الجراحية، تعرض حوالي 0.5% من المعتقلين في سنواتهم الخمس الأولى الى عمليات، بينما راوحت هذه النسبة 4% في فترة السنوات الخمس الثانية. هذا مع الأخذ بعين الاعتبار ان الإدارة لا توافق على إجراء عملية لكل من هو بحاجة إليها. فمن المحتمل ان 25% من المعتقلين بحاجة الى عمليات جراحية ، الا انه حتى عام 1984 لم توافق الإدارة على إجراء عمليات الا لحوالي 6%من المرضى[7]. هذا ومن الجدير ذكره ان أغلب العمليات كانت بواصير.

هناك أسباب عدة دفعت الإدارة الى رفع نسبة إجراء العمليات منها:

1) ظهور الأمراض التي يتفاقم ألمها مع الزمن.
2) وفاة بعض المعتقلين بسبب عدم إجراء عمليات جراحية لهم.
3) التركيز في مطالب المعتقلين على تحسين المعالجة الطبية . وقد خاض المعتقلون إضرابات عديدة من أجل هذا الطلب.
4) وجدت إدارة المعتقلات ان دوام صرف العلاج غير النافع وكثرة المرضى وكثرة الاحتجاج سيسبب لها متاعب كثيرة. فبدأت بإجراء بعض العمليات لتسكين حدة الاحتجاج وتخفيف الضغط.

[7].تنص المادة 91 من اتفاقية جنيف على"... المعتقلون المصابون بامراض خطيرة والذين تستدعي حالتهم علاجا خاصا كعملية جراحية او عناية بالمستشفى يجب ان يعهد بها الى أي منشأة يتوفر فيها العلاج المناسب، ويوجه لها من العناية ما لايقل عما يبذل لعامة السكان، ومن الافضل ان يقوم على العناية بالمعتقلين افراد الهيئة الطبية الذين من جنسيتهم".

تعاقدت إدارة المعتقلات مع بعض المشافي المدنية لاستقبال المعتقلين المحتاجين لعمليات جراحية. هذا وقد تميزت إدارة المعتقلات في تعاملها مع الذين يخضعون للعمليات الجراحيـــة بالقسوة الشديدة. وللتدليل على ذلك نورد المثال التالي:

أصيب أحد المعتقلين بالتهاب في الخصية اليسرى عام 1979 مما وضع حياتـــه فـــي خطر، تم نقله الى مشفى مدينة عسقلان حيث أجريت له عملية استغرقت أربع ساعات، وبعــد العملية طلب طبيب المشفى المدينة من إدارة المعتقل إبقاء المريض في المشـــفى لـــنفس يـــوم العملية، الا ان الطلب قوبل بالرفض القاطع. اخرج المعتقل مباشرة وهو في حالة خطر جدا ، مما دفع طبيب المشفى المدني لتحميل إدارة المعتقل المسئولية. نتيجة لهذا الوضـــع وللإهمـــال المتعمد من قبل ممرض المعتقل تعفنت خصية المعتقل. ورغم الحالة الخطرة هذه، تم إبعـــاده الى معتقل بئر السبع من أجل إبعاده عن الطبيب التابع للمشفى المدني والذي كان يحضر الـــى المعتقل، وعلى حسابه الخاص، كبادرة إنسانية للإشراف على حالة المريض هذه. في معتقـــل بئر السبع، رفض الطبيب التابع لادارة المعتقل منحه أي علاج رغم نزول القيح من العمليـــة. ورغم عدم استطاعته المشي، كان جواب الطبيب له :" اغسل الجرح بالماء والصابون فقـــط". حين وصلت حالته الى حالة قصوى من الخطورة أعيد الى معتقل عسقلان لمراجعة الطبيـــب الأول، الا ان إدارة معتقل عسقلان وضعته في الزنزانة الانفرادية لمدة اثني عشر يوما، بعدها أرسلته الى الطبيب الذي أجرى العملية الأولى حيث أجريت له عملية ثانيـــة أدت لاستئصـــال الخصية كليا. رغم ذلك لم تحل المشكلة المرضية واجريت عملية ثالثة. اما بالنســـبة للعـــلاج فرفضت إدارة معتقل عسقلان صرفه بحجة عدم وجوده. دفع هذا طبيب المشفى المـــدني فـــي عسقلان الى إحضار الدواء على حسابه الخاص، فقام ممرض عيادة المعتقل بســـلب العـــلاج، كذلك عانى المريض من التهابات في العمود الفقري على أثر ضربة تلقاها أثناء التعذيب فـــي عسقلان عام 1970 ، الا ان الطبيب والممرض رفضا إعطـــاءه أي عـــلاج لأنـــه، حســـب تفسيرهما، لا يوجد مرض. وقد تبين بعد خروج المريض من المعتقل ومن خلال الفحوصـــات ان هناك التهابات مزمنة في العمود الفقري.

ونورد هنا أيضا قصة أحد المعتقلين الذي أصيب بنزيف دموي حاد فـــي المجـــاري البولية عام 1973 ، بدأ هذا النزيف بعد إغلاق الغرف مساء، وعندها صـــرخ مـــن بالغرفـــة لاستدعاء الممرض، حضر الضابط المناوب وسأل عن المريض ثم قال للشرطي :"لا تســـتدع الممرض لقد كان بإمكانه ان يذهب الى الممرض قبل إغلاق الغرف". ولم يتلق المـــريض أي علاج الا بعد أسبوعين عاشها في وضع سيئ جدا.

اما جملة العوامل الهامة التي أدت الى تدهور الحالة الصحية فتتمثل بمايلي:

1. حالة الاكتظاظ في الغرف. لم تزد المساحة المخصصة للمعتقل الواحد في بعض المعتقلات عن متر مربع واحد، وفي معتقلات أخرى على المتر ونصف المتر المربع.
2. إنشائية المعتقل وموقعه. الباب مغلق والشبابيك ذات طبقتين من الشبك والحديد، إضافة الى غطاء من الزجاج والبلاستيك، وحجم الشبابيك صغير مع قلتها في الغرف، أي ان التهوية سيئة والشمس لا تدخل معظم الغرف. ويتناقص هذا مع المادة 85 ([8])من اتفاقية جنيف بشأن حماية الأشخاص المدنيين وقت الحرب.
3. فراش المعتقلين: المكون في أغلبه من بطانيات رديئة وذات وبر يدخل الأنف ومليئة بالغبار ورماد التبغ، وقد كان للنوم على الأرض أثر كبير في انتشار المرض، الا ان فرشة ذات سمك قليل قدمت عام 1978 ، وادخلت اسرّة في بعض المعتقلات عام 1982
4. وجود نسبة عالية من الرطوبة تؤدي الى الإصابة بمرض الروماتيزم وغيره.
5. عدم وجود الماء الساخن الا بكميات قليلة وغير كافية، تحسن هذا الوضع نسبيا منذ عام 1982 ، ولكن عاد ليسوء ثانية.
6. سوء التعذيب من حيث الكمية والنوعية والطهي والتصنيع، لجأ المعتقلون في محاولاتهم للتغلب على قضية الطهي بإعادة طهي وجبة العشاء باستعمال شعلة مكونة من قطع الملابس الداخلية مدهونة بالمرجرين، وقد كانت هذه العملية تسبب أزمة تنفس نظرا للدخان الكثيف في الغرف وسوء التهوية.

---

[8] .تنص هذه المادة علة ما يلي:" يجب على الدولة الحاجزة ان تتخذ جميع الاجارءات الممكنة لضمان ايواء الاشخاص المحميين منذ بدء اعتقالهم في مبان او اماكن تتوفر فيها كل الشرط الصحية الممكنة والوقاية الكافية من تقلبات الطقس واضرار الحرب، ولا يجوز بحال ما ان توجد المعتقلات في مناطق غير صحية، وفي جهات يكون جوها ضارا بالمعتقلين، وفي الحالات التي يكون فيها المكان المعتقل فيه وقتيا شخص محمي غير صحي، او يكون جوها ضارا بالصحة ينقل الى مكان اكثر مناسبة للاعتقال باسرع ما تسمح به الظروف.

ويجب وقاية المباني وقاية تامة من الرطوبة، وتدفئتها واضائتها بكيفية مناسبة وعلى الاخص بين الغسق واطفاء الانوار، وتكون اماكن النوم كافية الاتساع والتهوية، ويكون لدى المعتقلين الفراش المناسب والاغطية الكافية مع مراعاة احوال الطقس واعمال المعتقلين وجنسيتهم وحالتهم الصحية.

ويكون لدى المعتقلين لاستعمالهم الخاص ليلا ونهارا المرافق الصحية المطابقة للشروط الصحية ويحتفظ بها دائما في حالة نظيفة ويزود المعتقلون بكميات كافية من الماء والصابون لنظافتهم الشخصية اليومية وغسل ملابسهم الخاصة وتعطى لهم المرافق والتسهيلات اللازمة لهذا الغرض، وتتوفر لهم ايضا الرشاشات "الدوش" والحمامات ويتاح لهم الوقت اللازم للغسيل والنظافة... الخ".

7. عدم وجود أدوات رياضية، وحتى عدم السماح لممارسة الألعــاب الرياضية داخل الغرفة او خارجها حتى عــام 1973 ، وهــذا مــا يتناقض والمادة 94 ([9])من اتفاقية جنيف.

8. قلة التعرض للشمس ولأماكن الهواء الصحي، ســمح عــام 1973 للمعتقلين الخروج الى ساحة المعتقل لمدة ساعة في اليوم، تطورت هذه الفترة الى ساعة ونصف ثم الى ساعتين، امــا الســاحة التــي يتشمسون فيها فهي صغيرة الحجم ولا تكفي لحرية الســير فيهــا، فمثلا ساحة معتقل عسقلان مساحتها 800م ويتواجد فيهــا ســاعة الخروج اكثر من مائة وسبعين معتقلا. كذلك الحال في معتقل جنيد الذي لا تزيد مساحة الساحة فيه على مائتين وتسعين مترا مربعــا، ويخرج اليها مائة وخمسون معتقلا دفعة واحدة.

9. عدم السماح بدخول أطباء عرب لمعالجة المرضــى: بــدأت إدارة المعتقلات مؤخرا تسمح بدخولهم وبشكل نادر جدا وبعــد عمليــات رسمية معقدة، يتطلب الامر موافقة طبيب المعتقل، ثم موافقة لجنــة أطباء المعتقلات، ثم موافقة مديرية المعتقلات، وبعد تقديم طلبــات من نفس المريض، مع اسم الطبيب الذي يرغب بحضوره. وكانت 99% من الأسماء والطلبات ترفض، وإذا قبل طلب أحد المرضــى فان الطبيب العربي مقيد بأمور لا يستطيع تجاوزها مثل :

أ. عدم وجود أجهزة فحص داخل عيادة المعتقل.

ب. عدم تقدم عيادة المعتقل بتعليمات الطبيــب مــن حيــث العــلاج والعناية. وأخيرا سمحت إدارة المعتقل لعدد محدود من المرضــى إحضار علاج من الخارج. ومن هنا ورغم أن أجرة الطبيب على حساب المريض فانه لا يستفيد الشيء الكثير.

10. المعاملة القاسية من قبل إدارة المعتقلات تؤدي الى بعض الأمــراض النفسية التي لا علاج لها داخل المعتقل. يقال انه في معتقل الرملة مشــفى يحتوي على قسم خاص لمعالجة الأمراض العصبية، لكنه يبــدو ان هــذا

---

[9].المادة **94** تنص"... على الدولة الحاجزة ان تشجع الجهود الفكرية والثقافية والرياضية والالعاب والمسابقات بين المعتقلين، مع ترك الحرية لهم في الاشتراك فيها، وتتخذ جميع الاجراءات العملية لضمان ممارستها، وعلى الاخص بتقديم الاماكن الناسبة، وتمنح المعتقلين جميع التسهيلات الممكنة لمواصلة دراساتهم وللبدء في دراسات جديدة مع ضمان تعليم الاطفال والشبان ويسمح لهم بالذهاب الى المدارس، اما في مكان الاعتقال او خارجه، وتتاح للمعتقلين فرص القيام بالتمرينات الرياضية والالعاب والمسابقات الخارجية وتعد مساحات كافية لهذا الغرض في جميع المعتقلات وتخصص اراضي العاب للاطفال والشبان".

القسم يعمل على تعقيد الأمور لا على حلها. وهناك أمراض أوجدتها سوء المعاملة الطبية خاصة أيام الإضرابات عن الطعام. كان يطعم المضـــرب بالقوة بواسطة خرطوم ينزله الممرض الى المعدة بالقوة. وكان يتعـــرض المضرب للضرب والخض مما قد يسبب القرحة والالتهابـــات المزمنـــة، وأحيانا كان يصاب المضرب بالتهابات في الرئة، وقد استشـــهد أربعـــة معتقلين نتيجة إدخال الخرطوم بطريقة خاطئة مما دفع بالحليب الى الرئة لا الى المعدة. وسنورد أسماء الشهداء عند الحـــديث عـــن الإضـــرابات، وأحيانا كان يصاب الجهاز الهضمي بأذى شديد نتيجة حـــرارة الحليـــب العالية والتي لا تتحملها أجهزة الجسم.

كان يستعمل الماء والملح بعد ثلاثين أو أربعين أو سبعة واربعين[10] يوما من الإضراب، كانت إدارة المعتقل تحضر الطعام كما كان قبـــل الإضراب[11] مما كان يسبب عسر هضم وإمساكا وآلاما حـــادة فـــي المعدة و الأمعاء هذا ناهيك عن ان الإدارة كانت تقدم الســـوائل بعـــد أسبوعين

من الإضراب وبكمية غير كافية. هذا فضلا عن عملية العزل التـــي كان يتعرض لها المعتقلين مع ما يصاحبها من ضرب عنيف ووقوف ساعات طولية.

11. قلة الوعي والتجربة التنظيمية والاعتقالية والسياسية, ففـــي الســـنوات الخمس الأولى من بداية الاحتلال عانى المعتقلون من مشاكل داخليـــة كان سببها في الأغلب التعصب الفصائلي الأعمى وبعـــض العـــادات والتقاليد المستندة على التفكير القبلي والعشائري والبلدياتي.

سبب ذلك ضغطا عصبيا إضافة الى ضغط ســـوء المعتقـــل وســـوء معاملة الإدارة بكافة أشكالها. كرس ذلك أزمات نفسية زادت استفحالا مما أدى الى اضعاف المقاومة الذاتية ماديا وروحيا وظهرت أمراض عضوية عدة.

---

10. اطول اضراب خاضه المعتقلون دام سبعة واربعين يوما.

11. بعد اضارب نفحة عام1980، وخاضه بعد استشهاد معتقلين من عملية ادخال السائل للرئة اقرت المحكمة العليا بجواز استمرارية الاضراب اذا وافق المضرب على تناول كأس الحليب بيده وشربها منالممرض.

سببت الأحوال الأسرية عبئا ثقيلا على كاهل المعتقلين[12] وأدت الى بعض المتاعب والقلق النفسي لبعضهم. عانى بعض المعتقلين فترات طويلة من الألم الداخلي الذي ترك أثره بشكل واضح وملموس لـدى المعتقلين الآخرين. لكن في الفترات الأخيرة، خاصة بعـد ان تعـود الشخص المعتقل على تحمل الألم والصعاب وتحسنت ظروف العلاقة الداخلية والخارجية خفت حدة الآلام النفسية.

12. عدم وجود فحص أولي للشخص المعتقل في بداية اعتقاله، ونعني فحص حقيقي، وكذلك عدم وجود فحص دوري.

4. العيادة: في كل معتقل عيادة صغير الحجم وممرض ونائب له[13]. أما في المعتقلات الكبيرة فيتواجـد في عيادتها أكثر من ممرض. وتحتوي لعيادة على غرفة من سـريرين او ثلاثـة مخصصـة للمرضى الذين بحاجة ماسة الى إشراف مباشر وباستمرار. الا أننا لا نعرف حالة دخلتهـا الا بعد مشاكل مع إدارة المعتقل. أي في حالات الإضراب العام او في حالة حدوث مشكلة أخرى تؤدي الى تأزم الوضع داخل المعتقل، وتؤدي الى إصابات خطيرة وتترك آثارا مرضية مزمنة مثل التهابات الرئة وآلام الظهر وبعض الكسور في الجسم.

تضع الإدارة أحيانا في العيادة كبار السن من المرضى،وخاصة في حالـة حضـور زوار من الخارج للمعتقل. مع العلم ان العيادة غير صحية إطلاقا، ولا تختلف عن أية غرفـة أخرى في المعتقل بل ربما تكون أسوأ من حيث العناية والرعاية. في غرف المعتقلـين تجـد النظافة والرعاية والبطانيات الكافية لدفء المريض على حساب ظروف بقية المعتقلين، كـذلك يوفر المعتقلون الطعام والفواكه للمرضى من حصصهم.

كانت الأغلبية العظمى من المرضى ترفض المبيت في العيادة، وتفضل البقـاء بـين المعتقلين في الغرف، أما العيادة المركزية في مشفى الرملة التابعة لمعتقل الرملة تختلف قلـيلا من حيث الظاهر عن العيادات في بقية المعتقلات. أما من حيث الجوهر فلا تختلـف بشـيء،

---

12. تنص المادة 81 من اتفاقية جنيف بشأن حماية الاشخاص المدنيين وقت الحرب على"ان تلتزم اطراف النزاع التي تعتقل اشخاصا محميين بمصاريف اولادهم، وان تقدم لهم العناية الطبية التي تتطلبها حالتهم الصحية، ولا يخصم من المرتبات او الاعتمادات الخاصة بالمعتقلين أي شيء مقابل تلك المصاريف، ويجب على الدولة الحاجزة ان تقوم باعالة الاشخاص الذين يعولهم المعتقلون، اذا لم تكن لديهم وسائل معيشة كافية او كانوا لا يستطيعون التكسب.

13. المادة 91 من اتفاقية جنيف تنص" يكون بكل مكان اعتقال مستوصف تحت ادارة طبيب مؤهل ..".

صحيح ان الزائر لعيادة المشفى المركزي يجد الطبيب المداوم لمدة 24 ساعة، ويرى الفحص اليومي والرعاية من الممرضين،ولكن

بالحقيقة لم يستفد أحد من ذوي الأمراض،الكبيرة أما أصحاب الأمراض الخفيفة فأحيانا كانوا يستفيدون . علما بأنه لم يصل المشفى المركزي الا من اصبح مرضه مستعصيا وبعد مراجعات وعلاجات في المعتقل

المتواجد فيه، وبعد مشاكل مع إدارة المعتقل، لاستفيد الشخص المعتقل من الخدمات الطبية وانما يستفيد منها بشكل أساسي السجناء اليهود والعرب الجنائيين.

على الرغم من انه من المفروض ان تخدم العيادة المعتقلين الا انه ثبت من التجربة العملية ان وظيفتها تتمثل بما يلي:

1. تعذيب المرضى نفسيا وجسديا، حيث لاعلاج يعطى للشفاء وبالتالي يستشري المرض.
2. مكان موبوء ينشر الأمراض. فقد أصيب بعض المعتقلين بأمراض جديدة داخل هذه العيادات، خاصة وان هذه العيادات كانت تستخدم للضرب والتعذيب والتحقيق والموت وقت الإضرابات وعند حدوث مصادمات.
3. مركز لتنظيم العملاء وادارة الخطط وتوجيهها من أجل جمع المعلومات وخلق المشاكل للمعتقلين والتآمر عليهم، وقد يمارس هذا الدور كل الممرضين والأطباء خاصة في عيادة المعتقلات المركزية في معتقل الرملة وحسب إحصائية أجراها المعتقلون تبين ان 80% من العملاء داخل المعتقلات كان تنظيمهم يتم عن طريق العيادة والمشفى وكذلك كانت اتصالاتهم.

لقد سنت إدارة المعتقل عدة قوانين لا بد للمريض من التقيد بها ومن شأنها ان تدفع بالمعتقل الى العيادة حيث يمكن تنظيمه كعميل للإدارة:

1. عدم إعطاء أي دواء للمحتاج الا إذا حضر الى العيادة.
2. عدم تسليم المريض دواءه غير الاعتيادي الا في العيادة. وهناك من يسجل لهم الطبيب دواء لا يأخذونه الا في العيادة بحجة ان الممرض هو الذي يشرف على تسليمه خاصة علاج السوائل والإبر. وغالبا لا يكون المريض بحاجة لهذا النوع من العلاج، فقط القصد منه حضور

الشخص المعتقل الى العيادة. فإذا كان عميلا لادارة المعتقل سهل الاتصال به، وإذا لم يكن عميلا فان حضوره يشكل تغطية على حضور العملاء. وقد يكون هدف طاقم العيادة تشويه سمعة المريض.

3. كثيرا ما ينصح الممرض المعتقلين التسجيل للفحص لدى الطبيب حتى ولو لمرض خفيف، وذلك اما للتشكيك او للاتصال بين العميل والإدارة، واما للتغطية على العملاء. كذلك يصدر الطبيب أوامره للممرضين بعدم إعطاء علاج كذا وكذا الا بمراجعة الطبيب.
4. يمنع إعطاء القطن والسوائل من الأدوية للمعتقلين في الغرف، ومن يحتاج الى ذلك عليه الحضور الى العيادة.
5. كل من يحتاج للممرض عليه الذهاب الى العيادة، وهنالك بعض المتمارضين من العملاء الذين يلجأون للتمارض الخطير في سبيل حضور الممرض ونقله للعيادة.

في بداية المرحلة الاعتقالية كان المعتقلون يخضعون لجملة من القوانين القهرية والقاسية جدا. خاض المعتقلون مخاضا أليما وقاسيا حتى تولدت القناعات والادراكات الجديدة لمهمة الطبيب والممرض، وبعد التجربة وعمقها أصبحت الحالة الصحية مطلبا جوهريا ضد إدارة المعتقلات.

تم تنظيم العلاقة مع الممرض والعيادة والطبيب بطريقة تخفف حدة الاتصال والتساقط وتوفر العلاج. واليوم لا يذهب المريض الى العيادة والمشفى الا بعد موافقة مسئولي الفصائل وتحت إشرافهم. حتى العلاج يشرف على متابعته المعتقلون أنفسهم.

التعامل مع إدارة المعتقل

تتكون إدارة المعتقل من عدة أجهزة تعمل جميعها في تنسيق مستمر، ويقف على رأسها مدير المعتقلات نفسه، وهذه الأجهزة هي:

1. جهاز الإدارة: يتألف من مدير المعتقل وضباط مساعدين يشرفون على سير الحياة المعتقلة بالمعتقلين وشرطة المعتقل.
2. جهاز الأمن : يشرف عليه ضابط متخصص في جمع المعلومات والتنظيم وبالشؤون الأمنية المتعلقة بأمن المعتقل. وهو مرتبط مباشرة مع إدارة المعتقلات العامة "الجهاز

العام" ،ومع المخابرات الأمنية في المناطق المحتلة. وأحيانا يقوم بـدور المحقـق وجمـع المعلومات الأمنية من المعتقلين غير المعترفين بقضايا تهم المخابرات. وقد أصبح يشرف على دور العملاء في المعتقل ويرشدهم الى وسائل التحقيق مع الموقوفين الـذين تحـت إشراف المخابرات مباشرة، ومن مهماته أيضا الإشراف على الرسائل الداخلية والخارجية وعلى زيارات الأهل ويقوم بتقديم تقارير مستمرة عن حالة الاستقرار في المعتقل للإدارة وللقيادة العليا. وهو مسؤول عن جميع العملاء ونشاطاتهم في المعتقل، حتى انه يقوم بدور مركزي في خلق المشاكل وتفتيت الجهد الوطني، ومعرفة النشاطات المضادة وتخريبهـا من الداخل، وإحباط كل محاولة تستهدف الاستقرار والأمن بالنسبة للإدارة. وهو المسؤول الأول عن الإجراءات التعسفية من ضرب وعزل وعقوبات وتـنقلات بـين المعتقلـين. ويتدخل في كل أجهزة المعتقل خاصة العيادة والعمل، وحركة المعتقلين في المعتقل، وفي مراقبة الشرطة وتوزيع المهمات عليهم، ونستطيع القول ان جهاز الأمـن هـو العصـب الحقيقي لادارة المعتقل.

3. جهاز العمل: يشرف عليه ضابط يفهم اللغة العربية نوعا ما، وله احتكـاك مـؤثر علـى المعتقلين، وهو مسؤول عن حركة العمال وتعيينهم ويعمل مباشرة مع جهاز الأمن. يـأتي هذا الجهاز في موقع الدرجة الثالثة في تنظيم العملاء، بعد جهاز الإدارة والأمن والجهـاز الطبي. يشرف على كل فروع العمل الموجودة في المعتقل.
4. جهاز المالية: مسؤول عن الأمانات ومقصف المعتقل وأجور العمـال والتمويـل وأمـور التغذية والصحة والإصلاحات الداخلية للمعتقل.
5. الجهاز الطبي: وقد تكلمنا عنه الشيء الكثير سابقا.
6. أجهزة الحراسة: وتتكون من الشرطة التي تحرس الأبواب والأبراج والسـاحات، ومـن آلات إلكترونية للمراقبة في الليل والنهار، وأجهزة اتصـال إلكترونيـة داخـل المعتقـل وخارجه.
7. جهاز القمع: إضافة الى كون جهاز الشرطة قمعيا ومدربا على مواجهة الطـوارئ، الا ان هناك رجالا متخصصين في مكافحة "الشغب" ووسائل السيطرة على المعتقـل، أصـبحت شرطة المعتقل لا تكفي للسيطرة على المعتقل مع تطور النضال والمواجهة، وعليه فقط تم تشكيل جهاز ردع خاص بمديرية المعتقلات والسجون العامة ومركزه معتقل بيـت ليـد "كفاريونا" ويستخدم في حالة الطوارئ في أي معتقل كان. وهذا الجهاز متخصـص فـي أعمال السيطرة وأعمال التنقلات بين المعتقلات ومتفرع لها، انه جهـاز قمعـي عنيـف ويتدخل في الشئون الأمنية حيث يقوم بتفتيشات استفزازية مستمرة على المعتقلات بـأمر من مدير المعتقلات والسجون العامة. ويمتلك سيارات خاصة به وأجهـزة قمـع خاصـة

كالبنادق المطاطية والرشاشات الغازية والقنابل الغازية والسامة والخطيرة جــدا، إضـــافة للهراوات والسلاسل والأقنعة المانعة للصدمات.

معاملة إدارة المعتقل للمعتقلين

بعد الاحتلال مباشرة عام1967 وبعد أن ظهرت ظاهرة المعتقلات، نشـــأت قـــوانين جديدة تتحكم في شكل المعتقل السياسي وجوهره وطبيعة العلاقات فيه.والمعتقل كما هو واضح بالتجربة يشكل إحدى أجهزة القمع العامة للعدو الصهيوني، وليس كما يشاع للإصلاح وحماية الفرد وبقائه كانسان في داخل المعتقل الى حين انتهاء مدته. لم تكن المعاملة الإنسانية للمعتقلين احد الأسس التي تقوم عليها المعتقلات الصهيونية. فالتعامل مع المعتقلين محكـــوم بالنظريـــة الصهيونية وبأطماعها في البلاد وبسياستها في تفريغ البلاد وتهجير السكان، ان معاملـــة إدارة المعتقلات للمعتقلين عبارة عن صورة لمعاملة العدو الصهيوني لكافة أبناء شـــعبنا. رســـمت المعاملة بطريقة تؤدي الى تدمير المعتقل الفلسطيني تدميرا تاما من كافة النواحي التي تعبـــر عن إنسانيته وانتمائه ووجوده الوطني.

حاولت الإدارة تطبيق نظرية حقوق الصفر، بمعنى ان لا يمنح المعتقل أي حـــق وإذا قصّر فيما هو مطلوب منه عوقب. مستفيدة بذلك مما حدث من معاملة في المعتقلات النازيـــة للمعتقلين اليهود، حيث ان سياسة معتقل اشفتس النازي كانت تهدف الـــى تحويـــل الشـــخص المعتقل الى آلة صماء خالية من القيم الإنسانية والانتمائية.

بعد اشتداد المقاومة الوطنية بعد الاحتلال مباشرة، تزايد عدد المعتقلين من المناضلين، واصبحت حياة الاعتقال تشكل علامة سياسية واضحة في قضية المواجهـــة بـــين الاحـــتلال والفلسطينيين. شكل تزايد المقاتلين المعتقلين تطورا جديدا فـــي مســـيرة التحريـــر الـــوطني الفلسطيني وحضورا وطنيا وسياسيا في واقع المجابهة والقضية والنضال. حـــتّم هـــذا فـــتح معتقلات جديدة من قبل الاحتلال لاستيعاب المناضلين الفلسطينيين. كان معتقل عسقلان أولها وافتتح عام 1969 ، وأخذ يستوعب المناضلين من ذوي الأحكام العالية. لم يمض شهران حتى امتلأ ب450 معتقلا، ومن هذا المعتقل بدأت رحل المعاناة الطويلة للمعتقلين الفلسطينيين.

ظروف المعاملة داخل معتقل عسقلان

عاش معتقلوا عسقلان ظروفا قهرية وقاسية تميزت بإجراءات إذلال متعمدة. فمثلا كان الشرطي يقوم بدور الآمر والناهي والمتحكم بمصير المعتقلين. كان من الاعتيادي ان يفتتح الشرطي باب إحدى غرف المعتقل ويخرج أي معتقل ويضربه في ساحة المعتقل، لا لسبب الا لان شيئا لم يعجب الشرطي، او لأن الشرطي رأى المعتقل يبتسم مرة وهو جالس لوحده دون حركة، او لأن الشرطي تذكر قريبا او صديقا له قتله الفدائيون. ولم يكن بإمكان المعتقل ان يسأل عن سبب ضربه لأن هناك جملة أوامر وقوانين تقيد المعتقل في كلامه وحركته ونومه وصلاته وأكله، حتى انه لم يكن بإمكان المعتقل ان يذهب الى المرحاض بسهولة على الرغم من وجوده داخل الغرفة. كان الامر يحتاج للوقوف حتى يمر الشرطي من باب الغرفة ويطلب منه المعتقل بكلمة سيدي:" هل تسمح لي ان ادخل المرحاض؟" وغالبا ما كان الشرطي يسمح واحيانا يؤجل السماح. وفترة السماح كانت محدودة بالدقائق، والتأخر يعني الضرب والشتائم.

كان المعتقل في عسقلان محكوما بعدد من التعليمات منها:

1. على المعتقل ان يكون جاهزا للعدد"التمام" بكامل لباسه الساعة السادسة صباحا.
2. ان يكون فراشه مرتبا بشكل هندسي.
3. الاعتراض على الطعام ممنوع.
4. الاعتراض على أوامر الشرطة ممنوع.
5. الحركة طيلة النهار في داخل الغرفة ممنوع وعلى المعتقل ان يبقى جالسا على الأرض بعيدا عن البطانيات واضعا طاقيته الحمراء على رأسه ومنتعلا حذاءه.
6. الكلام مع الغير ممنوع ولو بصورة فردية وهادئة. يجب ان يسود الصمت.
7. ممارسة الرياضة ممنوعة.
8. امتلاك الورقة والقلم ممنوع.
9. صلاة الجماعة مرفوضة.
10. يمنع المعتقل من الصلاة الا في الوقت الذي يحدده الشرطي حتى وان كان في غير الوقت الصحيح.

11. على المعتقلين ان يسيروا في الساحة اثنين، اثنين، وان يكونوا صفا ورؤوسهم للأسفل، والأيدي مكتفة خلف الظهر

12. يمنع الحديث والتوقف في الساحة.

13. على المعتقل ان يبدأ كلامه مع الشرطي دائما بعبارة "أمرك سيدي" حتى وان كان تحت الضرب.

14. يمنع المعتقل من الاحتجاج للصليب الأحمر الدولي او لمدير المعتقل او لأي شخص آخر.

فرض ما يشبه هذه التعليمات في معتقل الفارعة وفيما يلي نماذج منها:

1. على المعتقل ان يكتف يديه خلف ظهره في أي وقت يتواجد فيه خارج غرفته.
2. يجب ان يقف جميع المعتقلين عند قدوم أحد الجنود.
3. يمنع الحديث مطلقا في حالة وجود الجنود، الا بإذن منهم، وخاصة في مكان تقديم الطعام.
4. يمنع انتقال الشخص المعتقل من مكانه الى مكان آخر مجاور للإسطبل.
5. عند تناول الطعام يجب الانتظار وقوفا حتى تعطى الإشارة بالجلوس.
6. يجب رفع اليد عند التكلم مع أي جندي.
7. يمنع ممارسة أي نشاط رياضي.

تشكل التعليمات المذكورة أعلاه جزءا من مجمل التعليمات القاسية التي جعلت من حياة الاعتقال جحيما لا يطاق. وكان يصاحب هذه التعليمات عقاب شديد لكل من حاول تجاوزها. فالضرب المبرح كان ظاهرة اعتيادية في المعتقل، والزنزانة(أي وضع المعتقل في زنزانة انفرادية لفترة من الزمن) كانت أمرا يوميا، وابان الزنزانة كان يقدم للمعتقل وجبات من الخبز والماء مع ضرب شديد.

هدفت التعليمات الى تحقيق أهداف الاحتلال والتي يمكن تلخيصها بما يلي:

1. التدمير الجسدي: استشهد عدد من المعتقلين الفلسطينيين في معتقلات الاحتلال، كان أولهم الشهيد عبد القادر أبو الفحم الذي استشهد في معتقل عسقلان عام1970 . واستشهد عمر الشلبي في عسقلان أيضا عام 1973 . والشهيد الأول قتله الممرض والثاني قتله

مدير المعتقل نفسه حين كان يضربه بعنف. وكذلك استشهد أنيس دولة عام 1980 ، وراسم حلاوة عام 1980 ، وعلي الجعفري عام 1980، والشيخ صلاح العراقي عام 1981 ، وعلي الشطريط عام 1982 ، وإسحاق مراغي عام 1984 .

فضلا عن الاستشهاد، يتعرض المعتقلون لأنواع من التنكيل الجسدي والمعنوي. وهناك أمثلة كثيرة تدلل على ذلك منها ما حدث في معتقل جنيد في منتصف آب/ 1984 حين قدم المعتقلون شكاوى عديدة بخصوص ظاهرة الازدحام في الغرف وطالبوا بحلها. وعدت الإدارة بحلها، الا ان المعتقلين فوجئوا بان الإدارة قد أحضرت ثلاثين معتقلا لوضعهم في الغرف. رفض المعتقلون قبولهم ورفض المعتقلون الثلاثون دخول الغرف. فحدثت المواجهة بين المعتقلين وادارة المعتقل، اقتحمت الغرفة رقم 12 وضربت عشرة معتقلين، ادخل ستة منهم العيادة للعلاج، ألقيت قنابل الغاز على المعتقلين من النوع الذي يحظر استخدامه في الأماكن المغلقة، فأحس المعتقلون بالاختناق وأصيب بعضهم بحروق وبعضهم فقد وعيه من شدة الغاز، وبعد ذلك اجبر الثلاثون معتقلا الدخول للغرف، استمرت رائحة الغاز لمدة أسبوع وكانت قوية الى حد ان رجال الإدارة لم يتمكنوا من دخول الغرف الا بعد ارتداء الأقنعة الواقية من الغاز.

تغنت إدارة المعتقلات بالقانون الذي يقول :" ان مهمة السجان تقتصر على الاحتفاظ بالسجين والحيلولة دون هرب، لأنه عوقب بالسجن ولا يجوز إنزال عقوبة ثانية به سواء كانت جسدية أو معنوية". لكن هذه الإدارة لم تتورع في استخدام كابلات الكهرباء والهراوات ثلاث مرات يوميا لضرب المعتقلين دونما ذنب اقترفوه. وقد أصيب العديد من المعتقلين بكسور تركت آثارا تشويهية وآلاما مبرحة طوال سنوات. ومنهم على سبيل المثال لا الحصر: محمود الضميري الذي أصيب بكسر في الفك، ومحمود نصر الله الذي أصيب بكسر في الفك والرقبة.

2. التدمير المعنوي والنفسي: تركت المعاملة القاسية آثارا نفسية رهيبة وكانت نتيجتها عشرات المرضى الذين لم يشفوا حتى الآن. وقعت أحداث عديدة تدل على عزم إدارة المعتقلات على إنجاز عملية التدمير المعنوي والنفسي نذكر منها بعض الأمثلة:

   أ. حصل ذات مرة أن أصابت لفافة أحد المعتقلين طرف جريدة الأنباء التي كانت الصحيفة الوحيدة التي تدخل المعتقل، حرقت اللفافة جزءا من صورة جولد مئير. فعلم الشرطي بذلك، وكان رد فعل الإدارة أن أحضرت شرطة المعتقل للقسم الذي حرقت فيه الجريدة، وبدأت بضرب المعتقلين جميعا .

ب. في مطلع عام 1981 واثناء احتفال المعتقلين بانطلاقة الثورة الفلسطينية في معتقل نابلس المركزي، اقتحمت شرطة المعتقل إحدى الغرف الساعة الحادية عشرة ليلا واقتادت سبعة من المعتقلين وأودعتهم إحدى الزنزانات المؤقتة والموصلة بين غرف المعتقل وادارة المعتقل. وانهال شرطة المعتقل عليهم بالضرب وأجبروهم على خلع ملابسهم كاملة حتى أصبحوا عراة تماما، ومن ثم اقتادوهم في الطقس البارد ركضا الى الزنزانات الدائمة والتي تبعد حوالي 100م عن إدارة المعتقل. علما بان المنطقة ما بين إدارة المعتقل والزنزانات الدائمة مكشوفة تماما لبرد كوانين القارص. ومن ثم أودعتهم الشرطة في الزنزانات و بدأت بإعطائهم قطعة قطعة من ملابسهم والفاصل الزمني بين القطعة والأخرى نصف ساعة.

وهناك عقوبات فردية وأخرى جماعية، والفردية غالبا ما تكون عزلا في الزنزانة مع حرمان من شرب الشاي والقهوة والتدخين والخروج للساحة وكذلك حرمان المعتقل من زيارة الأهل والشراء من المقصف. اما العقوبات الجماعية فتشمل الحرمان من المذياع ومنع الصحف ، ومنع الخروج للساحة ومنع التنقلات بين الغرف والأقسام، استعمال الغاز السم ومحاولة منع الاحتفالات والغناء والسهرات الثقافية والترفيهية وإشعال النار داخل الغرف.

3. تحطيم القدرة الذاتية للمعتقل: فعدم وجود المعالجة الطبية الصحيحة والمعاملة القاسية والحرمان الثقافي والحرمان من الحياة الجماعية تهدف جميعها الى تحقيق:

- خلق ضعف فكري وسياسي وثقافي.
- خلق جو من الملل والإحباط مما يؤدي إلى الإرهاق النفسي.
- تحويل المعتقلين الى مجرد أدوات لاتحمل قيما إنسانية او آمالا ووضعهم ضمن إطار ميكانيكي لا يخدم القضية الوطنية.

كتلخيص لما ورد، بإمكاننا القول ان إدارة المعتقل عملت ضمن خطة من خمس مراحل لقمع المعتقلين جسديا ومعنويا:

المرحلة الأولى: وتتمثل بممارسة العنف ضد المعتقلين وإذلالهم الى درجة الركوع أمام الشرطي بهدف إسكات كل معارضة او مقاومة، وخلق نفسية خاضعة ومستسلمة لا قدرة لها على الرفض او التفكير فيه.

المرحلة الثانية: وتتمثل في تفتيت كل جهد مشترك او جماعي ومنع أي اتصال داخلي وتداول الأمور الثقافية وبالتالي في عزل المعتقلين عن الواقع الخارجي، وتكثيف عدد العملاء في أوساطهم وخلق المشاكل الداخلية بينهم.

المرحلة الثالثة: وتتمثل في إجراء عملية غسل دماغ عن طريق تعريض المعتقلين لإذاعة إسرائيل وجريدة الأنباء الناطقة باسم الاحتلال، ومنعهم من التحدث أثناء الزيارة مع الأهل حول أوضاعهم الداخلية والشئون السياسية، كما حاولت الإدارة تشكيك المعتقلين بتاريخهم وحضارتهم عن طريق توظيف محاضرين في اللغة العربية يعملون في الجامعات العبرية، وعمل هؤلاء المحاضرون تدريجيا على التحدث في الأمور السياسية من وجهة نظر إسرائيلية بهدف تشريب المعتقلين بالمنطق الصهيوني، الا ان هذه المحاولة جوبهت بموقف صلب وواع من قبل المعتقلين وانتهت بالفشل الذريع.

المرحلة الرابعة: وتتمثل في تفتيت الأطر التنظيمية، وكذلك فك الالتزام واللحمة التنظيمية، أي إنهاء الحضور التنظيمي داخل المعتقل، وخلق تيارات سياسية معارضة لوجود التنظيمات، بدأت هذه عام 1973 ، وتوجت أثناء زيارة السادات لفلسطين والقدس والتي كانت بمثابة مثال يعطى في سبيل تكريس مفهوم الاستسلام وتأييد الخطوات الاعترافية. وقد سهلت الإدارة حركة العملاء ونشاطهم ونقلت بعض الرموز التنظيمية الى معتقلات يقل فيها النشاط السياسي، وأوجدت عن طريق عملائها عدة مشاكل داخلية بين التنظيمات الفلسطينية داخل المعتقلات.

المرحلة الخامسة والأخيرة: تتمثل في خلق مجموع إنتاجي لصالح الآلة الاقتصادية الإسرائيلية. أي توجيه مسرى حياة المعتقلين الى حياة كلها عمل إنتاجي لا تربطهم بالحياة الوطنية والتنظيمية والنضالية. وكما قال ديان في البرلمان الإسرائيلي عام 1969 انه سيجعل من الأيدي التي جاءت لتهدم أيد تنتج وتعمر.

كانت هذه المرحلة متداخلة، وحققت بعض النجاح أحيانـا وأخفقـت أحيانـا أخرى. ونستطيع القول إنها نجحت مرحليا في خلق بعـض المشـاكل بـين التنظيمات واضعاف الأطر التنظيمية والنضالية والوطنية والجهد الجمـاعي، كان هذا النجاح في فترة قلة التجربة وضعف الوعي الشامل لدى المعتقلـين. اما استراتيجيا فقد فشلت هذه المراحل لعدة أمور نتطرق لها فـي الصـفحات القادمة.

على الرغم من ان الإدارة جندت طاقاتها خلال المراحل الخمس مـن أجـل تحقيق أهدافها والقضاء على حياة اعتقالية فلسطينية بنـاءة، الا ان المعتقلـين استطاعوا من خلال نضالاتهم تحقيق بعض التقدم والذي يعتبر ضمن منطـق الحياة الاعتقالية جوهريا. بالطبع لا نعني هنا ان الإدارة قد ألقت أسـلحتها أو انها سلمت للمعتقلين بكل مطالبهم او انها لن تعـود الـى سـلب المعتقلـين إنجازاتهم، الا اننا نريد القول ان صلابة إرادة المعتقل الفلسطيني والتي تشمل استعداده للموت، كفلت التقدم وستحقق إنجازات متزايدة مـا دامـت الحيـاة الاعتقالية قائمة.

هذا ومن الممكن تلخيص الإنجازات بمايلي:

1) تخفيف حدة الازدحام في الغرف.
2) النوم على أسرة
3) امتلاك المذياع
4) الاطلاع على كل الجرائد العبرية وجريدة القدس المقدسية
5) حرية التحرك داخل الغرف والساحة
6) حرية عقد الجلسات وامتلاك الكتب والدفاتر والأقلام
7) الاحتفال بالمناسبات الوطنية
8) وجود القيادات الجماعية الغنية بالتجربة والوعي المتقدم
9) الحصول على بعض الألعاب مثل الشطرنج والسماح بممارسـة النشـاطات والألعاب الرياضية.
10) الحصول على وسائل التنظيف وتحسين الطعام وظروف الماء الساخن.
11) اعتراف إدارة المعتقلات بحق المعتقلين في العيش بشكل منظم وبنمط خـاص بهم، واعترافها بحق التمثيل الجماعي.

12) تطور العلاقات الوطنية بين الفصائل واعتماد الحوار الديمقراطي كوسيلة وحيدة لحل الخلافات، أي بمعنى آخر أصبحت العلاقة بين المعتقلين وادارة المعتقلات علاقة الند للند بدلا من علاقة السيد للعبد.
13) تنشيط الحركة الثقافية على أصعدة التحصيل الأكاديمي والمحاضرات والندوات والقراءات والكتابات.

الإضراب عن الطعام

الإضراب عن الطعام عبارة عن رد فعل ووسيلة لا غاية، انه تعبير قوي عن الاستياء من الأوضاع داخل المعتقل او بعضها وهو أيضا صعب للغاية وقاس لما يصاحبه من آلام ومعاناة لها صدى في كل أنحاء الجسد وهزات عنيفة تصيب عمق النفس الإنسانية.

انه نوع من الاحتجاج والرفض والاستنكار علة الواقع المعاش، بل هو نوع من المواجهة القاسية والمؤلمة جدا. انه درب من دروب النضال والتحدي، انه القدرة على الصبر والثبات، واثبات الذات الوطنية النقية والفاعلة، انه جزء من المعركة الطويلة والشاقة البعيدة المدى. المعتقلون جزء من القضية وفي سبيلها يسيرون وبالتالي فهم بجوعهم الرافض للاستسلام يرفعون بعظام أجسادهم كرامة القضية ونبلها وطهارتها في سماء الشرف والحرية، الإضراب عن الطعام عبارة عن قرار نضالي ووطني وسياسي ويمثل قمة التضحية في سبيل الطموحات والأهداف النبيلة.

الإضراب عن الطعام مواجهة مع الذات، انه معركة الذات، يقف المناضل أمام نفسه قبل الإضراب عن الطعام ليقرر ان الجوع أفضل من الركوع على الرغم من ان الموت قد يكون النتيجة. الجوع كافر ومذل، ولكن المعتقل يقرر ان يستخدمه كسلاح بدافع إيماني وفي سبيل تحقيق العزة والكرامة، انه محك للنفس ومعيار لقناعتها بسمو الهدف ونبل المطالب، انه يعبر عن مواجهة من لا يملك سلاحا سوى إرادته على الصبر لمن يملك كل أساليب القمع و التنكيل.

<u>أسباب الإضرابات</u>

تعود أسباب الإضرابات بشكل عام الى عدم تلبية إدارة المعتقل مطالب المعتقلين، ويمكن حصر هذه المطالب بصورة عامة بمايلي:

1) تحسين المعاملة لتليق بالإنسان كانسان، وخاصة عدم استعمال العنف والضرب ومنع الإجراءات القمعية والاضطهاد المستمر للمعتقلين.
2) تحسين المعاملة الطبية من رعاية وعناية وعدم ضرب المرضى أثناء نقلهم الى مشفى الرملة.
3) تحسين الطعام كما ونوعا وتصنيعا وطهيا.
4) السماح بإدخال الكتب والصحف والمجلات الصادرة داخل فلسطين، وخاصة الصادر منها في الوسط الشرقي.
5) تحسين ظروف المعتقل من حيث الازدحام، وحرية التحرك والتنقل وممارسة الرياضة داخل الغرف والساحة مع توفر الأدوات الرياضية وزيادة وقت المكوث في الساحة وتحسين التهوية في الغرف.
6) معاملة الزوار معاملة إنسانية والسماح بمقابلة الأهل دون عائق، وتوفير أماكن الراحة من مراحيض وصنابير مياه في أماكن الانتظار، مع عدم التعرض للزوار واستفزازهم أو ضربهم وتأخيرهم وقت الزيارة.
7) توفير الماء الساخن والبارد، وإدخال واخراج الرسائل دون تمزيقها في مكاتب إدارة المعتقل، مع توفير البطانيات الجيدة والملابس والفرشات ثم الاسرّة وحق امتلاك المذياع وشرائه من المقصف. والسماح بالتعلم داخل المعتقل، وحرية الاحتفال بالمناسبات الوطنية، وعدم مصادرة الكتب التي يدخلها الأهل عن طريق الزيارة، والدفاتر التي يشتريها المعتقلون من أموالهم الخاصة، وان يكون التفتيش معقولا دون تمزيق الملابس و خلط السكر بالقهوة، والكف عن تخريب معجوني الأسنان والحلاقة.
8) حرية العمل: عدم الإجبار على العمل في المرافق الاقتصادية الإنتاجية التابعة لادارة المعتقل.

وكانت هناك طلبات أخرى كثيرة منها ما هو يومي ومنها ما هو مرحلي كضرورة عدم قطع المياه او استخدام الغازات المسيلة للدموع.

أشكال الاحتجاج

هناك أنواع عديدة من النضالات التي يمارسها المعتقلون داخل المعتقلات منها:

1) الاحتجاج السلبي: يتم هذا بشكل شفوي لادارة المعتقل، ويعبر عن الأوضاع السلبية مع الطلبات بتحسين الوضع داخل المعتقلات او داخل المعتقل الواحد.

2) رفع الشكاوى المستمرة الشفوية والخطية لمدير المعتقل ولادارة المعتقلات العامة والصليب الأحمر الدولي وللمنظمات الدولية الحكومية وغير الحكومية.

3) الاحتجاج الساخن قليلا، ويمكن ان يكون على شكل:

一- إرجاع وجبة طعام او اكثر لمدة يوم او يومين.

二- الامتناع عن الخروج للساحة على مدى يوم او يومين.

三- الامتناع عن زيارة واحدة للأهل.

四- يصحب هذا الشكل الأشكال الساخنة والاحتجاج الساخن .

4) الاحتجاج الساخن: ويمكن ان يأخذ عدة أشكال منها[14]:

一- الامتناع عن الخروج للساحة لأيام مفتوحة دون تحديد زمني.

二- الامتناع عن الحلاقة والحمام.

三- الامتناع عن الزيارة.

四- إرجاع وجبات الطعام بين الفينة والأخرى.

五- بعث رسائل توضيحية عن أوضاع المعتقلين للرأي العام الداخلي (داخل الوطن المحتل) والعالمي.

6) الاحتجاج الساخن جدا: ويتمثل بالإضراب المفتوح عن الطعام مع الأشكال المذكورة أعلاه. تساهم الظروف الداخلية الذاتية والخارجية وتجاوب إدارة المعتقل في تحديد مدة الإضراب.بلغت أطول فترة إضراب سبعة واربعين يوما متواصلة وصحبها اتباع وسائل الضرب والإهانة والقتل من قبل إدارة المعتقل لفك الإضراب.

يتطلب هذا النوع من النضال شخصيات قيادية واعية وملتزمة تتمتع بروح وطنية نقية لتكون مشعلا لإنارة الدرب لمجموع المناضلين والذين لم تصقلهم التجربة بعد، لذلك فان هذا العمل النضالي بحاجة لنوع خاص من التدريب والممارسة، إذ انه يختلف عن وسائل النضال الأخرى بالشكل الجديد والمميز عن غيره من حيث القدرة على التكيف والانبعاث نحو آفاق جديدة من العمل الذاتي الخاص المعتمد

---

[14].هذا الاسلوب مفتوح واكثر فترة زمنية استمر فيها استعماله تسعة شهور متواصلة عام **1973** في معتقل بئر السبع، من اوائل شهر حزيران الى اوائل شهر آذار من العام التالي**1974**.

كليا على الشخص المعتقل نفسه لاغير. لذا يتطلب الأمر في التعامل مع هذا الأسلوب أمرا عدة أهمها:

أ. قيادة"نوعية" عالية التصميم والإرادة ومتسلحة بالوعي العميق لمتطلبات ساحة المعركة.

ب. قدرة قوية في الإقناع لدى القيادة ، وأكثر طريقة ناجحة في الإقناع تتمثل في العمل، بمعنى أن يكون القائد قدوة رائدة في التحمل والمواجهة والإقدام.

ت. اعتماد تجربة المعتقلين قديما والمناضلين كوسيلة حية من التطعيم والمناعة والتحمل.

ث. اعتماد العمل لكل فرد، أي على الطاقة الذاتية دون إحراج او خلق عوامل نفسية او إحباطية في طريقه.

ج. البدء بالعمل البسيط أولا ومن ثم الأكثر تعقيدا، وثم تعويد الفرد على تطوير الشعور بالمسئولية الذاتية والواعية.

ح. تعميق فكرة التضحية والعمل الجماعي المنظم والثقة بالذات، وهذا يتطلب وعيا سياسيا بالهدف والقضية.

خ. تحليل الخطوة النضالية المتوقعة ودراسة إيجابياتها وسلبياتها قبل خوضها وذلك لتعميق القناعة الذاتية لدى المعتقلين بأهمية هذه الخطوة ونتائجها المتوقعة.

د. ممارسة النقد البناء وتشجيع المبادرات الذاتية مهما كانت صغيرة.

وعليه فان الإضرابات بأشكالها لم تصل الى كفاءة عالية في التخطيط والتنفيذ الا بعد سنوات عديدة من الاعتقال وبعد تجارب وممارسات نضالية كبيرة وتضحيات كثيرة.

تطور الإضرابات داخل المعتقلات

تطورت الإضرابات داخل المعتقلات تبعا للحاجة ولتطور الوعي لدى المعتقلين وتطور الخبرات الاعتقالية، وسرى ذلك من خلال عرض هذه الإضرابات وتنوعها:

أولا: إضراب معتقل بيت ليد في كانون ثاني/1969 . إضراب مطلبي لتحسين الأوضاع الداخلية للمعتقلات التي كان يسودها الاضطهاد والقوانين التعسفية، والحرمان من معظم متطلبات الحياة. بما ان هذا المعتقل صغير في حجمه وفي عدد المعتقلين فقد عملت إدارة

هذا المعتقل على تفريغ المعتقل من المعتقلين وتوزيعهم على المعتقلات الأخرى، وتمكنت من إفشال الإضراب.

ثانيا: إضراب معتقل عسقلان في تموز /1970**:** إضراب مطلبي، وهو أول إضراب عن الطعام يخوضه المعتقلون في المعتقلات واستمر الإضراب ثمانية أيام، غيرت المعتقلات العامة على أثره سياستها داخل المعتقلات بتلبية بعض المطالب. واكب هذا الإضراب عملية تنقلات ما بين المعتقلات، وتم نقل بعض القيادات الى الزنزانات الاعتقالية لمدة شهر تقريبا، استشهد في هذا الإضراب وبقتل متعمد من مسؤول العيادة عبد القادر أبو الفحم([15]).

ثالثا: إضراب عسقلان عام 1972**:** إضراب مطلبي اخذ شكل الإضراب عن الخروج للساحة وعن الحلاقة والزيارة، على أثر ذلك حضر مدير المعتقلات العامة الى المعتقل وحققت بعض الإنجازات مثل: خلع الستائر الحديدية عن الشبابيك وتوسيع غرفة الزيارة وإزالة أحد شبكي غرفة الزيارة وإدخال بعض الكتب، والتي أدخلت المعتقل لأول مرة من الأهل بواسطة الصليب الأحمر.

رابعا: إضراب عسقلان في أيلول/1973**:** كان إضرابا جزئيا عن الزيارة والخروج للساحة، استمر حوالي الشهر وانتهى بالفشل، يعود فشله الى نشوب حرب تشرين عام 1973، أي ان الظرف الموضعي لم يكن ملائما فاتخذ قرار بحل الإضراب والاهتمام بتطورات الحرب، لم يحقق هذا الإضراب شيئا، وواكبه عزل انفرادي لبعض القيادات في زنزانات المعتقل.

---

[15]-عبد القادر ابو الفحم هو شهيد المعتقلات الاول ومن سكان غزة، حاول المعتقلون اقناعه قبيل الاضراب بعدم المشاركة في الاضراب نظرا لوضعه الصحي الا انه ابى وبشدة، ابى ان يكون من المتخلفين عن المسيرة النضالية، علما انه مصاب ب25طلقة في جسمه وكان يترف دما نتيجة جراحه، وابى ان يفك اضرابه مقابل الحياة، وابى مساومة ادارة المعتقل لفك اضرابه، استشهد لعدم علاجه، ولان ممرض المعتقل رفض معالجته الا بتنازلات منه، أي التعامل معه، علما ان هذا الشهيد كان قائد التشكيلات العسكرية في قطاع غزة قبيل لعتقاله، واصبح اسمه رمزا لمناضلي الحركة الاعتقالية على مر سني الاعتقال.

خامسا: إضراب معتقل بيت ليد عام1973**:** بعد تفريغ المعتقل عام 1969 على أثر الإضراب، رأت إدارة المعتقلات العامة استخدام المعتقل من جديد أضرب الجدد إضرابا مطلبيا، الا ان إضرابهم فشل بسبب نقل جميع المعتقلين الى معتقل بئر السبع.

سادسا: إضراب معتقل بئر السبع في حزيران عام 1973**:** كانت أهم مطالب الإضراب الامتناع عن العمل داخل المعتقلات أي رفض العمل الإجباري أيا كان نوعه، وجعله حرا لمن يرغب ووفق مشيئة المعتقلين وقرارهم، رافق هذا المطلب مطالب حياتية كتحسين أوضاع المعاملة والطعام والصحة، اتخذ هذا الإضراب شكل الإضراب عن الحمام والخروج للساحة وعن الزيارة والحلاقة، وللأكثر فاعلية بهذا الإضراب هو التوقف عن العمل بجميع المرافق، استمر هذا الإضراب تسعة شهور حتى صدأت الأقفال التي على أبواب الغرف والزنزانات، كانت تجربة المعتقلين هذه ناجحة جدا، ويعود نجاحها الى أسباب عديدة أهمها :

1. التنسيق الواعي والمتواصل بين قيادات الفصائل.
2. غنى معتقل بئر السبع بقيادات ذات وعي وتجربة عميقين نقلت من معتقل بيت ليد بعيد إضراب معتقل بيت ليد 1973، ومن معتقل عسقلان في آذار/1973.
3. معرفة القيادات لاوضاع المعتقلين في هذا المعتقل، وقدرتها على اتخاذ ترتيبات رفعت من تلاحم المعتقلين وصلابة إرادتهم، من هذه الترتيبات:
   أ. عدم غياب القيادات عن مواقع القيادة، والبقاء في مقدمة المضربين.
   ب. الاحتكاك المباشر بمشاكل الواقع وحياة كافة المعتقلين.
   ت. عدم التطرق والتسرع، وعدم توجه نقد بشكل جارح وفاضح.
   ث. خلق تفاعلات اجتماعية وتنشيط العمل الجماعي والحياة الاجتماعية.
   ج. عدم خلق نزعات الأفضلية بين الجدد من المعتقلين وبين القدامى.
   ح. دفع العناصر النقية أمنيا وأخلاقيا وممن لديهم المقدرة على القيادة الى مواقع فاعلة في الحركة الاعتقالية.

خ. تكثيف الجلسات التثقيفية، خاصة وان الاخوة والرفاق من معتقل بيت ليد كانوا قد أحضروا معهم العديد من الدفاتر التي أمكن استخدامها لملء الفراغ.

د. تجنب الخلافات الشخصية والعامة والسياسية وحل جميع الخلافات بصورة هادئة وبشكل تنظيمي ومركزي.

ذ. احترام المشاعر والعادات والتقاليد، وعدم الخوض في الخلافات العقائدية وعمل حفلات مشتركة والتعاون في أعمال النظافة والصندوق.

ر. تجنب خلق مشاكل مع أفراد الشرطة وخاصة الفردية منها.

ز. رفع التقارير اليومية عن جميع الأحوال المحيطة بواقع العمل والتنظيم في المعتقل.

4. الاعتماد على خطة المراحل في تثوير الواقع الاعتقالي وفي المواجهة مع إدارة المعتقل، إذ سبق الإضراب خطوات تكتيكية ضد الإدارة منها التوقف عن العمل في معظم المرافق مثل الشبك[16] والكرتون[17]، ومنها المطالبة ببعض الحقوق المهضومة مثل عدم قطع الماء الساخن وتوفير الصابون.
5. وضع خطة العمل على ضوء الإمكانيات المتوفرة في المعتقل، فمثلا في ظل الظرف الموجود آنذاك لم يكن بالإمكان خوض الإضراب عن الطعام حتى ولو بعد سنة من حضور قياديي معتقل بيت ليد وعسقلان، فالعديد من المعتقلين كانوا جددا وغير مهيئين لإضراب طويل عن الطعام.
6. وضع قيادات خلفية سرية لكافة الأجهزة على ضوء دراسة احتمالات المستقبل[18] دراسة جيدة ولضمان استمرارية ومتانة البنية الاعتقالية وصلابة العمل النضالي واستمرارية الحركة الى الأمام دون تراجع.

ردود فعل إدارة المعتقل

---

[16] من ضمن اقسام العمل داخل معتقل بئر السبع قسم خاص لصناعة شبك الدبابات واللازم لتغطية الدبابات وتمويهها اثناء الحرب، وكان يجبر المعتقلون على القيام بهذا العمل.

[17] كذلك من ضمن الاقسام قسم خاص لصناعة الكرتون لتزويد المصانع بها، بمعنى اخر دعم المعتقلين للاقتصاد الصهيوين.

[18] عادة ما تلجأ ادارة المعتقل اثناء الاضراب الى نقل قيادة المعتقل الى معتقلات اخرى او عزلها في زنزانات انفرادية داخل المعتقل، وهذا ما حصل في اضرابي بيت ليد عامي **1969**و**1973** واضرابي معتقل عسقلان عامي **1970**و **1973**.

اتخذ رد فعل الإدارة عدة أشكال منها:

一- قطع الماء الساخن عن الحمامات ولأي استخدام آخر.

二- مصادرة جزئية للبطانيات، فلم يتبق مع كل معتقل سوى أربع بطانيات من أصل ستة هذا في طقس النقب المعروف ببرده القارص خاصة ليلا.

三- مصادرة الملابس الداخلية فلم يبق لدى المعتقل منها الا ما كان يلبسه.

四- عزل بعض المعتقلين، مع عزل كافة المعتقلين عن العالم الخارجي.

五- إغلاق المذياع المركزي ومنع إدخال الجرائد.

سابعا : إضراب معتقل عسقلان في كانون أول/1976: إضراب عن الطعام شمل كافة المعتقلين في المعتقل واستمر لمدة خمسة واربعين يوما متتالية[19]. في اليوم الثالث والثلاثين أبعدت إدارة المعتقل كافة العناصر القيادية المؤثرة داخل المعتقل الى معتقل بيت ليد، في اليوم الخامس والأربعين حضر مدير المعتقلات العامة بعد إعادة المعتقلين المبعدين الساعة الثانية عشرة ليلا واقسم بشرفه العسكري ان يحقق كافة المطالب وانه سيحضر بعد ثلاثة أيام الى المعتقل للتباحث مع المعتقلين وتحقيق المطالب.

على اثر وعد مدير المعتقلات العامة فك الإضراب، وبعد ثلاثة أيام حضر ولكن رفض التعامل مع لجنة ممثلي المعتقل، وطلب عناصر معينة من المعتقلين للتباحث معه، الا ان طلبه رفض من قبل المعتقلين فكان جوابه ان رفض كافة المطالب، فكان رد فعل المعتقلين استئناف الإضراب عن الطعام من جديد واستمر عشرين يوما، عملت إدارة المعتقل على نقل العناصر القيادية من المعتقلين الى معتقل الجلمة وتحت إشراف حرس الحدود، وقد مارس حرس الحدود ابشع أنواع التعذيب والتنكيل ضد هؤلاء المضربين، استمر الإضراب رغم ذلك لدرجة ان المعتقلين سمعوا أمرا من مدير المعتقلات العامة يقول لضابط حرس الحدود المرافق للمضربين أثناء عملية النقل"إذا استطعت تكسير رؤوس هؤلاء، فإننا قد انتصرنا"، أثّر ذلك بشكل إيجابي في استمرار الصمود والتصميم على تحقيق المطالب.

بعد عشرين يوما من الإضراب تدخل وفد من إدارة المعتقلات ووعد بتلبية المطالب وهي:

一- فرش إسفنج للنوم بطول 180سم وعرض 60سم.

---

[19].اثناء الاضراب حاولت ادارة المعتقلات اجبار المعتقلين على الاكل باستعمال الضرب والارهاب، الا ان تصميم المضربين على الاضراب كان مستمرا، مما دفع ادارة المعتقل الى انزال الحليب عن طريق خرطوم، كذلك مورس ضغط نفسي مثل قلي البيض داخل ردهاب المعتقل من قبل شرطة المعتقل، وتناولت الشرطة كذلك الزيت والزعتر عند ابواب غرف المعتقلين وذلك لفتح شهياتهم وفك الاضراب، الا ان ذلك لم يؤثر على المضربين.

- إدخال كتب بشكل أوسع عما كان عليه سابقا.
- إجراء عمليات جراحية للمرضى المحتاجين لها.
- انتساب للجامعات.

لبّت الإدارة كل هذه المطالب ولكنها عادت ونكثت بالمطلب الأخير.

انعكاسات الإضراب

كان لهذا الإضراب القوي، وبسبب نجاحه، انعكاسات هامة على الحركة الاعتقالية والحياة داخل المعتقل. من هذه الانعكاسات مايلي :

1) دعم اللحمة الداخلية للمعتقلين بكافة اتجاهاتهم، بحيث بدأت الوحدة الوطنية داخل المعتقلات بشكل سليم وتسير بطرق صحيحة وبعيدة عن الصراعات السياسية والخلافات الخارجية.
2) ظهر هنالك تضامن من كافة المعتقلات ولأول مرة. إذ أعلنت المعتقلات الأخرى إضرابا لأيام محدودة تضامنا مع إضراب عسقلان هذا، فكان لهذا تأثير على مسيرة الحركة الاعتقالية المستقبلية، وأدركت إدارة المعتقلات أنها لا تواجه معتقلا منعزلا وانما تواجه المعتقلات جميعها.
3) تضامن سكان الوطن المحتل مع هذا الإضراب، ولأول مرة يلمس المعتقلون مثل هذا التضامن. نظمت مظاهرات جماهيرية واعتصامات تأييد لمطالب المعتقلين.
4) تضامن لجنة الحقوقيين الديمقراطيين وقطاع من الديمقراطيين اليهود مع المعتقلين وقيام اعتصام عند بوابة المعتقل.
5) تغطية الإضراب إعلاميا على المستويين العربي والدولي.

اما النتائج السلبية للإضراب فكانت إصابة اثنين من المضربين نتيجة إدخال الخرطوم الى المعدة للتغذية بالحليب. أدخل الخرطوم بطريقة عنيفة وغير صحيحة مما أدى تسرب الحليب الى الرئتين. عانى المعتقلون من التهابات واستئصل جزء من رئة أحدهم. وكذلك انتشر مرض البواسير والالتهابات المعوية والامساك الشديد.

ثامنا: إضراب معتقل بئر السبع في آذار/1978: هدف الى حماية الإنجازات التي حققت في الإضراب السابق والتي حاولت إدارة المعتقل سلبها. وهو إضراب عن الطعام وعن الزيارة عدا الفوج الأول من الزائرين وابلاغ الأهل بالإضراب.

نقلت إدارة المعتقل غالبية قيادة المعتقل الى معتقل طولكرم، وقوبل المضربون المنقولون بالضرب والاستفزاز وبأوامر قهرية لتركيعهم. لم تخضع هذه الإجراءات المعتقلين المنقولين وقرروا المواجهة وذلك من خلال مواصلة إضرابهم في معتقلهم الجديد. الا انه تم الاتفاق فيما بينهم وادارة المعتقلات العامة على العمل لدى مضربي معتقل بئر السبع لفك الإضراب مقابل الموافقة على مطالب المعتقلين. شكلت لجنة من مضربي معتقل طولكرم وأرسلت الى بئر السبع الا ان مهمتها فشلت بسبب عدم موافقة الإدارة على المطالب.
على الأثر بدأ مضربوا طولكرم بالمطالبة بإخلائهم بسبب الظروف الصحية السيئة جدا وفي الأثناء طالبوا بتخفيف الازدحام في الغرف وتحسين بعض الأوضاع الصحية. وهذا دعا بالتالي الى تنظيم الجهود في المعتقل ولجان التنسيق بين الفصائل.

تاسعا: **إضراب معتقل نفحة في تموز/1980:** افتتح هذا المعتقل في 2/5/1980 بهدف عزل القيادات عن بقية المعتقلين، واجه المعتقلون فيه عملية قمع شديدة وصودرت معظم حاجياتهم الخاصة، بمعنى آخر سلب المعتقلون منه جميع الحقوق التي حصلوا عليها في المعتقلات الأخرى، فقرروا الإضراب بعد ان استعدوا له اكثر من شهرين، ويمكن إجمال مطالبهم بمايلي:

1) تحسين نوعية الطعام وكميته.
2) استبدال الطباخين الجنائيين بطباخين من المعتقلين.
3) معالجة المرضى.
4) توسيع ساحة المعتقل التي لم تتجاوز مساحتها 15م×7م.
5) إطالة مدة الخروج للساحة من نصف ساعة الى ساعتين.
6) تركيب أسرّة.
7) تحسين الإنارة والتهوية داخل الغرف.
8) استبدال نصف باب الغرفة المكون من الصاج بشبك.
9) إدخال الكتب المسموح بها داخل الوطن المحتل.
10) المطالبة بحيازة أجهزة استقبال إذاعي، مذياع.
11) بناء غرف لزيارة الأهل.

قبيل بدء الإضراب بيومين نقلت إدارة المعتقل أبو علي شاهين الى معتقل شطة قرب بيسان. وبعد بدء الإضراب وبتاريخ 21/7/1980، نقلت إدارة المعتقل وفي ساعات المساء ستة وعشرين معتقلا الى مركز التوقيف في معتقل الرملة. واثناء النقل بدأ العديد من المعتقلين يتقيئون الدم بدل الطعام من أمعدتهم نتيجة الضرب المبرح. وعند وصولهم الى معتقل الرملة وجدوا جنود القمع في استقبالهم مزودين بالهراوات البلاستكية وخراطيم الغاز وبدأو بضربهم

أثناء مرورهم من بينهم يمينا ويسارا.من المعتقلين من وقع أرضا من شدة الضرب والهزل ومنهم من فقد وعيه ليصحوا على ضرب متواصل، ثم نقلوا في حوالي الساعة الثانية عشرة ليلا الى زنزانات انفرادية وباشرت إدارة المعتقل باستدعائهم واحدا تلو الآخر الى قاعة كبيرة بها ممرض المعتل وبعض مسئولي المعتقل، حاول هؤلاء إقناع المعتقلين بتناول طعام كان موضوعا على طاولات في ذات الغرفة، الا ان المعتقلين رفضوا فك الإضراب ورفضوا التهديد والوعيد. بعد ذلك بدأت جولة أخرى من الضرب الشديد، أمر المعتقلون بالتعري وانهال عليهم الجنود بالضرب الوحشي.

بعد فشل إدارة المعتقل في إقناع المعتقلين بفك الإضراب، بدأت عملية شاقة أخرى للمضربين، تم إعطاؤهم السائل الأبيض المالح جدا بواسطة خرطوم يتم إدخاله بهمجية الى المعدة عن طريق فتحة الأنف او الفم، ومن شأنهم ان يدخلوا الخرطوم أكثر من اللازم ليضرب بمعدة المضرب ثم سحبه بعنف وإدخاله ثانية وهكذا وذلك بهدف استنزاف طاقة المضربين وإسالة الدم من حلقة الأنف والمعدة مما يؤدي الى سقوط المضرب على الأرض من شدة الألم.

سقط في هذه الطقوس الإرهابية الشهيدين علي الجعفري وراسم حلاوة وكسرت ذراع ثالث، ورابع كتبت له النجاة بعد ان وصل الى حالة الخطر ليلقى مصيره بعد أربعة سنوات، حيث استشهد في بئر السبع نتيجة الإهمال الطبي المتعمد وهو الشهيد اسحق مراغي. اما بقية المعتقلين فقد حملت أجسادهم آثار الضرب بالهراوات، ونقل بعضهم الى مشفى معتقل الرملة للمعالجة، وبتاريخ 6/آب/1980 أعيد أربعة وعشرون منهم الى معتقل نفحة. وتم نقل أربعة آخرين من معتقل نفحة في نفس اليوم وهم أعضاء اللجنة النضالية العامة التي تقود الإضراب الى معتقل الرملة. وانتهى الإضراب بتاريخ 16/آب/1980 بعد ان استجابت إدارة المعتقلات العامة لمعظم مطالب المضربين.

<u>نتائج الإضراب : -</u>

1. تركيب أسرّة في الغرف.
2. تخفيف الازدحام([20]).
3. استبدال النصف العلوي بشبابيك([21]).
4. سمح بالتنقل من غرفة الى أخرى داخل المعتقل.

---

[20]. كانت ادارة المعتقل تزج عشرة معتقلين في الغرفة الواحدة علما بان مساحة الغرفة يقارب **16م2**.

[21]. كان باب الغرف مصفح بالكامل دونما فتحات، علما ان ابواب بقية المعتقلات مكونة منقضبان ومغطاة بالشبك.

5. أصبحت الزيارة مرتين شهريا ولكافة المعتقلين في المعتقلات، بعد ان كانت مرة واحدة شهريا.
6. سمح بممارسة الرياضة في ساحة المعتقل.
7. تم تركيب مغسلة إضافية في الغرفة.
8. تم إغلاق سقف دورة المياه داخل الغرفة لحجب الرائحة عن الغرفة.

هذا وقد تمخضت نتائج غير مباشرة عن الإضراب وهي:-

1. تضامن بقية معتقلات الأرض المحتلة مع المضربين في معتقل نفحة وتفاوتت المدة من معتقل الى آخر حسب إمكانية كل معتقل في تلك الفترة، وكان أطولها إضراب معتقل بئر السبع الذي استمر ثلاثة عشر يوما والذي رافقه إهمال كامل من إدارة المعتقل ودونما إشراف صحي او عناية.
2. دعم جماهيري داخل الأرض المحتلة وقيام مظاهرات واعتصامات جماهيرية .
3. دعم خارجي إعلامي، وعرض قضية الإضراب على المنظمات الدولية.
4. نتيجة لهذا الدعم شكلت سلطات الاحتلال الصهيوني لجنة تقصي حقائق داخل معتقل نفحة وسميت لجنة" ايتان"، وقدمت اللجنة توصيات كانت لصالح المعتقلين، لكن إدارة المعتقلات العامة رفضت التوصيات.

عاشرا: إضراب معتقل جنيد في أيلول/1984: وهو إضراب عن الطعام. قام هذا الإضراب احتجاجا على ما اتضح لدى المعتقلين انه الأسباب الحقيقية لافتتاح المعتقل.

من المعروف ام المعتقل افتتح في 2/7/1984. نقلت إدارة المعتقلات العامة اليه كافة معتقلي الوسط الشرقي والمتواجدين آنذاك في معتقلات الأرض المحتلة منذ عام 1948.ونقلت أيضا اليه بعض معتقلي معتقلات الوسط الشرقي. أما الهدف المعلن لافتتاح هذا المعتقل فقد تحدث عنه مدير داخلية العدو الصهيوني خلال حفل الافتتاح قائلا:" ان الهدف من بناء هذا المعتقل هو تخفيف حدة الازدحام في معتقل بئر السبع، ولإغلاق معتقل صغير قرب طولكرم، ولمنع عمليات الهرب، ولتقليل عدد الموظفين اللازمين للعمل بسبب وجود الأجهزة المتطورة فيه". لكن اتضح ان الهدف الأساسي لبناء هذا المعتقل هو التحكم بهؤلاء المعتقلين بشكل أفضل من قبل إدارة المعتقل، ومن ثم فرض القلق النفسي من خلال الأجهزة الإلكترونية الموجودة بالمعتقل والمتصلة بجهاز تلفزيوني رئيسي موجود في مقر إدارة المعتقل، وبالتالي خلق شعور لدى المعتقلين بأنهم مراقبون في الساحة والردهات والغرف وحتى في غرفة الزيارة،بمعنى آخر، لخلق شعور يدعو الى التوتر المتواصل مما يقود الى التحطيم النفسي.

حاولت إدارة المعتقل إعادة فرض قوانين عام 1967 على المعتقلات واعادة الوضع الى ما كان عليه من سوء معاملة وسوء تغذية، والتعامل مع المعتقلين بشكل فردي والتضييق عليهم بمختلف الوسائل والأساليب بما في ذلك خنق الحياة الثقافية وغياب العناية الصحية، وبالطبع لم يكن من الممكن ان يكون هذا مقبولا من قبل المعتقلين.

بدأ المعتقلون نتيجة لهذا الوضع السيء التحضير لتنفيذ إضراب يردع إدارة المعتقلات ويحافظ على المكتسبات التي تراكمت عبر سنين من التضحيات، أخذ المعتقلون ينظمون صفوفهم وينسقون جهودهم في سبيل تدعيم وحدة وطنية صلبة قادرة على مواجهة الموقف بإصرار. وبعد أن أعد كل فصل صفوفه تشكلت لجنة نضالية ضمت مختلف الفصائل وخاصة الرئيسية منها لتقود العمل وتنسقه. قامت هذه اللجنة بالاتصال بمختلف المعتقلات لاشعارها بقرب قيام إضراب يتطلب تضامنا من كل المعتقلين.

اما الخطوة التالية فكانت الاتصال بجماهير شعبنا بداخل الوطن المحتل وخارجه، إيمانا من المعتقلين بأنهم جزء من هذا الشعب صاحب هذه القضية العادلة.تم الاتصال بكافة المؤسسات الوطنية بالداخل والخارج واطلعت على الخطوات الاضرابية وطولبت بالتضامن مع المضربين ودعم مطالبهم.ثم أرسلت برقيات الى المنظمات الدولية والحكومات المختلفة وكذلك الى هيئة الأمم المتحدة والأجهزة المتفرعة عنها من جمعية عامة، ومجلس أمن، ومحكمة عدل دولية، والى لجنة الحقوقيين الدولية، ولجنة العفو الدولية، والصليب الأحمر الدولي، والبابا، والمجلس البرلماني الأوروبي. اما على الصعيد العربي فأرسلت البرقيات الى الجامعة العربية والى لجنة الحقوقيين العرب.

استمرت عملية التهيئة الداخلية(داخل المعتقل) والخارجية حوالي الشهرين ونصف الشهر. وبعد ان أدركت اللجنة النضالية أن الظروف الذاتية داخل المعتقل والظروف الخارجية أصبحت مهيأة للإضراب تقرر البدء به.

بدأ الإضراب صبيحة يوم 23/أيلول/1984 وقدمت وثيقة المطالب التالية الى إدارة المعتقل نكتبها هنا حرفيا:

1. تخفيف حدة الاكتظاظ في السكن والنزهة ويكون كالتالي:
   أ. تخفيف عدد الاسرة بحيث لا تقل المساحة عن 4م2 لكل معتقل وهو الحد الأدنى حسب اتفاقيات جنيف.
   ب. تركيب مغسلة خارج المرحاض.
   ت. توفير قاعة للطعام والدراسة.

ث. توسيع ساعة النزهة بحيث يتوفر فيها إمكانية التحرك بحرية داخلها، وممارسة الرياضة البدنية وكرة السلة والطائرة والتنس ومرحاض لقضاء الحاجة ومقاعد للجلوس.

ج. تحسين التهوية والإنارة الطبيعية بإزالة الاسبست عن النوافذ.

2. التسهيلات الاجتماعية واقامة العلاقات الإنسانية وتكون بالتالي:

أ. الإبقاء على الغرف مفتوحة في الصباح حتى التاسعة مساء أسوة بالسجناء الجنائيين.

ب. زيادة وقت النزهة اليومية المسموح بها وتقسيمها على دفعتين.

ت. حرية التنقلات والزيارات بين الأقسام.

ث. إعطاؤنا فرصة مصافحة ذوينا في الزيارة، وذلك بفتح طاقة في الشبك.

ج. التخفيف من الازدحام داخل غرف الزيارة وتهيئة مكان يقي الأهل من البرد والشتاء والحر، ومراحيض كافية لقضاء الحاجة.

3. توفير التسهيلات الثقافية ويكون بالتالي:

أ. حيازة راديو "ترانزيستور" ومشاهدة التلفزيون.

ب. إعطاؤنا فرصة شراء الكتب والمجلات والصحف التي يتم طبعها ونشرها في البلاد.

ت. توفير ضابط ثقافة لشراء اللوازم والملابس الرياضية.

4. توفير الرعاية الطبية الضرورية وتكون بالتالي:

أ. توفير طاقم طبي محايد لإجراء الفحوصات اللازمة لكافة المعتقلين.

ب. التعاطي مع الحالات النفسية الحادة والأمراض المزمنة بروح ميثاق جنيف.

ت. تغيير الشروط السكنية والمعاملة في معبار الرملة الذي يذهب المعتقلون اليه للعلاج.

ث. إجراء عمليات للذين تقرر لهم ذلك.

ج. توفير أخصائيين في كافة المجالات الطبية.

ح. إخراج عمال للمستشفى لخدمة المرضى.

5. وقف ممارسة العنف الجسماني والإذلال واستخدام الغاز والعقوبات الجماعية الفردية.

6. الخروج من دائرة قانون الانتداب البريطاني المعمول به في مديرية المعتقلات العامة وذلك بالتالي:

أ. إلغاء قانون الامتيازات الذي تتعامل به مديرية المعتقلات العامة ونرى فيه سيفا مسلطا على رقاب المعتقلين.
ب. كسر الفجوة القائمة بين الإقرار النظري وما هو قائم على أرض الواقع بمبدأ المساواة بين كافة المعتقلين في المعتقلات والسجون الإسرائيلية.

7. تحسين الطعام ويكون بالتالي:
أ. تسليمنا ما هو مقرر لنا وإعطاؤنا حرية الإشراف على عملية الطهي حسب أذواقنا وعاداتنا.
ب. تنويع في الأصناف التي يتم تقديمها لنا بما ينسجم وذوقنا الشرقي.
ت. إخراج طباخين مؤهلين للمطبخ.
ث. تغير طريقة تناول الطعام، بإيجاد قاعة لذلك.
ج. الإقرار بان إحضار خضار وفواكه من شركة تنوفا هو من حقوقنا والتعاطي معها بجدية.

8. حل مشكلة مرافق العمل ويكون بالتالي:
أ. إخراج عمال للمكتبة والمخيطة والمغسلة والمخزن والمطبخ والمستشفى.
ب. زيادة عدد عمال النظافة في الرداهات .
ت. ايجاد مكان ملائم للحلاقة والخياطة.

9. حرية ممارسة الشعائر الدينية (صلاة الجمعة).
10. توفير شراشف وبيجامات .
11. رفع المبلغ المسموح به في المقصف لشراء بحيث يلي احتياجات الحد الأدنى للمعتقل الفلسطيني.

انتهاء الإضراب

قام وزير شرطة العدو الصهيوني حاييم بارليف في 1/تشرين أول/1984 بزيارة المعتقل، واعترف بشرعية بعض مطالب المعتقلين ووعد بتحقيقها، ولأول مرة في تاريخ المعتقلات توافق فيه إدارة المعتقل على التفاوض مع المعتقلين والإضراب مستمر[22] وطلب وزير الشرطة لجنة ممثلي المعتقل، وكان ذلك اعترافا رسميا بشرعية هذه اللجنة ووعد بتحقيق بعض مطالبهم الشرعية، وعلى أثر ذلك تم انتهاء الإضراب بعد ان استمر اثني عشر يوما.

نتائج الإضراب

بعد أيام قليلة من إنهاء الإضراب تم تحقيق مايلي:-

1. إدخال مذياع"ترنزستور".
2. إدخال بيجامات وشراشف.
3. التخفيف من حدة الازدحام .
4. الموافقة على التنقل بين الأقسام.
5. الوعد بتغيير ساحة النزهة.
6. استلام المعتقلين للمطبخ.
7. زادت الفترة الزمنية للنزهة من ساعتين إلى ساعتين ونصف يوميا.
8. تم بناء مراحيض في الساحة.
9. الوعد بإحضار الأدوات الرياضية بعد بناء ساحة جديدة للمعتقل.
10. السماح بالتلفزيونات الملونة ولكن على حساب المعتقلين.
11. رفع نسبة الشراء من المقصف الى الضعف.
12. السماح بشراء مسجل يرسل ولا يستقبل على حساب المعتقلين.

التضامن مع الإضراب

1. شهدت معتقلات الأرض المحتلة إضرابات تضامنية مع مضربي جنيد.

[22].كانت تشترط ادارة المعتقل للبدء بمفاوضات حول المطالب فك الاضراب اولا، كما انه للمرة الاولى في تاريخ المعتقلات وفي تاريخ الاضرابات تقوم ادارة المعتقل باحضار الحليب من تاريخ يوم الاضراب بواسطة كوب دونما استخدام الخرطوم.

2. قامت تظاهرات محلية واشتباكات بالحجارة مع سلطات الاحتلال ندد خلالها المتظاهرون بالممارسات القمعية ضد المعتقلين في كافة المعتقلات وخاصة معتقل جنيد، وحصل اعتصام في مقر الصليب الأحمر الدولي في القدس.
3. تمت تغطية الإضراب إعلاميا من قبل صوت الثورة الفلسطينية، ومن خلال النشرات والصحف التي تصدرها فصائل الثورة الفلسطينية، وأرسلت الجهات الفلسطينية المسئولة برقيات الى المؤسسات للوقوف الى جانب مطالب المعتقلين في جنيد.
4. تحرك بعض أعضاء البرلمان الإسرائيلي وقاموا بزيارة المعتقل والاجتماع مع المعتقلين.

مرافق العمل

أشرنا سالفا الى ان موشيه ديان وعد في خطاب له تطرق فيه لمسألة المناضلين الفلسطينيين بأن تتحول الأيدي التي أطلق عليها اسم المخربة الى أداة عمل وانتاج تعود بالنفع على الاقتصاد الإسرائيلي. وقصد من ذلك إقامة مرافق إنتاجية تعمل فيها الأيدي الفلسطينية التي حملت السلاح في مواجهة جيشه.وكان في نيته ان يكون العمل إجباريا وبديلا للأشغال الشاقة التي تحكم فيها بعض الدول سجنائها.

تنفيذا لهذا الوعد الذي قطعه ديان، أنشئت مرافق عمل مع المعتقلات الجديدة التي أخذ العدو يقيمها من أجل استيعاب الأعداد المتزايدة من الفلسطينيين الذين يقعون في الأسر. فجهزت مثلا معتقلات بيت ليد (كفاريونا) وعسقلان وبئر السبع بمرافق عمل مختلفة، وسبقها في ذلك معتقل الرملة. اشتملت هذه المرافق على تصنيع شبك خاص بالدبابات وأدوات كهربائية وتحف وسلع استخدامات النايلون، واشتملت أيضا على بعض الحرف كالخياطة والحدادة والنجارة، وكذلك على أعمال البناء والصيانة. أصبح على المعتقل الفلسطيني ان يساهم في صنع شبك الدبابات التي تدوس المخيمات وتهشم جماجم أطفال فلسطين، وان يدعم اقتصاد العدو ليصبح أكثر قدرة على قمع الفلسطينيين ومواصلة تشريدهم وتفتيتهم.

بدأ العمل في معتقل الرملة الذي تخصص بصورة أساسية بصناعة شبك الدبابات والسيارات العسكرية، وعلى الرغم من ان بعض المعتقلين نظروا بارتياب ورفض لمثل هذه الأعمال الا ان آلية تنفيذ الرفض لم تكن متوفرة. أي انه لم يكن قد تبلورت آنذاك أطر تنظيمية او حياة اعتقالية منظمة تنسق الجهود وتواجه إدارة المعتقل. ومع اتباع الاحتلال لسياسة قمع

حديدية، لم يملك المعتقلون الا الانصياع لأوامر العمل.وكان من شأن من يرفض أن يعرض نفسه لشتى أنواع التعذيب والعقاب. فكان يضرب بشدة ويشبح ويعزل في زنزانة انفرادية ويحرم من الزيارات لعائلته.

ابتدأ العمل بعد ذلك في معتقل عسقلان الذي احتوى على مشغل خياطة وآخر لصناعة الملفات المصنوعة من الورق المقوى والمخصص لحفظ الأوراق المكتبية.ومع مرور الوقت اتسعت المرافق وازداد عددها بحيث اشتملت على مشغل لصناعة مغلفات ورقية، وعلى آخر لنزع الطوابع عن مغلفات الرسائل، وآخر لتجميع لوائح من الخشب الرقيق، وعلى مرافق تخص أمال البناء، ومطبخ خاص بالشرطة (السجانين) ومرافق أخرى بخدمة المعتقلين أنفسهم.

انقسم المعتقلون على أنفسهم في بداية الأمر حول هذه المرافق فمنهم من رأى فيها مجالا للتسلية من شأنه ان يبعد الملل ويخفف من ضيق البقاء خلف القضبان. أي انها تخفف من الضغط النفسي الذي يتعرض له المعتقل وتعطيه فرصة لقضاء ثمان ساعات عمل مسلية، ورأى آخرون منها فرصة للحصول على المزيد من الشاي واللفافات التبغية.فقد كان يحصل المعتقلون على مردود مادي بسيط جدا لا يتناسب بتاتا مع حجم العمل. الا انه كان يسد جزءا من رمق الحاجة.

فريق ثالث رأى خطورة كبيرة في مرافق العمل وأخذ يفكر في وسيلة للتخلص منها، برر هذا الفريق موقفه بناء على عدة أمور:

1. العمل مرفوض من الناحية المبدئية لانه يستغل الإنسان بصورة بشعة وبدون مردود مادي يذكر. انه استغلال لمعتقل لا يملك وسائل الدفاع عن نفسه او رفض الابتزاز. هذا بحد ذاته عبارة عن تكريس لتحقير الفلسطيني داخل المعتقل.
2. العمل في مرافق العمل يشكل دعما للاقتصاد الإسرائيلي، وان اليد الفلسطينية التي تعمل على تحرير الوطن يجب الا تقوم بأي عمل من شأنه ان يدعم الاحتلال بصورة مباشرة او غير مباشرة. فضلا عن ذلك، اختصت بعض مرافق العمل ببعض المنتجات ذات الاستخدام العسكري، وهذا ما يجعل من العمل في هذه المرافق عارا مضاعفا.
3. شكلت مرافق العمل مراكز احتكاك بين مسئولي المعتقل من شرطة وغيرهم والمعتقلين، وهذا ما سهل عملية الاتصال بين العملاء من المعتقلين وبين إدارة المعتقل او المخابرات. أي أنه كان بإمكان الإدارة ان تعرف باستمرار أخبار المعتقلين والنشاطات التي يقومون بها والخلافات التي تنشب بينهم، الخ. أضر هذا كثيرا في صلابة الموقف الاعتقالي وقدرته على التنسيق والمواجهة.

هذا ناهيك عن ان عملية الاحتكاك المتواصل بين الشـرطة والمعتقلـين سـهلت الطريق أمام الإدارة لتجنيد المزيد من المعتقلين عن طريق الضـغط والابتـزاز والإغراء. ومن شأن هذا أن يضاعف من المشاكل الأمنية للمعتقلين.

في خضم الحديث عن العمل ظهر فريق من المتخصصين في بث نـار الفتنـة، حاول هذا الفريق وكما يبدو بدعم من الإدارة على تزيين مرافق العمـل والتركيـز على فوائد لها ومحاسن من أجل إفشال التوحد الضاد. غالبا كان هؤلاء من العملاء والمندسين الذين ينفذون مخططات الإدارة والمخابرات.

حاول المعتقلون مقاومة محاولات الإدارة لاستغلالهم. بدأت محاولاتهم في معتقـل الرملة وبصورة خاصة ضد صنع شبك الدبابات والسيارات العسكرية. الا ان هـذه المحاولات كانت بدائية وغير مرتكزة على أسس تنظيمية وكان مصيرها الفشل. الا ان المعتقلين استطاعوا تحقيق إنجاز ضد العمل في إضراب بئر السبع لعام 1973 والذي سبقت الإشارة اليه. تضمنت مطالب المعتقلين مطلبا أساسيا بجعـل العمـل خاضعا لقرار شخصي ، أي جعل العمل في المرافق ضمن مبدأ الحرية الفردية لكل معتقل. نجح هذا الإضراب واستطاع المعتقلون تحقيق مطلبهم هذا، ومن ثم تبعـت المعتقلات في نضالاتها الى ان حققت ذات الهدف.

لكن المسألة تطورت فيما بعد تبعا لتقدير التنظيمات المختلفة من ان حرية العمل لا تقضي على المخاطر الأمنية فصدرت الأوامر، في كل فصيل على حـدة بحظـر العمل وعدم السماح لأي معتقل بالخروج الى مرافق العمل، ومع هذا القرار انتهت مقولة ديان ومخططات إدارة المعتقل في تسخير الطاقة الفلسطينية.

هذا ومن المفيد ان نشير الى ان المعتقلين الفلسطينيين لم يقاطعوا مرافق العمل التي تخدم شؤونهم كالمطبخ والمغسلة، فالمعتقلون يفضلون ان يقوموا بأعمـال النظافـة التي من شأنها ان تساهم في المحافظة على جو صحي، ويفضلون طهي طعـامهم بأنفسهم وحسب المواصفات التي يرونها مناسبة، وقد كان ذلك مطلبا أساسيا لهم في إضراباتهم والإدارة لا تقرر من يقوم على مثل هذه الأعمال، بل قيادة المعتقلين هي التي تتخذ القرار.

الظروف الاعتقالية في معتقل النساء

مر معتقل النساء في الرملة بعدة مراحل تطور مختلفة، امتدت من عام 1967 وحتى عام 1985، كانت مراحل هذا التطور بطيئة جدا ومتعثرة أحيانا. كما مرت بانعطافات حادة وعديدة، ويعود هذا الأمر الى الوضع العام للمرأة الفلسطينية التي ما زالت تقارع وتقاوم بحدة بعض العادات والتقاليد الاجتماعية الخاطئة والمعقدة والتي تمنع المرأة من الانطلاق والخروج من القوقعة المفروضة عليها للمشاركة الفعالة في العمل السياسي والاجتماعي. وهنا لا بد من الإشارة الى انطلاقة الثورة الفلسطينية في الفاتح من كانون الثاني لعام 1965، والتي كان لها دور كبير وأساسي في تحطيم الحواجز والقيود التي تكبل المرأة الفلسطينية، فكان للعمل الوطني الدور الأول في تحرير المرأة الاجتماعي الذي يتطور عادة مع تطور الحركة الثورية، وبعدها أصبحت المرأة فعلا تقف مع الرجل في نفس الخندق حاملة نفس السلاح وتسير معه في درب نضال واحد لتحقيق أهداف الشعب الفلسطيني.

خاضت أول أسيرة فلسطينية تجربة الاعتقال اثر اتهامها بالقيام بعمليات مسلحة ضد العدو الصهيوني وهي فاطمة البرناوي، من مواليد مدينة القدس وكانت تعمل ممرضة في مستشفى قلقيلية، اعتقلت فاطمة البرناوي في أواخر عام 1967. تمثل معتقل النساء في تلك الفترة في غرفة في زاوية من مساحة واسعة من الأرض بالقرب من سجن الرملة للرجال، وبعد فترة ليست بقصيرة، بعد توافد العديد من الجنائيين اليهوديات وبعض المناضلات الفلسطينيات قامت إدارة السجن بإنشاء قسم كبير خاص بالمعتقلات والسجينات. لم يتوقف المعتقل عند هذا الحد، حيث استمر توافد الجنائيات اليهوديات والمناضلات الفلسطينيات الى السجن ــ المعتقل، وكذلك أي تطور الحركة الثورية الفلسطينية وزيادة نشاطها الى زيادة عدد المناضلات الفلسطينيات في المعتقل، اثر ذلك اضطرت إدارة السجن الى إنشاء قسم آخر، فأصبح السجن يتكون من قسمين:

قسم (أ): وهو خاص بالجنائيات اليهوديات ويضم الفلسطينيات السجينات بسبب قضايا مدنية.

قسم (ب): وهو خاص بالمناضلات الفلسطينيات، ويوجد فيه أيضا عدد قليل من الجنائيات اليهوديات.

أدينت معظم المعتقلات اللواتي اعتقلن في تلك الفترة بالقيام بأعمال عسكرية ضد العدو الصهيوني، وقد صدرت ضد بعضهن أحكام عالية وصلت الى مدى الحياة، بالنسبة لوضع المعتقلات في سجن الرملة من ناحية الحياة داخل المعتقل، فان هذا الوضع لم يكن قد تطور بدرجة تطور الوضع في المعتقلات الأخرى. فقد اتسمت نضالات المعتقلات في المرحلة

الأولى للمعتقل بالعفوية والتخبط دون تحديد أولويات أو مبادئ للحياة الاعتقالية، ومن المؤكد ان وضع التخبط هذا يعود الى افتقار المعتقلات في تلك الفترة الى الوعي السياسي والتنظيمي، وضعف الاتصال بينهن على مختلف الأصعدة.

العلاقات الداخلية بين المناضلات وأثرها في تحسين أوضاع المعتقلات: كانت العلاقات بين المعتقلات مختلطة وغير منظمة في المرحلة الأولى، فلم تكن هناك تنظيمات او فصائل تقوم بينها علاقات تحكمها ضوابط وقوانين، بل كان هناك تجمع عام لجميع المعتقلات اللواتي تغلب على علاقاتهن السمة الشخصية أكثر من العلاقة التنظيمية الواعية، وحتى فترة متأخرة راوحت أوائل الثمانينات لم تكن هناك لجان اعتقالية تمثل المعتقلات لدى إدارة المعتقل ولا حتى لجان تنظيمية تحكم العلاقات بصورة منظمة بين المعتقلات، وذلك لان المعتقلات أنفسهن لم يكن قد أطّرن أنفسهن ضمن أطر تنظيمية واضحة، ولكن بالرغم من انعدام الوضع الاعتقالي المنظم فقد خاضت المعتقلات منذ أوائل السبعينات وحتى عام 1980 العديد من النضالات من أجل المحافظة على هويتهن السياسية كمناضلات يمثلن المرأة الثائرة ولانتزاع حقوقهن الإنسانية من إدارة المعتقلات الصهيونية التي تحاول دائما وبشتى الطرق إذابة الهوية النضالية للمعتقلات وقتل روح الثورة فيهن. عمدت الإدارة مثلا الى إجبار المعتقلات على العمل في مرافق العمل الإنتاجية والمشاركة في طهي الطعام لجلاداتهن. وهذا الأسلوب يدخل ضمن استراتيجية العدو الهادفة الى تحويل اليد التي كانت تحمل السلاح ضده الى يد تشارك في بناء وتدعيم اقتصاده، والى تفريغ المناضلات الفلسطينيات من محتواهن الوطني وتحويلهن الى مجرد أدوات.

أخذ هذا الوضع يتجه وجهة جديدة في أواخر السبعينات وأوائل الثمانينات عندما دخلت الى المعتقل مجموعات من المناضلات اللواتي قطعن شوطا لا بأس به من الوعي السياسي والتنظيمي، فبدأت تظهر داخل المعتقل أطر تنظيمية واضحة تتعامل فيما بينها حسب ضوابط وقوانين محددة، وانعكس هذا الوضع على العلاقة بين المعتقلات وادارة المعتقل، حيث اتسم النضال في هذه المرحلة بسمة منظمة وعلمية بعيدة عن الهوجائية والتخبط والتسرع، وأفرزت من قبل السجينات لجنة اعتقالية للحوار مع إدارة المعتقل ولتمثيل المعتقلات، ومنذ ذلك الحين أصبح الوضع يسير بخطى حثيثة واعية نحو الأفضل.

بدأت المعتقلات بتحديد أولويات الصراع وبناء أسس متينة لوضع اعتقالي سليم عن طريق خوض نضالات ضد القوانين المفروضة عليهن والتي لا تتناسب ومبادئهن كثائرات، فكان الإضراب الشهير الذي خضنه لفصل طعامهن عن طعام السجانات تعبيرا عن رفضهن المشاركة في صنع طعام سجاناتهن.

عمدت الإدارة كرد فعل الى معاقبتهن بزجهن في الزنزانات لمدة 23 ساعة يوميا. امتد هذا الإضراب لمدة تسعة أشهر متواصلة. مارست إدارة المعتقل خلال هذه الفترة أساليب الضغط والإرهاب حيث صودرت الكتب والمذياع ومنعت ساعات "الفورة"، وتقلصت زيارات الأقارب الى زيارة واحدة كل شهرين في محاولة بائسة من العدو لشل الإضراب وكسره.

كما تخلل هذه الفترة رش الغاز السام والمسيل للدموع بكميات كثيفة جدا، مما تسبب في إصابة العديد من المعتقلات بإصابات بالغة وحرق وتشويهات.

وبعد تسعة أشهر توج نضال الاسيرات بقبول الإدارة بمطلبهن. وتبع تحقيق هذا المطلب إنجازات أخرى منها تثبيت اللجنة الاعتقالية كممثل شرعي للمعتقلات لدى الإدارة، وتحسينات أخرى في الأمور الحياتية للمعتقلات مثل نوع وكمية الطعام المقدم لهن. كما أعطى هذا الإضراب زخما إعلاميا للمعتقلات على الصعيد المحلي والخارجي، وتجلت صورة المرأة الفلسطينية القادرة على خوض الصراع بأصعب أشكاله والعيش ضمن أصعب الظروف الاعتقالية والمحافظة على هويتها النضالية.

ولم يكن هذا الصراع هو نهاية المطاف، فالمسيرة النضالية واصلت تفاعلها وارتقائها، حيث كانت هناك إضرابات أخرى بهدف تحسين الأوضاع العامة. وتدرجت المعتقلات في خطواتهن النضالية لتغيير القوانين الجائرة المفروضة عليهن. فكان إضراب 1984/11/12 المفتوح عن الطعام، حيث حدد مطلب رفض العمل في مرافق العمل الإنتاجية وحصر عملهن في مواقع الخدمات التي تخص الأسيرات أنفسهن كالتنظيف والمطبخ والخياطة، وبعد ستة أيام من الجوع والعذاب، خضعت إدارة المعتقل لمطلب الأسيرات الفلسطينيات بخصوص قضية العمل، واصبح عملهن مقتصرا على الأمور الخاصة بهن.

تجربة الأسيرات الفلسطينيات علمتهن ان التحدي الصريح هو الأسلوب الوحيد الذي يستطعن من خلاله تحقيق مطالبهن في مواجهة قمع إدارة المعتقل، وان العدو الذي يحاول القضاء عليهن بشكل تدريجي عبر وسائل التحطيم المعنوي والمادي لا حقق هدفه إذا وقفت المعتقلات وقفة حازمة.

هذا وتجدر الإشارة الى ان عدد المعتقلات القليل قد أثر على مستوى المواجهة وأضعف من صلابة المسيرة النضالية في معتقل النساء، وجعل الإدارة أكثر قدرة على السيطرة على الموقف وتحجيم نشاط المعتقلات. تجلى هذا بوضوح بعد عملية تبادل الأسرى الأخيرة التي تمت في 1985/5/19. عمدت الإدارة الى اتخاذ إجراءات جديدة هدفها القضاء على المعتقلات الأمنيات على السجينات الجنائيات الصهيونيات. وضعت الأسيرات المحكومات في قسم منفصل عن الأسيرات الموقوفات، وفي نفس الوقت وضعت السجينات الجنائيات المختلات عقليا والمدمنات على تعاطي المخدرات داخل نفس قسم المعتقلات

الموقوفات أمنيا، وقد شكل هذا وضعا خانقا بالنسبة للمعتقلات الموقوفات اللواتي لم يصدر بحقهن حكم بعد، هذا بالإضافة الى منع الاتصال بينهن.

تعيش المعتقلات في "نفي تريتسا" منذ منتصف شهر أيار لعام 1985 وضعا شاذا وصعبا. أعلنت المعتقلات الإضراب عن العمل كخطوة أولى تعبيرا عن رفضهن للواقع الذي فرض عليهن، ورافقت هذا الإضراب كالعادة مصادرة كل ما يملكن من حقوق كالشمس والهواء النقي. تمثل المطلب الأساسي للمناضلات في فصلهن التام عن السجينات الجنائيات ووضعهن في قسم خاص بهن وتوفير ظروف إنسانية واعتقالية كتلك الموجودة في كافة المعتقلات في الأراضي المحتلة. هذا وقد علق الإضراب في نهاية شهر تشرين أول 1985 بعد الاتصال بالمحامين ووعد المناضلات برفع مطالبهن الى وزير الشرطة والنظر فيها، وحتى الآن تنتظر المناضلات الرد.

الصراع من أجل تحسين الأوضاع المعيشية

تستمر إدارة المعتقل في قمع المعتقلة الفلسطينية بعد صدور حكم ضدها عبر القوانين التي تطبق داخل المعتقل، وعن طريق حرمانها من كافة حقوقها الإنسانية، ووضعها في جو نفسي غير مستقر.وكذلك أضعافها جسديا من خلال عدم توفير طعام صحي كاف أو أماكن صحية للنوم. تلعب نضالات المعتقلات دورا أساسيا وفعالا في تحسين الظروف وخلق واقع انساني وصحي تستطيع المناضلة من خلاله المضي قدما في مسيرتها وراء القضبان بكافة المسائل المتاحة لها، وإغلاق الباب في وجه العدو ومنعه من اختراقها أو إضعافها، ومن ضمن المجالات التي تناضل المعتقلات فيها:

أ. نضال المعتقلات من أجل تحسين الظروف المعيشية من طعام وشراب: يفتقر الطعام الذي يقدم داخل المعتقل للحد الأدنى المطلوب من فيتامينات وبروتينات، فالطعام في معظمه عبارة عن نشويات، ونظرا لعدم توازن الطعام تعاني معظم المعتقلات من أمراض فقر الدم والقرحة والروماتيزم وأمراض العيون وغير ذلك. هذا بالإضافة الى قلة كمية الطعام التي لا تكاد تسد رمق المناضلة فهناك ثلاث وجبات تقدم يوميا تكرر نفسها على مدار الأسبوع. تفتقر الوجبات للطهي الجيد والنوعية الجيدة. فمعظم ما يقدم من طعام يتميز بنوعية رديئة. وقد خاضت المعتقلات في معتقل النساء "نفي تريتسا" نضالات عدة من أجل تحسين نوعية الطعام وكميته، حتى أدخلت عليه مؤخرا بعض التحسينات، ومع هذا فان إدارة المعتقل تضع دائما مبررا لعدم تقديمها اللازم، وهو عدم توفر الإمكانيات لاعداد طعام جيد بسبب الحالة الاقتصادية المتدهورة التي تعيشها الدولة.

ب. المطبخ: هناك مطبخ مركزي يتم فيه تحضير الطعام، وكانت هنـاك مشـكلة خاصـة بالمطبخ عانت منها المعتقلات الفلسطينيات، حيث حاولت الإدارة إجبـار المناضـلات على اعداد الطعام لجهاز الشرطة داخل المعتقل، ولكنهن رفضن ذلك باستمرار. وكان موقفهن مبدئيا واضحا يرتكز على قناعتهن بأنهن مناضلات فلسطينيات أولا، ويرفض صنع الطعام لجلاداتهن اللواتي يشكلن أدوات قمع وقهر.

ت. العلاج: ولد المعتقل حالات مرضية صعبة تطورت وتحولت مع السنين الى أمـراض مزمنة بسبب عدم توفر العناية الطبية اللازمة، فالعلاج داخل المعتقل عبارة عن حبوب مسكنة ومخدرة، وقد رفضت المناضلات تعاطي هذه الحبوب لان العدو يهـدف الـى استخدامها كأداة ضغط ضد المناضلات في حالة ادمانهن عليها، وفـي حالـة وجـود مرض خطير لدى إحدى المناضلات فان الإدارة تهمله حتى يستفحل ويصعب علاجه. ولقد خاضت المعتقلات نضالات عديدة من أجل توفير العناية الصحية والسماح بإدخال الأطباء من الخارج لفحص المناضلات اللواتي يعانين من أمـراض خطيـرة تماطـل الإدارة في علاجها.

يوجد داخل المعتقل عيادة وطبيب عام يأتي مرتين أسبوعيا، وطبيب أسنان، حضـور هؤلاء الى المعتقل عبارة عن عملية شكلية ولا يقدمون أي شيء فعلي فـي معالجـة المعتقلات، والجواب الذي اعتادت عليه المناضلة حين فحصها انها لا تعاني مـن أي شيء، كما أن معظم الأطباء والممرضين العاملين في العيـادة هـم جنـود وضـباط يخدمون في جيش العدو ومشبعون بفكر صهيوني متعصب، ولذلك من المتوقع بل من المؤكد انهم لن يولوا أي اهتمام أو عناية بالفلسطينيات داخل المعتقل.

ث. سعة الغرف والنوم: تعيش داخل الغرفة ست سجينات، تفتقر الغرفة للتهوية والإضاءة الجيدة. فالضوء ضعيف جدا ويؤثر سلبيا على النظر، لكن الغرف تحتوي على أسرة، وهناك مشكلة تبرز في فصل الشتاء وهي عدم توفر الأغطية الكافية.

وسائل التسلية في المعتقل

يعمل العدو وبشكل مستمر على التضييق على المعتقلات وحرمانهن مـن أي وسـيلة للترويح عن النفس. فالألعاب الرياضية أو العاب التسلية غير معنية الإدارة بتوفيرها. ولكن الصليب الأحمر وفر أحيانا بعض الألعاب الرياضية والذهنية والتي تسمح إدارة المعتقـل بإدخالها. لكن الاحتلال لم يوفر أي مكان في المعتقل خاص بممارسة أي نوع من الرياضة البدنية. والمعتقلات يطالبن بإنشاء ملعب رياضي أو بتوسيع الساحة في القسم. وفـي هـذا

المجال، لإدراك المعتقلات لأهمية الرياضة البدنية ودورها في الحفاظ على صحة المناضلة وقوتها، فقد بادرن في تنظيم ألعاب رياضية مفيدة تقوي الجسم وتحافظ عليه.

مرافق العمل في معتقل النساء

هناك مجموعة من مرفق العمل التي تحددها لجنة المعتقلات وتوافق على العمل فيها. تتمثل هذه المرافق بالمطبخ والمغسلة والمخيطة والحقل فقط. تخدم هذه المرافق مصلحة المعتقلات وتخفف من وطأة الحياة الاعتقالية عليهن. وافقت المعتقلات على العمل في المطبخ، حسب تقييم المعتقلات، بعد أن رضخت إدارة المعتقل لمطلبهن في عدم المشاركة في صنع طعام السجانات، والعمل في المطبخ يخدم مصلحة المعتقلات في الدرجة الأولى حيث يتيح الفرصة لتحسين طرق طهي الطعام والتنويع فيه وتوفير طعام نظيف على الأقل. وكذلك المخيطة حيث يقتصر العمل فيها على صنع ملابس المعتقلات، وتحاول الإدارة تمرير بعض الملابس وصناعة الأعلام الصهيونية، ولكن المناضلات يرفضن خياطتها رفضا قاطعا. وتوافق المعتقلات على العمل بالتنظيف لانه يتيح لهن إمكانية المراقبة والاتصال بين الغرف وإيصال ما يردن من غرفة الى أخرى.

وأما المجالات التي ترفض المناضلات العمل بها فهي المرافق الإنتاجية التي يمكن أن تفيد العدو، وقد تمت مقاطعة العمل الإنتاجي مؤخرا، وجاءت هذه الخطوة متأخرة بالنسبة للمعتقلات الأخرى بسبب خصوصيات معتقل النساء الذي يتميز بقلة عد المعتقلات فيه ووجود سجينات يهوديات في داخله، وخضوع عدد المعتقلات أمنيا لبعض القوانين التي تطبق على السجينات الجنائيات. بالإضافة الى ذلك فان عدم توفر الكفاءات القادرة على قيادة معتقل النساء وتوجيه نضالاته نحو الوجهة الصحيحة أدى الى تأخير مقاطعة العمل.

الخلاصة

استطاع المعتقلون تحقيق الكثير من المطالب المعيشية وتطورت ظروف المعيشة نحو الأفضل ومعها تطورت ظروف النضال نفسه وامتد واتسع ليشمل كل المعتقلات. فقد أصبحت المعتقلات مواقع مجابهة حقيقية تحسب لها السلطات الصهيونية حسابا، وأصبح تنظيم النضال اكثر دقة وشمولية وفاعلية وأكثر أهمية من السابق، فالمعتقل الذي تحمل أعباء كثيرة في النضال استطاع نقل الحركة الى المعتقلات الأخرى وعمل على تعميقها لتصبح المواقف

موحدة ومشتركة. وكثيرا ما قامت إضرابات تضامنية مشتركة مع إضـــراب معتقــل آخـــر، وأحيانا كانت تهب كل المعتقلات هبة واحدة وتقف موقفا موحدا ضد إدارة المعتقلات.

في بداية الاعتقال وفي الثماني سنوات الأولى، اتبعت أشكال نضالية مختلفة كما ذكرنا آنفا، ولكن المهم ان النضال لم يتوقف بجميع أشكاله من البدء. بمعنى أن الممارسة والقناعـــة والثقة بالذات وغرس فكرة القدرة الذاتية وروح العمل الجماعي والإقدام كل ذلك أصبح جزءا من نفسية المعتقل الفلسطيني، وأصبح النضال جزءا من تفكيره وحياته.

ويتضح من تاريخ النضال الفلسطيني داخل المعتقلات ان الإدارة لم تحقق يوما مطلبا للمعتقلين بدون صراع مسبق، ولم تعط أهمية للمطالب وانتباها ما دامت شفوية غير مدعومـــة بظاهرة من ظواهر الصراع. انتزع المعتقلون إنجازاتهم من الإدارة انتزاعا ووضعوها تحـــت أمر واقع لا يمكن الإفلات منه.

كانت إدارة المعتقل ترد سبب جميع هذه الإضرابات الى الأوامر الصادرة من قيادات الفصائل في الخارج، أي انها إضرابات سياسية وليست نتيجة لضرورة اعتقاليـــة او لمطالـــب حياتية في المعتقل. وهذا ما كانت تلجأ إليه الإدارة لتبرير ممارساتها القمعيـــة الشـــديدة فـــي مواجهة الاحتجاجات.

القيمة في النضال داخل الأسوار له مغزى عظيم ومقدس. فرغم الســـياط والســـيطرة والقوانين اللاإنسانية فان عجلة تحقيق الكرامة الإنسانية لا تتوقف. ولا وجود لحـــق الا بقـــوة العدل، بقوة المبادئ السامية في النفس والمشاعر والأفكار. فلا غفلة مع الصحوة ولا صـــحوة الا بالاستعداد الكامل في العطاء دون توقف أو تردد أو تخاذل.

النضال في المعتقل لا يعبر عن شيء الا عن القيم والمبادئ والأهداف التي رسمها الحـــق والواجب والرؤيا المستقبلية للمصير المرتقب. ان المصير الذي يتوقعه الشخص المعتقل وغيره داخل المعتقل هو اما الانتصار على العدو او الشهادة داخل المعتقل. انه يعني ان في الاستجداء ذل وفي الخوف استسلام، التقهقر أمام إجراءات العدو هزيمة ووصمة عار الـــى الأبـــد، امـــا الاستبسال والإقدام فلا بد ان يأتيا بفجر، والفجر يستحق تحمل المعاناة والشدائد الى حين. فذلك يعلو على حياة الذل والمهانة التي لا تتطلب عناء الصراع وقسوة الإضراب.

الحركة الثقافية

يحتجز المعتقل الأسير وراء قضبان تحول بينه وبين النشاط المؤثر في الخارج، انه وسيلة ذات فاعلية في إفراغ المجتمع من مناضليه وقيادته وتمهد الطريق أمام تنفيذ السياسات المعادية لطموحات الشعب وآماله. والقوة المتسلطة لا تكتفي عادة بحجز الرافضين للواقع وراء القضبان، بل تعمل أيضا على قمعهم جسديا ومعنويا في سبيل تحويلهم عن أهدافهم السامية التي اعتقلوا من أجلها. فهذه القوة تحاول دائما اما استمالة الشخص الى جانبها بالقوة او بغسل الدماغ، واما تفريغه من محتواه بحيث يتحول الى مجرد ثائر سابق لم يعد يعنيه من الأمر شيء.

وحيث ان الاطلاع على مختلف المواد التثقيفية يوسع من أفق الانسان ومداركه، ويعمق من فهمه لتشابكات الامور وتطوراتها فان القوة المتسلطة او المحتلة يهمها دائما ان يبقى معتقلها بمنأى عن كل ما يذهب معلوماته ويعمق ايمانه بأطروحاته ويجعله أكثر قدرة على صياغة أبعاد التناقضات القائمة وتحليلها. انها تسعى بدون شك الى تجهيل المعتقلين وابعادهم عن كل مصادر التثقيف التي لها علاقة بالواقع او يمكن ان يكون لها انعكاس على الواقع ولو بصورة غير مباشرة.

لا يشذ الاحتلال الاسرائيلي عن هذه القاعدة. بل يتفوق على غيره من أنواع الاحتلال في ابتداع أساليب التنكيل بالمعتقلين الفلسطينيين. وذلك لان الاحتلال الاسرائيلي غير معني فقط بقمع الثورة الفلسطينية والمناضلين الفلسطينيين، بل يعمل جاهدا على الغاء الهوية الفلسطينية وتشتيت الشعب الفلسطيني الى مجرد أفراد يبحثون عن لقمة العيش. ولهذا فهو معني بانشغال العقل الفلسطيني بافكار لاتمت الى الواقع بصلة وتحول الفرد الى مجرد رومانسي يبحث عن تهيؤات فكرية لا علاقة لها بالارض.

وعليه فانه لم يكن من المتوقع ان يعمل الاحتلال على تنمية الثقافة لدى المعتقل الفلسطيني او التسهيل عليه في اكتساب الثقافة من كافة مصادرها. حاول الاحتلال ان يحول بين الفلسطيني وبين التنمية الفكرية والثقافية، وكان على الفلسطيني ان يدفع ضريبة كل خطوة يخطوها الى الامام في هذا المجال. كما هو الحال في كل ما أنجزه الفلسطيني في معتقله. كان عليه ان يتضور جوعا، بل ويموت من أجل ان يحصل على قلم أو كتاب وان يرتقي بمستواه الثقافي ليعيش بالتالي تطور مراحل قضية شعبه ووطنه ويسهم بايجابية نحو تحقيق الاهداف الفلسطينية المنشودة.

المراحل الاولى للحركة الثقافية

عكست المراحل الأولى للحركة الثقافية داخل المعتقلات خصوصيات مرحلة ما بعد هزيمة حزيران/1967. أفاقت الهزيمة الشعب العربي بشكل عام على واقع مرير يغاير كل الأوهام التي أجبر على التلهي بها قبل الهزيمة. فقد كانت الهزيمة بمثابة صاعقة دمرت ما بني من تمنيات وأحلام، وكشفت حقيقة عجز الأنظمة العربية وتعفنها وعجز العقل العربي عن اكتشاف هذه الحقيقة. وقد أصابت الصاعقة الشعب الفلسطيني أيضا، فقرر بدون تردد ان يلتف حول العمل الفلسطيني الجاد والمتمثل بحمل السلاح وحشد كل الطاقات الفلسطينية.

الا انه كان على الشعب الفلسطيني ان يبني تقدمه نحو المستقبل عبر تجارب كثيرة و مريرة. فقد عانى الفلسطيني كما عانى العربي، من مشكلات التخلف على مختلف الاصعدة، وكان عليه ان يصل الى مستوى أفضل بشكل تراكمي، أي عبر مراحل مختلفة من التطور والتطوير. لم يشذ مستوى الفلسطيني الثقافي، بصورة عامة، عن مستوى المرحلة. فقد تميزت الحياة الثقافية الفلسطينية بنوع من الركود وعدم الرقي ولفّتها بعض أطر الشعوذة والاساطير. ولم يكن الشعب الفلسطيني قد وصل من الناحية الثقافية الى مرحلة تتناسب مع حجم المأساة وحالة التشرد.

مع سقوط بقية أجزاء فلسطين عام 1967 لم يجد الفلسطيني نفسه ضمن اطار حركة ثقافية واسعة تعالج المشاكل التي تواجه الشعب او تعني بما فرضه الاحتلال من واقع. لاشك بأنه تواجد بعض الافراد المتميزين بمستوى عال من الوعي والثقافة، والذين تبلورت لديهم صورة واضحة حول الوضع القائم ومداخله وتشابكاته وطرق مواجهته، لكن هؤلاء الافراد لم يشكلوا ظاهرة عامة ولم يكن بمقدورهم ترسيخ تيار عام بشكل فوري. بل كان لا بد من ان تأخذ المرحلة مداها وان ينضج الوعي.

اصطبغت حياة الاعتقال في تلك الفترة بمستوى المرحلة. فالمعتقلون جزء من المجتمع ولا بد للمرحلة الاجتماعية ان تفرض نفسها مهما حاول الفرد الافلات منها، فعلى الرغم من أنهم حملوا السلاح بشكل او بآخر وعرفوا الطريق نحو مواجهة الاحداث، الا ان المستوى الثقافي والوعي التنظيمي لم يتبلور في ذلك الوقت بشكل متميز وبقيا خاضعين لعملية التطور على الساحة الفلسطينية بشكل عام.

لهذا لا نجد حركة ثقافية واسعة مع بداية الاحتلال داخل المعتقلات، فالمعتقل الفلسطيني كان في مرحلة البحث عما يجب ان يفعل. وعن الاطر التي من المفروض ان تحكم سلوكه داخل المعتقل، فضلا عن ان ادارة المعتقل عملت جاهدة على تفريغ المعتقلات من كل

حركة ثقافية او فكرية، عملت على تكريس وضع من التشتت واليأس بحيث يبقى المعتقل ضمن دائرة من الرومانسية والضياع الفكري.

أدخلت الادارة بعض الكتب مع بداية الاعتقال ولكن منتقاة بطريقة لا تخدم الا أهدافها، اذ ادخلت بعض الكتب الفلسفية الجامدة ومنعت دخول أي كتاب وطني ولو كان موضوعه شعب آخر او تجربة ثورية بعيدة عن المنطقة، أدى هذا الى جمود فكري لا يتفاعل مع واقع المعتقلات وقضايا المعتقلين. وكانت النتيجة ان انحصر التفكير بأمور فلسفية انعكست على صورة جدال فكري بين المعتقلين حول قضايا لا علاقة لها بواقع الشعب والوطن، وقد طغى هذا الصراع الفكري الجامد على متطلبات المرحلة من قوة انتماء وحشد قوى عقلية وجسدية، وساهم في زيادة ركود الوضع الثقافي وأبطأ من تقدم الحركة الثقافية.

لكن هذا الوضع تغير مع عمق التجربة الاعتقالية وتصميم المعتقلين على تغيير الواقع الذي حصروا فيه، فقام صراع في النهاية أدى الى تطور الحركة الثقافية بطريقة تخدم قضية الشعب والوطن.

نشوء الحركة الثقافية

نشأت الحركة الثقافية داخل المعتقلات مع بداية الاحتلال واستقبال المعتقلات للمناضلين الفلسطينيين، لكن هذه النشأة لم تكن على مستوى من النضج او التنظيم. لقد ارتبطت بأشخاص أكثر من ارتباطها بأنظمة وتعليمات مرتبة ومصاغة. أخذ بعض الأشخاص من ذوي الخبرة في العمل التنظيمي والحزبي على عاتقهم مهمة مشاركة زملائهم ما يعرفون حول سبل تنظيم حياة الاعتقال واستغلالها بطريقة مفيدة. قام كل شخص من هؤلاء في موقعه بعقد الجلسات الثقافية وعمل المحاضرات الخاصة بالتنظيم والصراع الفلسطيني من أجل الاستقلال.

هذا ومن الجدير ذكره ان ادارات المعتقلات وقفت بشدة ضد أي عمل ثقافي منظم في بداية الاحتلال. وكانت الجلسة الثقافية تشكل استفزاز لها يتطلب اجراء كاقتحام الغرف ومعاقبة القائمين على الجلسة، ومصادرة المواد التثقيفية المعدة للمناقشة. ومن ناحية أخرى، منعت ادارات المعتقلات دخول الورق والاقلام. منع استخدام الورق ، ومنع امتلاك الاقلام حتى لو كان بشكل أنبوب فقط، وكانت الادارة تتصيد عمليات التهريب التي من الممكن ان تحصل، وكثيرا ما كانت تفتش الغرف وتصادر كل ما تعتقد انه يمكن ان يستخدم ثقافيا.

الا ان المعتقلين استطاعوا تدبير انابيب أقلام الحبر الجاف. طوردت هذه الانابيب كما تطارد العبوات الناسفة. وعوقب من ضبط بحوزته أنبوبا بالزنزانة لما يقرب الاسبوعين، أمـــا بالنسبة للورق، فقد استخدم المعتقلون ورق لف البرتقال وورق علب اللبن وقطع المرجـــرين بعد تجفيفها. وكانت الورقة تجزأ الى أقسام مختلفة توزع على مختلف أنـــواع المحاضـــرات وعلى مختلف الفئات. وبالطبع كانت الورقة تستوعب الكثير من المعلومات لأنها كانت تكتـــب بخط صغير جدا.

حيث أن مواد نشر الثقافة كانت نادرة، عمل المعتقلون في بداية العهد على تسريب ما يكتبون الى مختلف الغرف في كل معتقل. فربما تكون غرفة قد حصلت على أنبوبـــة، بينمـــا غرفة أخرى لم يصلها شيء. ولهذا كان من الضروري ان تزود الغرفة المرفهة نسبيا الغرفة الثانية بما لديها من معلومات او محاضرات .

ومن أبرز ما لجأ اليه المعتقلون الفلسطينيون في سبيل مواجهة القهر الثقافي هو النشر الشفوي للمحاضرات والمداولات الثقافية. اذ كان مطلوبا من كل شخص حضر محاضـــرة او نقاشا سياسيا او اجتماعيا ان ينقل ما استوعبه لزميل آخر شفاهة أثناء الخروج الى الساحة، أي أثناء الفورة. بما ان هذا الخروج يتيح فرصة التقاء المعتقلين من غرف مختلفة، فانـــه كـــان بامكان من سمع محاضرة ان يسير مع آخر من غرفة أخرى لم يتعرض لذات المعلومات.

من الناحية التنظيمية، عكست الجلسات الثقافية في ذلك الوقت الضعف التنظيمي الذي ساد المجتمع الاعتقالي. فعلى الرغم من أن هوية المعتقلين التنظيمية كانت محددة الا انها لـــم تكن مطبقة على أرض الواقع بشكل جدي، وغلب الطابع الفلسطيني الهادف الى التحرير على مجتمع الاعتقال اكثر مما غلب الطابع الفصائلي. ولهذا بقي الاطار التنظيمي ضـــمن مفـــاهيم عامة غير مفصلة ضمن نظم فكرية واضحة او أطر تنظيمية مفصلة المعالم. وكان لابـــد أن تمر فترة من الزمن قبل ان يتبلور تمييز جدي في المعتقل بين الفئات.

وعليه، عانت الجلسات التثقيفية في البداية من ضعف الالتزام واللاأبالية أحيانا. وحيث ان أجهزة العقاب وتحديد المسؤوليات لم تكن قد تبلورت بعد فانه كان بامكان الفرد ان يفلـــت من الحساب الدقيق.

لكن هذا لا يعني ان الاطر الفصائلية لم تكن موجودة بتاتا. على العكـــس، مورســـت بعض النشاطات الثقافية ذات الطابع الفصائلي، بدرجات متفاوتة. وقد كان للانتماء العقائـــدي أثر كبير في افراز مجموعات متجانسة فكريا أخذت تتداول في شؤونها الفكرية وتحاول فهـــم الاطر العقائدية والمبدئية التي يجب ان تحكم سلوك الفرد والمجتمع.لكـــن هـــذه المجموعـــات احتاجت أيضا الى وقت حتى تأخذ درجة عالية من الحدة والاساس التنظيمي.

لم تسر الفئات الفلسطينية داخل المعتقل في تطورها على ذات الوتيرة وبنفس الدرجة. ولم تكن جلساتها التثقيفية دائما على مستوى علمي جيد. تفاوتت هذه الفئات في نموها وفي نمط أطروحاتها الفكرية، ويبدو ان الفئات المؤسسة عقائديا كانت أكثر دقة فيما تطرحه من أفكار من غيرها وذلك بسبب القاعدة العقائدية التي تنطلق منها، ويبدو أيضا من خلال ما طرحه بعض المبحوثين ان بعض الجلسات التثقيفية قد عنت في بداية الامر وفي كثير من الاحيان بالتفاعل الاجتماعي او النظافة وقلما تطرقت في البداية الى مسائل تهذيب النفس وتخليصها من بعض الشرور الاجتماعية التي كانت سائدة.

اجمالا امتازت مرحلة النشوء بمايلي:

1) محاولات ادارة المعتقل المستمرة في سبيل تفريغ الفلسطيني من مضمونه الثوري ومنع كل نشاط ثقافي.
2) اعتماد النشاط الثقافي على عدد محدود من الاشخاص من ذوي الخبرة.
3) اعتماد الوسائل الشفوية، في الغالب، في نشر الثقافة.
4) عدم وجود معالم فصائلية جدية، واشتراك مختلف الفئات في ذات الجلسات الثقافية.

مرحلة الانطلاق

بدأ التوجه نحو الانطلاق بحركة ثقافية فعالة ينضج في المعتقلات وخاصة في معتقل عسقلان، والظاهر ان معتقل عسقلان قد أخذ يلعب دورا مركزيا في إحياء الحياة الثقافية داخل المعتقلات. فكما رأينا في الفصل السابق، كان المعتقل طليعا في دفع الحياة الاعتقالية الى الأمام وذلك بسبب تواجد القياديين من مختلف الفئات وأصحاب الخبرة. ويبدو ان الوضع انعكس على النشاط الثقافي فتولد تنافس في سبيل خلق حركة ثقافية أفضل تخدم كلا من الفرد والتنظيم. ففي هذا الوقت، وكما سنرى في فصل قادم، أخذت الأطر الفصائلية تتشكل بوضوح وبرز تنافس فيما بينها كان يأخذ أحيانا صيغة الصراع، ألحت ظروف القهر وظروف التنافس على ضرورة تنشيط التعبئة الوطنية والسياسية، ولم يكن ذلك ليتأتى الا بخلق حركة ثقافية نشطة.

شهدت هذه المرحلة أيضا تسارعا في الحركة الثقافية على صعيد حركة فتح، لم يشكل غياب الاطار العقائدي للحركة حائلا دون الانطلاق بنشر الوعي والثقافة، وأخذ بعض قادة الحركة داخل المعتقل بصياغة مبادىء وأسس تلزم ابن الحركة وتسير به نحو حياة ثقافية

منضبطة، اما الفصائل الاخرى المستندة على أطر عقائدية، فقد أخذت ترسخ من فهمها لمبادئها وتعمق روح الانتماء بشكليه الوطني والعقائدي.

استطاع المعتقلون تحقيق قفزة ثقافية عقب اضراب 1970/7/5 والذي انطلق من معتقل عسقلان. حقق المعتقلون من هذا الاضراب كسر الطوق الذي كانت تضربه الادارة حول الحركة الثقافية. خففت الادارة من قيودها على الجلسات الثقافية داخل الغرف، وسمحت بحيازة الدفتر والقلم، وسمحت للصليب الاحمر بادخال الكتب الثقافية المختلفة، لكن بعد مرورها على الرقابة.

أي ان هذه المرحلة شهدت انفراجا في الحياة الثقافية. توسعت الحوارات السياسية المفتوحة، وازداد عدد المطلعين علميا بسبب دراستهم للكتب الجديدة التي سمح بادخالها، وارتفع نطاق تبادل المعلومات بين الغرف بسبب تخفيف القيود المفروضة على حركة الاسرى سواء في الساحة او في التنقل بين الغرف، وأصبح هناك مجال لكتابة مجلات تنظيمية شهرية مكتوبة على مختلف أنواع الورق.

حقق المعتقلون عام1972 انجازات أخرى ضد ادارة المعتقل. رفعت الادارة المزيد من قيودها على حرية الحركة وبالذات حرية التنقل من غرفة الى أخرى او قسم الى آخر، وسمحت بدخول مزيد من الدفاتر والاقلام، وبالتالي أخذت تتميز هذه المرحلة بما يلي:

1) اهتمام أكبر من قبل المعتقلين بالقراءة والدراسة وبتركيزهم على القضية الوطنية.
2) تعميم الثقافة على المعتقل بشكل مكتوب.
3) اقامة الجلسات السياسية في معظم الغرف وبشكل حوارات مفتوحة للجميع.
4) وضع أسس للعمل الثقافي ونظام خاص للجلسات الثقافية.

وبذلك أصبح العمل الثقافي يركز على ناحيتين: التعبئة الوطنية والتعبئة الثقافية العامة. انقسمت التعبئة الوطنية الى تعبئة سياسية وتعبئة تنظيمية وتعبئة اعتقالية. اما التعبئة الثقافية العامة فتمثلت بجهود توسيع المدارك الثقافية للمعتقل من نواح مختلفة، وعنت ايضا بالتحصيل الاكاديمي. وأصبح يتم تثقيف المعتقلين عن طريق النشرات السياسية والتنظيمية، وعن طريق الجلسات الخلوية والعامة. وكذلك بواسطة الكتب والدراسات التنظيمية بكافة أشكالها، وبواسطة المجلة الاعتقالية والادبيات الاخرى.

هذا وقد وصلت الجلسات التنظيمية في هذه المرحلة من حيث الترتيب والمستوى درجة عالية، وأحالت غرفة المعتقل، ولو جزئيا، من مكان تقصد منه ادارة المعتقل قتل الانسان الفلسطيني معنويا، الى قاعة محاضرات تغذي الانسان وتمنحه شعورا بوجوده وتجعل لديه امكانية قضاء وقته بعمل مفيد.

تتعدد الجلسات داخل المعتقل، منها ما هو اداري، ومنها ما هو ثقافي بحت، ومنها ما يمكن تمييزه على انه سياسي. تعنى الجلسات الادارية بشكل أساسي بشئون الفصيل الداخلية وتجري فيها عملية تقييم لاوضاع الفصيل والمهام المختلفة الملقاة على الاعضاء، تعقد هذه الجلسات مرة كل أسبوع ومن المفروض ان تسود فيها روح النقد والنقد الذاتي.

اما الجلسات الثقافية فذات شقين: يعني الشق الاول بمبادىء الفصيل ومفاهيمه وشعاراته وتصوراته لخطوات العمل. يقوم المتنفذون فصائليا او قادة الفصيل بشرح طروحات فصيلهم وتبريرها خاصة للمعتقلين الجدد الذين لم تترسخ لديهم بعد مثل هذه الامور. اما الشق الثاني فيعنى بطرح كتب وطنية او ثورية او سياسية للنقاش. تتولى اللجنة الثقافية العامة مسئولية وضع برنامج عام لهذه الجلسات، ويوكل لموجه الغرفة الثقافي تنفيذه. يقسم الموجه الثقافي عادة الغرفة الى حلقات تكون كل حلقة مسئولة عن طرح كتب محددة للنقاش. أي تقوم في كل جلسة حلقة على قراءة كتاب معين ومناقشته مع أعضاء الحلقات الاخرى. هذا ويراعي المستوى الثقافي لكل حلقة عند تحديد واجباتها في دراسة الكتب.

وهناك جلسات تعنى بالنقاش السياسي وتحليل الاوضاع السياسية المستجدة. وهذه الجلسات تتم اما داخل اطار الفصيل الواحد او على مستوى الفصائل مجتمعة. تطرح في هذه الجلسات امور تعالج الوضع الفلسطيني على مختلف المستويات المحلية والعربية والدولية، وقد تناقش أحيانا بعض الاحداث السياسية العالمية ذات الانعكاسات غير المباشرة على الساحة الفلسطينية.

جرت عادة المجتمع الاعتقالي على احترام الجلسات ونظامها والالتزام بالاصول المتعارف عليها. فمثلا يلتزم جميع الاعضاء بحضور الجلسات الا في حالات خاصة كالمرض او باذن من المسئول الثقافي في الغرفة. ويلزم الجميع الهدوء اثناء الجلسة، ولا يخوضون بنقاشات جانبية او يتحدثون بدون اذن، وكذلك يعمل المجتمعون على عدم الخروج عن الموضوع قيد المناقشة، او خلق جو متوتر أثناء النقاش.

المعرفة بالاخبار

تتيح ادارة المعتقل للمعتقلين سماع إذاعة إسرائيل، ولا تفتح لهم المجال لسماع أي إذاعة أخرى، إدارة المعتقل تتحكم بالمذياع الذي يتصل بسماعات موجودة في الغرف. تهدف إدارة المعتقل من وراء ذلك التأثير ثقافيا على المعتقلين وهز معنوياتهم. فمن المعروف ان إذاعة إسرائيل تهدف بالدرجة الأولى الى زعزعة شقة الإنسان العربي بصورة عامة

والفلسطيني بصورة خاصة بنفسه وتحويل اهتماماته عن قضاياه الرئيسية، وبالتالي بأمور ثانوية كالغرام وكمال الأجسام والانصراف الى التفكير بأمور اللهو والترف، ولعل في "ستوديو رقم 1" ما يمثل السموم التي تبثها الإذاعة الإسرائيلية.

ومن الملاحظ ان ادارة المعتقل تحاول التعتيم على الاخبار التي من شأنها ان تنعش المعتقلين او ترفع من معنوياتهم، فهناك أحداث لا يسع الاذاعة الاسرائيلية الا بثها كعملية انتحارية او أسر جنود او اختطاف طائرة. وحيث انه من الممكن ان تتأثر نفسيات المعتلين ايجابيا بمثل هذه الاحداث تلجأ الادارة الى اغلاق المذياع.

يعي المعتقلون على أية حال، دور الاذاعة الاسرائيلية ولا يعتمدون عليها في معرفة الاخبار المختلفة، فقد لجأوا منذ بداية عهد الاحتلال الى الاعتماد على مصادرهم الخاصة. انحصر اعتمادهم في البداية على المعلومات التي تتوفر أثناء الزيارة. حصل المعتقلون على أخبار من أهاليهم وأصدقائهم وعملوا على تعميمها، لكن هذه الطريقة كانت محدودة التأثير لان الزيارة لا تتم يوميا، والوقت كان يتعدى الكثير من الاخبار والتطورات السياسية.

حاول المعتقلون الحصول على أجهزة مذياع خاصة بهم. وقد نجحوا عام 1975 بادخال مثل هذه الاجهزة الى معتقل بئر السبع. وحيث ان الاجهزة مهربة كان من الضروري اخذ الاحتياطات اللازمة حتى لا تأخذ الادارة علما بذلك وتقوم بمصادرة الاجهزة. ولذلك انحصر الاستماع الى المذياع في نطاق ضيق ومسؤول. وبالضرورة كان على المستمعين تدوين الاخبار وتعميمها على المعتقلين. وكانت تعمم التسجيلات أيضا على المعتقلات الاخرى بطرق خاصة.

حرص المعتقلون ايضا على تهريب بعض الصحف والتي من شأنها ألا تكتفي بنقل الخبر بل وتحليله أيضا. فسحت أعمال التهريب هذه مجالا لمواكبة الاحداث وللارتفاع بدرجة الوعي السياسي والقدرة التحليلية. انعكس هذا على التحليلات السياسية التي أخذت تحتل صفحات من المجلات التنظيمية وتشغل جزءا لا بأس به من وقت الجلسات. وأدى هذا أيضا الى ظهور تخصصات جدية في المعتقل. فقط أنيط ببعض المعتقلين مهمة تصنيف الاخبار وأرشفتها، وأنيط بآخرين مهمة متابعة التطورات السياسية في مناطق العالم المختلفة.

المجلات التنظيمية

تطورت في المعتقلات مجلات تنظيمية مختلفة تعنى بمختلف النواحي الثقافية والتطورات السياسية والمبادئ الحزبية والفصائلية. وقد عمد المعتقلون الى تطويرها من أجل

التعبير عن مواقفهم وتصوراتهم وعن الإبعاد والأسس التي تحكمها، وكذلك من أجل صياغة تحليلات سياسية او اقتصادية لم تتطرق الجلسات اليها او طرقتها بدون تفصيل او دون الأخذ بمختلف وجهات النظر.

كان من شأن هذه المجلات في بداية الحركة الاعتقالية شأن كل النشاطات الثقافية. بدأ هذا النشاط صغيرا وبدائيا ومن ثم كبر وتطور، بدأت كتابة المجلات أولا على ورق علب اللبن، وتطورت لتكتب على ورق كرتون خبز المصة الذي يقدم للمعتقلين في أسبوع عيد الفصح اليهودي. وبعدها أصبحت تكتب على أوراق من الحجم الاعتيادي ومن ثم شكل كراسات ذات إخراج جيد. وكذلك الحال كان بالنسبة للمادة المطروحة. تعمقت التحليلات الثقافية وتعقدت مع مرور الوقت، وأصبحت تعكس وعيا سياسيا واسعا وثقافة وطنية عالية. وقد بلغت هذه المجلات مستوى يضاهي بعض المجلات الفلسطينية الصادرة في الخارج بل ويتفوق على بعضها.

تعددت بعض المجلات لتصبح من أربعين صفحة ونيف، وتعددت المجلات بحث أصبح يمتلك الفصيل أكثر من مجلة. ووصل الحد بأحد الفصائل الى اصدار خمس مجلات شهريا كل منها تخصصت في مجال معين. أصبح لكل فصيل منابر خاصة تعبر عن خطة السياسي ومنظومته الفكرية. أصدرت فتح، مثلا، مجلة العاصفة لتنطق بسياسة حركة فتح وأهدافها ومبادئها. وأصدرت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين مجلة مماثلة، وكذلك الجبهة الديموقراطية والصاعقة والاتجاه الاسلامي. وكانت هناك محاولات لاصدار مجلات فردية الا انها لم يكتب لها الا نجاح مؤقت في بعض الاحيان.

وكانت هناك محاولات لإصدار مجلات مشتركة. ففي فترة 1976/1977 صدرت في معتقل عسقلان مجلة عسقلان الثورة ونطقت باسم المعتقلين جميعا باستثناء الاتجاه الإسلامي. مثلت مثل هذه المجلة وحدة وطنية واهتمت بالفكر القومي والأساس الديموقراطي لنجاح الحوار. الا ان استمرار مثل هذه المجلة في الصدور كان مرتبطا بالظروف السياسية والتقلبات وتغير التحالفات. فتوقفت مع أول زوبعة سياسية كان من شأنها ان تؤثر على معايير التعاون.

اما من ناحية موقف ادارة المعتقل من المجلات فانه لم يختلف عن موقفها من كل نشاط ثقافي. تصدت الادارة في البداية لمثل هذا النشاط، لكنها ما زالت تهاجم الغرف بحثا عن المجلات التي تصدر وتصادرها. وحسب تحليل المعتقلين،تعمد الادارة الى مصادرة المجلات لانها تحمل في طياتها ندى تطور الفكر السياسي الفلسطيني وتصور مختلف الفصائل الفلسطينية للتطورات السياسية التي تحدث على الساحة. وهذا من شأنه ان يساعد المخططين الاسرائيليين على فهم أفضل للعقلية الفلسطينية وتطورها. وهناك اعتقاد بأن ادارة المعتقلات

ترسل بما تصادره من أوراق ودفاتر الى أحد مراكز الدراسات الاستراتيجية في اسرائيل والى الجامعات الاسرائيلية.

المكتبة

خلت مكتبة المعتقل في بداية الاحتلال من الكتب القيمة التي تعالج نواح سياسية او علمية او اجتماعية، فكما ذكر سابقا تعرض المعتقل لبعض الكتب شبه الفلسفية التي لا تجد تطبيقا على أرض الواقع. وكذلك تم تعريضه لبعض القصص ذات المضامين الغرامية والجنسية، والتي من شأنها تحول تفكير المعتقل عن قضاياه الأساسية، وسمح له أيضا قراءة بعض الكتب حول قضايا غير مثيرة كالاكتشافات الجغرافية او الشعوذة او الكتب الدينية التي لا تعالج أمورا دنيوية. هذا ناهيك عن قلة إعداد الكتب المتوفرة، فقد كان نصيب كل غرفة كتابين كل أسبوعين يحضرهما شرطي يبدو انه كان يمثل أمانة المكتبة. ولم يسمح بتبادل الكتب بين الغرف.

من ناحية الصحف، لم يسمح لدخول جرائد الا تلك التي تصب ضمن سياسة الاحتلال او التي لا تتعارض مع سياسته. سمحت الإدارة بدخول جريدة الأنباء والتي كان يشرف على صدورها الحكم العسكري والتي توقفت عن الصدور الآن. وقد خصصت نسخة واحدة لكل خمس غرف، وقد سمح مؤخرا بعد نضالات المعتقلين بدخول جريدة القدس.

استطاع المعتقلون من خلال نضالاتهم نحو حياة اعتقالية أفضل ان يكونوا مكتبة متنوعة وشاملة لكتب تبحث في صلب المشاكل التي يعاني منها الفلسطيني. وقد كان للاضراب الذي نفذ عام 1970 دور بارز في تحقيق مطالب المعتقلين بهذا الشأن. سمح للمعتقلين بادخال الكتب عم طريق الصليب الاحمر الذي أتى بالكتب من الاهل. من هذه الكتب ما عالج الامور السياسية والادبية والفلسفية والدينية. الا ان الادارة رفضت ادخال بعض الكتب التي حوت كلمة فلسطين او تحدثت عن الثورات العالمية.

بموجب التطورات هذه، أخذ المعتقلون يشرفون على المكتبة. كلف اثنان من المعتقلين بتسليم واستلام الكتب أثناء الفورة. وكلف آخرون بصيانة الكتب من التلف والقيام على تجليدها. الا ان هذا النظام لم يطبق في معتقل جنيد بسبب رفض الادارة تسليم المكتبة للمعتقلين. هذا وحقق المعتقلون انجازات أخرى في هذا المجال عقب اضراب معتل نفحة عام 1980. سمح للمعتقلين الانتقال من غرفة الى أخرى من أجل حضور دروس تعليمية. وسمح لهم شراء صحف عبرية وادخال جريدة القدس.

حصل المعتقلون على فرصة أخرى لادخال مزيد من الكتب عام 1977 عندما أصدرت محكمة"العدل العليا" الاسرائيلية قرارا يقضي بالسماح بدخول كتب الى المعتقلات الا من ستمائة كتاب يبدو ان المخابرات صنفتها على أنها ماسة بالنواحي الامنية بشكل او بآخر. على الرغم من أن هذا القرار ملزم لادارة الاعتقال، الا ان الاجراءات الادارية حدّت من اعداد الكتب المطلوب ادخالها. فقد عمدت الادارة الى وضع عوائق وعقبات، وعمد الضباط المسئولون الى ادخال الكتب بصورة مزاجية.

حقق المعتقلون انجازا آخر عام 1979، أصبح في هذا العام لمعتقل حق بادخال كتاب كل شهر شريطة ألا يزيد ما بحوزته عن ثمانية كتب. لكن هذا ايضا لم يفك الطوق الاداري المفروض على الكتب. بقيت الكتب خاضعة للتقييم والاذن بالدخول.

ويظهر من خلال السيرة الاعتقالية ان المكتبة شكلت محورا أساسيا في النزاع بين المعتقلين وبين الادارة. ويبدو ان الادارة تستخدم الكتب كأداة عقوبة، وهذا ما يفسر مصادرتها للعديد منها عند تفتيش الغرف على الرغم من دخولها الرسمي الى المعتقل. والادارة تلجأ عادة الى اغلاق المكتبة اثناء الاضراب وذلك كعقاب للمعتقلين على اضرابهم. ونتيجة للاعمال الادارية بقيت مكتبة المعتقل ذات مستوى علمي منخفض وبحاجة الى العديد من الاعمال الرائدة التي من شأنها ان تنور المجتمع الاعتقالي حول تطور مختلف الاوضاع.

انواع المكتبات

يحتوي المعتقل على ثلاثة أنواع من المكتبات وهي:

1) مكتبة اعتقالية عامة ومزودة من قبل ادارة المعتقل والصليب الاحمر، يديرها المعتقلون الا من معتقل جنيد الذي تصر ادارته على منع المعتقلين من التصرف بحرية في المكتبة.

2) مكتبة اعتقالية داخلية تشترك فيها كل الفصائل وتزود ذاتيا من قبل المعتقلين، أي بما يحصلون عليه من أهاليهم، يوزع كراس يحتوي عناوين الكتب على المعتقلين في كل قسم. وتعتبر هذه المكتبة على قدر كبير من الاهمية لان كتبها منتقاة حسب الحاجة والطلب. هذا ويمكنه ان ينتقل الكتاب من مثل هذه المكتبة الى معتقل آخر.

3) مكتبة فصائلية تخص كل فصيل على حدة. تكرس هذه الكتب برامج الفصيل الداخلية والافكار والمبادىء الخاصة به. بامكان الفصيل ان يعير كتبه ومواده الخاصة الا

انها تبقى محسوبة على مكتبة التنظيم الداخلية. هذا وتشمل المكتبة على بعض ما يأتي به الاهل من كتب لابنائهم.

البحث العلمي

البحث العلمي غير نشط داخل المعتقل، هناك بعض الأعمال العلمية التي صدرت عن المعتقلات الا انها تبقى محدودة ولا تشكل ظاهرة عامة. ويعود هذا الى عدة أمور منها:

1) ينصب اهتمام المعتقلين بشكل رئيسي على بناء مجتمع اعتقال صحي وعلى حياة اعتقالية تأخذ بعين الاعتبار احترام الانسان وكرامته. وبما ان البحث العلمي يشكل أحد أسس التطور العام في المجتمع، فان المجتمع الاعتقالي يبقى محصورا ومحدودا ولا يستوعب النشاط في البحث العلمي أو أهدافه.

2) لا تتوفر في المعتقلات كوادر عديدة مدربة على البحث العلمي، مجتمعنا حديث العهد في البحث العلمي ولم تأخذ ظاهرة الباحث مداها بعد. مجتمعنا ما زال يركز الى حد كبير، من الناحية العلمية على الثقافة العامة دون البحث والتدقيق، انعكس هذا الوضع على المجتمع الاعتقالي الذي لا بد ان ينتبه الى مسألة البحث في وقت قريب.

3) مجال الحياة الاعتقالية ضيق بحث لا تتعدد النواحي التي يمكن ان تبحث علميا، الحياة الاجتماعية ضيقة وكذلك الحياة السياسية والاقتصادية، يكمن المجال الخصب للبحث في الحياة الاعتقالية ذاتها والتي تشكل موضوع هذا الكتاب.

الا ان العوامل المحبطة للبحث العلمي لم تقض على كل محاولات البحث. فقد قام بعض المعتقلين بعمل دراسات حول مواضيع مختلفة. لكن اطروحاتها كانت ذات فائدة لا بأس بها ضمن المجتمع الاعتقالي نفسه. هناك أعمال كتبت حول التجربة الاعتقالية وتم نشرها كفلسفة المواجهة من وراء القضبان والمسيرة الثورية داخل المعتقلات، ناقش هذان العملان اوضاع الاعتقال الاولي وظروف التحقيق وتطرقا الى تطور ظروف المعتقلات وظاهرة العملاء وكيفية التصدي لها. لا شك بأن العملين يقدمان فائدة كبيرة للفلسطيني اذي لم يخبر حياة الاعتقال، هذا ومن المعتقد ان أعمالا أخرى كتبت الا انها لم تر النور بعد.

هذا ويأمل الباحثون ان يشكل الكتاب حافزا للمعتقلين للكتابة حول التجربة الاعتقالية بكافة دقائقها وتفاصيلها.

الفــن

ينصب جزء من اهتمام المعتقلين في الامور الفنية كالرسم وعمل الاشــكال المختلفــة ممن المسامير والخيوط الملونة. فقد صدر عن المعتقلات العديد من الاعمال الفنية كاللوحــات والمسابح المصنوعة من بذور الزيتون. وقد عبرت هذه الاعمال فــي مجملهــا عــن انتمــاء المعتقلين الوطني، فأتت تحكي قصة فلسطين والتشريد وآمال التحرير.

اشتهر معتقل بئر السبع من بين المعتقلات بالأعمال الفنية وذلك بسبب تــوفر المــواد مثل الحرير والحجر الذي يسهل نحته وخشب النجارة ومواد اللصق. يعود ذلك الى اســتخدام احد المراكز اليهودية المهتمة بالنحت وما شابه من أعمال فنية لعمال فنية لعمال مــن المعتقلــين. وقــد اكتسب المعتقلون خبرة في نحت أشكال الحيوانات والبيوت وغيرها. الا ان هذا توقــف بعــد توقف العمل في مرافق العمل.

اما من ناحية صنع الاشكال من مختلف المواد المتوفرة، تركز عــدة أعمــال علــى خارطة فلسطين وقبة الصخرة المشرفة. وهذا يعكس بالتأكيد الانتماء الشديد للوطن ورموزه.

الأدب

اهتم عدد من المعتقلين بالامور الادبية ككتابة القصة او قرض الشعر. وقــد انتجــت المعتقلات الكثير من هذه الاعمال والتي بقيت محفوظة بدون نشر. تتفاوت هذه الاعمال فــي مستواها الادبي. فمنها ما بدو متقدما وملتزما بالعديد من الامور الفنية التي يجب ان يعكســها الادب الجيد، وبعضها ضعيف وبعضها الاخر متوسط المستوى.

لم يظهر في المعتقلات بعد أدب يتحدى المستويات الادبية العالية التي وصــل اليهــا الادب الفلسطيني داخل الوطن او خارجه. تلعب الظروف الاعتقالية بطبيعة الحال دورا بارزا في احباط الابداعات الادبية، الا انه من المتوقع مع تزايد الاهتمام بالأدب ان ترتقــي الثقافــة الادبية لدى المعتقلين مما سيرفع من مستوى الانتاج الادبي بشكل عام.

هذا ومن الملاحظ ان القصة الفلسطينية الاعتقالية وكذلك القصيدة تهتمان بشكل أساسي بتصوير المأساة التي حلت بفلسطين والشعب الفلسطيني، ويركزان على الحيــاة الاعتقاليــة، وحياة الفقر والبؤس والشقاء. انهما يتفاعلان بشكل صادق وصريح مع هموم الواقع ومشــاكل الناس وطموحاتهم وآمالهم.ولتوضيح الامر نرفق في نهاية هذا الفصــل قصــتين قصــيرتين كتبهما محمد اسماعيل رمضان.

الجهاز الثقافي

حقيقة لا يوجد في المعتقل جهاز ثقافي وانما أجهزة حيث يمتلك كل فصيل، خاصة الفصائل الكبيرة، جهازه الخاص. وعلى الرغم من تعدد الاجهزة الا انها تتوافق في الترتيب والوظيفة. يتكون كل جهاز ثقافي من هيئة مكونة من ثلاثة أشخاص عرفوا بقدراتهم الثقافية العالية وخاصة من ناحية استيعابهم لبرامج فصيلهم ومبادئه السياسية ومواقفه وأهدافه. وعلى الرغم من أنه يتم انتخاب هؤلاء الافراد الا ان الالتزام بأطر الفصيل يبقى العنصر غير المرئي في تحديد أسس خوض الانتخابات والموافقة على الترشيح والدعم من قبل قيادات الفصيل.

ينتخب الاعضاء رئيسا وغالبا ما يكون عضوا ف اللجنة المركزية للفصيل. يظهر ان الثلاثة أحرار في اختيار رئيسهم، الا ان عملية الاختيار من الناحية الفعلية تتم بعد مداولات على مستوى الفصيل وخاصة من قبل القيادات، ثم تقوم الهيئة بتعيين مسئولي الاقسام الثقافية، ومن ثم يتم تعيين مسئولي اللجان الثقافية العاملة في الغرف.

تقوم الهيئة او اللجنة الثقافية العامة حال تشكيلها بكتابة برنامج عملها الثقافي ونشره على مستوى القاعدة لدراسته وتقييمه، وبعد تلقي الاقتراحات والانتقادات ونشره على مستوى القاعدة لدراسته وتقييمه. وبعد تلقي الاقتراحات والانتقادات، تقوم الهيئة بعمل التعديلات اللازمة، ومن ثم نشر البرنامج كبرنامج مقر ونهائي للتنظيم لمدة عام واحد. يعمم البرنامج على موجهي الاقسام والغرف الثقافيين، هذا وتشذ بعض المعتقلات عن هذا الامر.

هذا وتقوم الهيئة بتشكيل لجنة ادارة للمجلة التنظيمية التي تصدر على فترات منتظمة. تقوم هذه اللجنة باعداد مواد المجلة ونشرها تحت اشراف الهيئة الثقافية العامة. وقد تطورت هذه الجلة، كما ذكر سابقا، الى ان بلغت عشرات من الصفحات وشملت مواضيع مختلفة وابواب عدة. أي انها وصلت درجة من التطور تتطلب افراز لجنة مختصة. تعمل اللجنة بدورها على حث المعتقلين على المساهمة بكتاباتهم. وأحيانا تعمل على تكليف افراد أو لجان للقيام بمهمات ثقافية محددة، فمثلا يتم تكليف لجنة تعنى بنسخ وترجمة بعض المقالات في مجلات وجرائد غير ناطقة باللغة العربية. ويتم تكليف عناصر بكتابة مواضيع مختلفة للمجلة، او كتابة البيانات مع كل مناسبة وطنية، او اعادة صياغة بعض المواضيع المقدمة من المعتقلين. وتقوم الهيئة كذلك بتعيين مسئول عن المكتبة التنظيمية، وتشرف على عملية توزيع الكتب حسب البرنامج المعد وحسب حاجة كل قسم وكل غرفة.

تشرف الهيئة العامة ايضا على احتياجات الاقسام والغرف الى تواجد بعض العناصر الثقافية النشطة. فهي تقرر فيما اذا كان يجب ان ينتقل أحد العناصر من قسم الى آخر او من غرفة الى أخرى، تقدم الهيئة طلبات بشأن الانتقال الى اللجنة الادارية العامة للمعتقل والتي تقوم باتخاذ الاجراءات المناسبة. ومن مهام الهيئة أيضا تقديم التقارير الاسبوعية الى اللجنة المركزية حول نشاطاتها وتقارير شهرية الى القاعدة من أجل الابقاء على حيوية التفاعل.

أما من ناحية المهام التي يقوم بها الجهاز الثقافي فهي متعددة ويمكن اجمالها بما يلي:

1) متابعة الاوضاع السياسية في الخارج على مستوى الوطن المحتل وأماكن الشتات في مختلف الاقطار وذلك حتى يبقى المعتقلون على بينة من تطورات أوضاع الفلسطينيين.
2) تقديم النشرات السياسية والثقافية حول مختلف التطورات بالنسبة للقضية الفلسطينية، وحول أوضاع الثورات في العالم والدروس الثورية المستفادة.
3) توفير مواد الكتابة والكتب الثقافية والوطنية والكراسات الحركية للأقسام والغرف.
4) عمل بعض الدراسات حول التجربة الاعتقالية.
5) اقامة الجلسات الثقافية في جميع غرف المعتقل ضمن برنامج عام وموحد للتنظيم.
6) العناية بالمعتقلين الجدد وفتح دورات ثقافية خاصة بهم تدوم لفترة قد تطول الى ستة أشهر. هذا النشاط مصمم من أجل رفع الدرة التحليلية لدى الجدد وتعريفهم على الاوضاع الاعتقالية القائمة والبرامج المتوفرة لخلق حياة اعتقالية فاعلية. هذا ويعبأ الجدد بمفاهيم فصيلهم ومبادئه وأهدافه وشعاراته، ويعطي دروسا حول تطور القضية الفلسطينية وطبيعة الصراع القائم. ثم يثور حول تقييم المعتقلين لتطورات الامور السياسية والاقتصادية في العالم العربي.

يطلب من الجدد، بعد اتمام الدورة، الاطلاع على بعض الكتب والاعمال الثقافية وذلك لزيادة سعة اطلاعهم، يسمح لهم بعدها بدراسة اللغات والقيام بأي نشاط أكاديمي متاح ويرغبون به، ويصبحون بذلك مؤهلين للمشاركة بأعمال الثقافة كالندوات والمحاضرت والكتابة في المجلات الثقافية والمساهمة بالمهمات الثقافية المطلوبة من الجهات المسئولة.

هذا وتشمل السياسة الثقافية العامة عملية التطوير الفردي. فيحث كل فرد على المساهمة بالنقاش الذي يدور أثناء الجلسات او خارج اطارها، وأن يدلي بآرائه وتصوراته، ويشجع على طرح مبادراته. ويكلف الفرد أحيانا بكتابة ملخص عن المواضيع التي تطرح أثناء الجلسات، وبكتابة مواضيع تعنى بالشؤون السياسية المختلفة. ويتاح للفرد أيضا عمل محاضرات من شأنها تنمية قدرته على الخطابة والالقاء الجيد.

لكن هذا لا يعني أن حياة ثقافية مثالية تسود المجتمع الاعتقالي، من الناحية النظرية، هناك حرية التفكير والابداع، وهناك فرص متوفرة تتيح للفرد مجال التساؤل وطرح الافكار، لكن هذا لا يطابق الواقع في بعض الاحيان، يمارس الافراد حرية فكرية، لكن، وكما يبدو من آراء بعض المبحوثين، ان هناك خطوطا حمراء لا يستطيع ان يتجاوزها الفرد، فمثلا قد لايستطيع الفرد توجيه انتقادات الى سياسة قيادات الفصائل في الخارج، او على الاقل لا يستطيع ان يفعل ذلك علنا سواء شفاهية او كتابة، وقد لا يستطيع ان ينتقد بعض أفكار العقيدة التي ينتمي اليها، وقد لا يستطيع التعبير بحرية عن عقيدة اصبح يؤمن بها.

أي تخضع ممارسة الحرية الفكرية في بعض الاحيان الى ما يشبه تعريف الانظمة العربية السياسية او الاجتماعية للحرية، الانسان يبقى حرا في طرحه الفكري ما دام هذا الطرح ضمن دائرة أفكار المجموعة المسيطرة او القائدة. أي على الرغم من وجود فرص للابداع الفكري الا ان الانسان يبقى لديه شعور بالتنكيل في عدة أحيان. وهذا ما يجب ان يعالجه المجتمع الاعتقالي حتى لا يقع قهر، ولو بصورة غير مباشرة، ضد ملكة الفرد العقلية وارادته.

هذا ومن الملاحظ أيضا ان الرقابة تفعل فعلها داخل المعتقلات، فهناك فصائل تحظر على أعضائها قراءة كتب من نوع محدد، وذلك خشية أن يتأثروا بها ويغيروا بالتالي من انتماءاتهم. وهذه مسألة تخرج عن حدود المنطق الثوري لتدخل ضمن التأطير الفكري المنحصر في جملة مقولات غير خاضعة للاختبار من مختلف وجهات النظر. وهذا أمر ينسجم مع سياسة الانغلاق الفكري التي من شأنها ان تقلل من قدرة الانسان على الابداع والتفكير الحر.

قضية اطلاع أعضاء فصيل أو حزب على ادب فصائل او أحزاب ليس بالامر الخطير، بل من المفروض ان يتم تشجيعها وتنميتها. الاطلاع على أدب الآخرين يتيح فرصة تفهم وجهات نظرهم وأسلوب طرحهم والقضايا التي يركزون عليها. ومن شأن ذلك أيضا ان يجعل الفرد أكثر قدرة على تفحص جوانب المسائل والقضايا والمبادىء التي يؤمن بها. فاما ان يزداد تمسكا بها واما ان يقرر التخلي عنها. فاذا ازداد تمسكا أصبح أقدر على الدفاع عن فصيله وما يؤمن به، وان قرر التخلي فانه يريح فصيله من شخص ضعيف الاقتناع او الايمان.

التحصيل الاكاديمي

بامكان المعتقل الذي مضى عليه أكثر من عام في معتقلات الاحتلال ان يتقدم لتقديم امتحان الثانوية العامة، التوجيهي. بدأ تقديم هذا الامتحان في بعض المعتقلات سنة 1971. وفرت ادارة المعتقل في البداية قاعتين لتأدية الامتحان، وتوفرت بذلك فرصة اللقاء بين المعتقلين والتداول في أمورهم، وهذا ما حدا بادارة المعتقل الى توسيع القاعات للحد من التفاعل بين المعتقلين.

قاطع المعتقلون امتحان التوجيهي بعد زيارة السادات للقدس احتجاجا. وقوطع الامتحان بعد استبدال الحكم العسكري في الوسط الشرقي وساحل غزة بالادارة المدنية. اذ عمل المعتقلون، كما كان القرار الفلسطيني، على مقاطعة الادارة المدنية وعدم التعامل معها. وحيث أنه تم ختم اوراق الامتحانات بختم الادارة المدنية فانه كان لا مفر من المقاطعة.لكن هذا القرار تم التراجع عنه فيما بعد على المستوى الفلسطينيين العام وعلى مستوى مجتمع الاعتقال، وعاد المعتقلون الى التعامل مع الامتحان كما عاد الوضع الفلسطيني العام الى التعامل مع الادارة المدنية.

على الرغم من ان الامتحان يجب ان يتم داخل المعتقل وفق شروط دوائر التربية والتعليم، الا ان ادارة المعتقل كانت دائما تلجأ الى وضع العراقيل التي تؤدي في النهاية الى الغاء تقديم الامتحان، فمثلا كانت ادارة معتقل عسقلان تشترط عدم تقدم أي شخص للامتحان اذا لم يكن عاملا في مرافق العمل المتوفرة في المعتقل. اعتبر المعتقلون هذا الامر ابتزاز وقرروا اتخاذ موقف جماعي بمقاطعة الامتحان، وقد جرت عادة الادارة على احداث مشاكل من شأنها اتخاذ مثل هذا الموقف الجماعي. تقدم الادارة مثلا على حرمان بعض الاشخاص من تقديم الامتحان فيتضامن معهم الآخرون ويحجمون عن التقديم.

وحسب ما ذكر لنا العديد من المبحوثين، فانه لا يجب النظر الى امتحان الثانوية العامة بجدية، فقاعة الامتحان ينقصها الانضباط ويسودها الغش. لا يقوم المراقب بواجبه، ويلجأ المعتقلون الى الاعتماد على بعضهم البعض في الاجابات. ويصل الغش أحيانا الى حد قيام أحد المعتقلين بقراءة الاجابات على جمهور الممتحنين مما يجعل الاجابات موحدة، وربما يحاول أحد ان يقدم الامتحان بالنيابة عن آخر. هذا من شأنه ان يأتي على مصداقية الامتحان.

من المفروض ان ينظر المجتمع الاعتقالي بجدية الى هذا الامر، وان يتخذ من الامتحان فرصة لامتحان القدرات، فالهدف في النهاية يجب الا يكون الحصول على الشهادة بقدر ما هو تطوير للقدرات الاكاديمية، هذا لا يعني أنه لا يوجد من يأخذ الامتحان محمل الجد ويستعد له. بل هناك من يجدّون ويتعبون ويأخذون الامتحان على أنه مقياس قدرات.

لوحظ ايضا ان معدلات الممتحنين تخضع لقرارات ادارية. يوجد هناك تفاوت في المعدلات، الا ان أغلبها ينحصر ضمن فئة عشرية واحدة. انحصرت أغلب المعدلات في سنوات سابقة في الستينات. وأصبح الآن هناك توجه الى حصرها في الخمسينات . ربما يعود هذا التوجه الى رغبة الادارة المعنية بحرمان المعتقلين من دخول الجامعات التي تشترط أنظمتها معدل ستين كحد أدنى للنظر في طلب الدخول.

أما من ناحية التحصيل العلمي الجامعي، فقد اهتم المعتقلون بالامر وحاولوا الوصول الى معادلة تتيح لهم فرصة الدراسة. وافقت ادارة المعتقل على هذه الرغبة، واستعدت جامعة بيرزيت لتبني الأمر والاشراف على الانتساب، تسلم المعتقلون طلبات امتحان القبول، ودفع بعضهم رسوم دخول الجامعة، الا ان السلطات عادت وتراجعت عن موقفها وطوت المسألة حتى الآن.

وعلى مستوى علمي آخر، يتم تدريس اللغات داخل المعتقلات، يدرس البعض العبرية وآخرون الانجليزية او الفرنسية او الالمانية او الروسية. ويتم أيضا تدريس اللغة العربية للأميين. لقد خرج بالفعل من السجن أشخاص يتقنون لغات لم يكونوا على معرفة بها قبل الاعتقال.

النشاط الرياضي

المعتقل يهلك جسديا لأنه لا يمارس النشاطات العادية التي من شأنها ان تنشط الدورة الدموية وتقوي العضلات وترفع من مرونة المفاصل،الخ. واذا استسلم الاسير لمثل هذا الوضع فان جسمه يصبح أكثر عرضة للأمراض او الشيخوخة المبكرة، ولهذا عمل المجتمع الاعتقالي الفلسطيني على تطوير أنشطة رياضية تعمل على مواجهة سلبيات الاعتقال.

بالنسبة للاحتلال، لم يقدم من عنده الا ما يسمى بالفورة والتي من المفترض بها ان تعرض المعتقلين للشمس والهواء الطلق والحركة السريعة. لكنه لم يسمح بنشاطات رياضية ذات مفعول صحي أفضل. تنبه المعتقلون الى هذا الامر وخاصة بعدما لا حظوا ما يتم تقديمه من تسهيلات رياضية للسجناء الجنائيين اليهود. بدأت المطالبة بتوفير خدمات رياضية ووضع الصليب الاحمر في الصورة.

سمح بممارسة النشاط الرياضي في المعتقلات المركزية، كبئر السبع وعسقلان والرملة حيث تتوفر الساحات والتسهيلات الرياضية. مارس المعتقلون كرة السلة والطائرة

وطاولة التنس والجري. وقد سمح عام 1985، وبعد اضراب، بالجري في معتقل نابلس القديم.

شكل المعتقلون في بعض المعتقلات، خاصة معتقل بئر السبع، لجانا رياضية تنظم الفرق والمباريات وتقيم الدورات الرياضية في المصارعة والكاراتيه. حملت الدورات أسماء شهداء كدورة الشهيد أبو علي اياد، وقد عمل المعتقلون في احدى السنوات مباريات رياضية في ذكرى انطلاقة حركة فتح رغما عن ادارة المعتقل. لبس المعتقلون أثناءها ملابس رياضية حملت شعار العاصفة. ووزعت الجوائز.

فضلا عن ذلك، لا يغفل العديد من المعتقلين عن ممارسة نشاط رياضي داخل غرفة الاعتقال، على الرغم من أن الغرف ضيقة بالنسبة لعدد المعتقلين ولا تسمح بممارسة النشاط الرياضي. الا ان بعض الالعاب السويدية تبقى ضمن حدود الممارسة المعقولة والممكنة.

الحركة الثقافية داخل معتقل النساء

من البديهي ان ان العدو يزج بالمناضلات الفلسطينيات من أجل عزلهن عزل تاما عن مجريات الحياة في الخارج، ووضعهن في ظل حياة خانقة تحكمها مجموعة من القوانين التعسفية تهدف في النهاية الى تصفية المعتقلة الفلسطينية على الأقل من الناحية المعنوية. ولكن المعتقلات عملن على إنتاج وسائل مضادة تفشل سياسة العدو هذه.

لا تختلف النشاطات الثقافية في معتقل النساء كثيرا عن باقي المعتقلات. تعقد الجلسات التثقيفية والتنظيمية والحزبية والجلسات التحليلية السياسية. تختلف الاهتمامات بين معتقلة وأخرى تبعا للاختلافات في التوجهات السياسية.

الجلسات التنظيمية والثقافية

تأتي البرامج التثقيفية في أول سلم الأولويات التي تهتم بها المعتقلة لما في ذلك من فاعلية في تأطير الفكر الثوري في مواجهة القمع الصهيوني.

تقوم اللجان القيادية داخل المعتقل بوضع وترتيب برامج تثقيفية متنوعة تهدف الى تربية المعتقلة وصقل شخصيتها وتخليصها من الشوائب والامراض الاجتماعية. وتكون هذه البرامج على شكل جلسات جماعية، ويراعي فيها مستويات المعتقلات الثقافية والمواد الدراسية التي يجب ان يبدأن بها.

يتم التركيز على التعبئة التنظيمية وتعميق مفهوم الالتزام لدى المعتقلة بثورتها ومبادئها. ويعمل على ربط النظرية بالممارسة، فالقيم والمبادىء يجب ان تنعكس على علاقة المعتقلة مع اخواتها المعتقلات، ومع الناس الآخرين بعد خروجها. اذ أنه من المتوقع ان تعكس المعتقلة المستوى الاخلاقي الذي يجب تتحلى به المرأة الثورية.

تشمل الجلسات الثورية على عدة مواضيع منها شرح وتحليل تجارب ثورية عالمية، وطرح نظريات ثورية أثبتت نجاحها في عدة بلدان والتي يمكن الاستفادة منها على مستوى الثورة الفلسطينية. وهناك جلسات تهدف الى اعادة تربية المعتقلة اجتماعيا. وتوعيتها حول الدور الذي يمكن ان تقوم به، وتخليصها من بعض المفاهيم الاجتماعية التي لم تعد تلبي متطلبات المرحلة والتي تقف أحيانا حائلا بينها وبين المشاركة في العملية النضالية او في الحياة الاجتماعية. ان مهمة اللجان التثقيفية والتنظيمية ليست مجرد حشو رأس المعتقلة بكلمات براقة بل نقل هذا التنظير الثوري الى التطبيق العملي والممارسة.

<u>جلسات التحليل السياسي وانتقاء الاخبار وتحليلها من المذياع والصحف:</u>

من المهم جدا داخل المعتقل الا تعزل المعتقلة نفسها عن مجريات الأحداث في الخارج، ذلك لأنها مرتبطة بقضية وطنية. فعليها متابعة تطورات هذه القضية والخروج بموقف صحيح إزاء تطوراتها. ولذلك تعمل المناضلات باستمرار على متابعة كل ما يدور على الساحة الفلسطينية خاصة والعربية والعالمية عامة، وتحليل ما يدور من أحداث من خلال سماع نشرة الأخبار من المذياع او الأهل، تقوم المعتقلات بجمع الأخبار في دفتر، ويقمن في نهاية الأسبوع بقراءتها بشكل منسق وتحليلها ومناقشتها جماعيا. لا يفهم من هذا بالطبع ان المعتقلات يأخذن بكل خبر يسمعنه، وانما يتم التأكد من الكثير من الأخبار والتي تبثها خاصة الإذاعات المعادية والتي يقصد منها التشويه والتضليل.

من ناحية أخرى، ينبع تحليل الاخبار من مواقف الحركة السياسية التي تؤمن بها المعتقلة، ويأتي في ضوء الثوابت والنهج العام الذي تسير عليه الحركة.

هذا وقد شكلت بعض الصحف مصدرا للاخبار، كما هو الحال لدى معتقلات الرجال، كانت صحيفة <u>الانباء</u> تحظى بالدخول، ثم دخلت صحيفة <u>القدس</u>.

<u>المقالات وقراءة الكتب والفنون داخل المعتقل:</u> <u>ان تعويد</u> المعتقلة داخل المعتقل على الكتابة والاستقصاء والتحليل والنقاش يشكل أحد واجبات الكوادر المسئولة في المعتقل. وهذه الكوادر مسئولة عن تحديد المقالات والقراءات التي يتوجب القيام بها. تقوم هذه الكوادر بتكليف معتقلات بكتابة مواضيع حول أحداث معينة او مناسبات وطنية وطرحها على المجموع للنقاش والتحليل. وتقوم أيضا

بوضع برامج من شأنها تنمية الثقافة الذاتية للمعتقلة، ووضع واجبات ثقافية خاصة تقوم بها المعتقلة بمفردها وجهدها الخاص.

اما بالنسبة للفنون فهي محدودة داخل معتقل النساء بسبب عدم توفر المواد اللازمة. الا ان المعتقلات استطعن ممارسة بعض الأشغال اليدوية والتطريز، وقد شاركن بإنتاجهن في معارض تقام في الخارج. لكن الصعوبة تكمن في ان الإدارة نفسها لا تسمح بإدخال المواد اللازمة للعمل باستمرار، حيث تحظرها على بعض المعتقلات وتربطها دوما بالسلوك العام للمعتقلة. فإذا ما حدث موقف ما، فان إدارة المعتقل تمنع إدخال أي شيء لهذه المعتقلة او تلك، او تتخذ إجراءا عاما يمنع إدخال مواد الأشغال اليدوية لكافة المعتقلات.

المكتبة وتطورها

دأبت المعتقلات في بداية عهد الاحتلال دوما على النضال من أجل تكوين مكتبة خاصة بالمعتقلات الفلسطينية داخل المعتقل. وفعلا، ومن خلال استمرارية النضال والعراك مع ادارة المعتقل، تم تثبيت وجود مكتبة خاصة بالمعتقلات. حوت المكتبة في البداية بعض الروايات والقصص العاطفية الخالية من الامور الفكرية، وافتقرت للكتب الثقافية القيمة. وتطورت المكتبة بمجيء فوج واع من المعتقلات اللواتي أخذن في الاهتمام بتوفير الكتب السياسية التي تشمل تجارب ثورات عالمية وعربية،وأصبح يسمح لهن بادخال كتاب كل شهر من الاهل، الى جانب السماح بادخال الكتب بواسطة الصليب الاحمر. الا ان المكتبة بقيت فقيرة في الكتب المتعلقة بالقضية الفلسطينية وتطوراتها. عملت الادارة باستمرار على سحب الكتب مع كل اضراب من الاضرابات كنوع من الضغط على المعتقلات، فمثلا في اضراب التسع شهور، كان من ضمن الضغوطات على المعتقلات من قبل الادارة لكسر مطالبهن وكسر اضرابهن هو سحب الكتب من داخل الغرف، الا ان المعتقلات لم يخضعن لقرار الادارة، وتم الاستمرار في أخذ الكتب من المكتبة المتواجدة في قاعة الطعام، فعملت الادارة على سحب المكتبة بكاملها من قاعة الطعام وسحبت من القسم كله. وكان الاحتجاج على تلك السياسة بالخبط على الابواب والاناشيد الوطنية. ونتيجة لذلك تم رش المعتقلات بالغاز لساعة متواصلة. ولكن رغم ذلك استمر التحدي والصمود، وبذلك أفشل مخطط الادارة، وصممت المعتقلات على ارجاع المكتبة لقاعة الطعام، وفعلا تم ذلك، وحافظن باستمرار على أن تكون داخل القسم لتبقى بين متناول أيديهن. فالكتاب يتم التعامل معه في هذا المعتقل بامتياز وليس كحق.

دراسة الثانوية العامة

تربط إدارة المعتقل النساء في الرملة بين سلوك المعتقلة وبين إعطائها الحق في تقديم امتحانات الثانوية العامة(التوجيهي) داخل المعتقل. وكما هو الحال في المعتقلات الأخرى، تضع الإدارة عراقيل عدة من أجل تعطيل الامتحان. قدم هذا الامتحان فعلا في السبعينات والثمانينات، الا انه لم يعد يقدم في الآونة الأخيرة. ربما يعود ذلك الى عدم وجود معتقلات يرغبن في تقديم امتحانات. فمعظمهن أنهين دراستهن الثانوية أو الجامعية، وبعضهن لم يصلن بعد لدرجة التأهيل التي يستطعن معها تقديم الامتحان.

الخلاصة

نستخلص من هذا الفصل ان ارادة المعتقلين الفلسطينيين استطاعت ان تتغلب الى حد كبير على سياسة القمع الفكري التي يمارسها الاحتلال من خلال ادارة المعتقل. لم يستسلم الفلسطيني لأعمال القهر الفكري، بل حاول ان يشق طريقه نحو حياة فكرية حافلة وممارسات ثقافية مثمرة كلفت الفلسطيني الكثير من التضحيات حتى وصل الى هذا المستوى من النشاط الثقافي، ولا شك أنه سيتكلف المزيد ما دام هناك احتلال ومعتقلات. فالاحتلال لن يتوقف عن محاولاته لاعادة عقارب الساعة الى الوراء، والمعتقل الفلسطيني لن يتوقف عن محاولاته لتحقيق المزيد من الانجازات.

لكن مجتمع المعتقلات مطالب وبصورة ملحة برفع مستوى المشاركة الثقافية الفاعلة. صحيح ان الفرصة مهيأة أمام الجميع، الا انه ليس من الملاحظ ان الجميع ينــدمجون بشكل جدي في عنفوان النشاط الثقافي. صحيح ان الناس تختلف في مدى استعيابها او رغبتها في العمل والمشاركة، الا انه من المفروض خلق ظروف مواتية وبصورة أفضل لتحميس الجميع على العطاء والبذل.

هذا ونشير الى أنه لم لم نقصد من خلال هذا الفصل القول بأن كل المعتقلين على الاطلاق يخرجون من المعتقل بذات المستوى من الوعي والانتماء. فهناك من رغبوا عن المشاركة الفعالة في النشاط الثقافي، وهناك من لم يعجبهم كل ما يجري في المعتقل من هذه الزاوية، وهناك من لا تتوفر لديهم الاستعدادات للابداع في هذا المجال. خرجت المعتقلات أناسا قادرين ومبدعين وساهموا في مختلف المجالات، لكنها خرجت أيضا العديد ممن فضلوا الاهتمام بمصالحهم الخاصة والعيش بعيدا عن الهموم العامة.

وربما يكون من المفيد هنا ان نقول بأن النشاط الثقافي في المعتقلات يتركز في الامور السياسية، يبحث المجتمع الاعتقالي بأمور اقتصادية واجتماعية، لكن أغلب وقته يبقى مكرسا للتحليل السياسي والعقائدي والتعبئة الوطنية والعقائدية. يعود هذا بالضرورة الى وضع المعتقل الخاص والذي يتميز بطابع سياسي أكثر من أي طابع آخر. ولهذا لوحظ ان المعتقلين، بصورة عامة وليس مطلقة، غير مواكبين تماما للتطور الاجتماعي. وغير مؤهلين بصورة جيدة للانخراط بسرعة في المجتمع الاوسع بعد الخروج من المعتقل. لوحظ التردد في تصرفات البعض والتحفظ في أحيان كثيرة ظنا منهم بأن نوعا من السلوك قد لا يكون مقبولا.

اننا نذكر هذا من أجل تنبيه المجتمع الاعتقالي الى الامور الاجتماعية وضرورة اعطائها أهمية أكبر. من المهم ان يرفع هذا المجتمع من دراسته للتطورات التي يتعرض لها المجتمع وأهميتها وانعكاساتها على مجمل تطور القضية الفلسطينية.

نظرا للنشاط الثقافي، لوحظ من ناحية أخرى ان المجرب لحياة الاعتقال يمتلك بصورة عامة مقدرة في اللغة العربية أعلى من المتوسط العام المتوفر في مجتمعنا الآن. فبسبب القراءات والمداولات والنقاشات، استطاع المعتقل ان يهذب لغته ويطور من قدرته في المحادثة. واذا بذل المجتمع الاعتقالي المزيد من الاهتمام في اللغة العربية وآدابها فان المستوى اللغوي سيتحسن بصورة أكبر وأشمل.

ملحق : نماذج من أدب المعتقلات

آدم يطرد مرة أخرى

أغلق الباب بهدوء، وسار في الشارع الضيق، كانت كلمات والدته العجوز ترن في مسمعيه فيتردد صداها قويا في أعماقه: أسرع الى المدرسة يا حبيبي قبل ان يقرع الجرس، عندما تعود من المدرسة ستجد وجبة كبيرة !

تذكر تلك الرنة الحزينة في صوتها، عرف أنهم لا يملكون الافطار او ثمن الغذاء فعض على شفته السفلى وهو يذكر زملاؤه يتحدثون كل يوم عن أسماء من الطعام والفواكه يتقاسمها اترابه اثناء الدرس وبعد الدرس، ويشم روائع أصناف الطعام تنبعث من الاحياء المجاورة، تتعدى مخيمهم دون أن تمطر لحما او عدسا او خبزا، فشبعوا فقرا، جوعا، حرمانا، مرضا ...موتا ...

حينها كان يمر بكومة التفاح فوق عربة عرجاء... يتسمر في مكانه

- ترى كيف يكون طعم هذا ؟
- ليس من حقك أن تسأل مادمت لا تملك ما تدفع!
- لكني أعرف كيف أملك تفاحة!
- أمك قالت لك أكثر من مرة: السرقة عيب، واستاذ الدين في المدرسة يكرر دوما السرقة حرام، وجاركم الشرطي: كل قوانين العالم تقول لك ممنوع.
- لكني أريد تفاحة !!
- انتظر ... سيأتي اليوم الذي ...
- لن تنقص تفاحة هذه الكومة ...
- وقد تتسبب في مشكلة... وتخلق فضيحة تندم عليها ...
- وقد لا يراني صاحبها ...

لم يشأ ان يستمع الى مزيد من نصائح هذا الخيالي الحالم في أعماقه، تحين الفرصة التي التفت فيها البائع لناحية الاخرى وتقدم خطوة.

خيل له انه كل الحرمان والعذاب الجوع والقهر سيذوب في تفاحة، كعالم الزئبق الذي طالما مدّ يده ليقبض على جزء منه فينزلق من قبضته هاربا تجسد في تفاحة، تقدم خطوة اخرى، سيشهد العالم الآن حدثا رهيبا، قد تضبطه واحدة من هذه العيون القريبة، مدّ يده، تمثلت له أمه تقول: ان لم يراك الناس يابني، سيراك رب الناس.

لم يستطع تصور رب الناس تغضبه تفاحة بين فكي جائع. بسرعة حوت يده التفاحـــة، دسها في جيبه، سار بسرعة يتلفت في كل الاتجاهات... كل الانظار تنصب عليه، تلاحقه ... تكمن له... تعرقله... لكنه يسرع ..يركض.

خفت الزحمة ..تحسس التفاحة... انها في جيبه ...

كان جرس المدرسة قد قرع، ودخل التلاميذ غرف الصف وبدأ معلم التربيـــة الدينية القاء مواعظه العثمانية... كان يشعر أنه قوي ..لكنه تردد حين تخيل توبيخات المعلم تنصب في أذنيه أمام زملاءه، طرق الباب بهدوء ودخل، وقف قليلا عند الباب، ثم سار وجلس دون ان يحول انتباهه عن جيبه الذي تصوره وقد انتفخ بحجم الكـــرة الارضية، لم يفهم ما قاله المعلم بخصوص تأخره، الخشوع يســير، فـــي الغرفـــة لا يكسره الا صوت معلم الدين يلعلع في المكان وصوت أبواق السيارات المنقطع يـــأتي من الشارع المجاور.

أدار المعلم ظهره ليكتب على السبورة، فاغتنم فرصة ذهبية قضمت خلالهـــا أســـنانه مضغة من التفاحة.

ما هذا الصوت الناجم من المضغ ؟ كم هو مرتفع !! غطى فمه بكلتـــا يديـــه، لكـــن الصوت ما زال عاليا كهشيم يتقصف أو جدار يتهدم، وضجيج المضغ بـــين كفيـــه يتعـــالى، استدار المعلم، توقف احمد عن المضغ... هدأت الضجة... كان شاردا ..توجه اليـــه المعلـــم بسؤال، ظل أحمد صامتا، لم يستطع الكلام والتفاح في فمه وجزء من عقله في جيبه والآخـــر بين كفيه ...

لم يعرف ما نوع التأنيب الذي ناله، وبات لا يجرؤ على تحريك فكيه ولو مرة واحدة حتى لا يدوي صوت المضغ من جديد، نظر خلفه أمامه ... والى جانبيه، كل العيون تنصـــب عليه، فتصور أنهم قد تبينوا أخيرا مصدر الصوت الذي تجرأ وكسر الخشوع المفروض ...

توجه المعلم الى تلميذ آخر، فأدار أحمد فكيه دورة أخرى، ابتلع قليلا مـــن التفـــاح... تمنى لو يبتلع كل التفاحة دون مضغ، ولكن لا ...

فهو لا يريد ان يفقدها بسرعة، انحنى أسفل المقعد واطمأن الى حجم المضـــغة التـــي نقصت من التفاحة، ثم اعتدل.

تناول قلمه وتظاهر بالكتابة ...

تحول اليه المعلم مرة أخرى ...

- أحمد، لماذا تتمنى دخول الجنة ؟

لم يفكر أحمد كثيرا، ابتسم، أخرج التفاحة من جيبه برشاقة

- وبلا وعي رفعها بين يديه وصرخ: لهذا ...

ضحك زملاء احمد عاليا، غضب المعلم، زمجر، عربد، صفع أحمد، لكنه عبثا حاول مصادرة التفاحة فطرد أحمد من غرفة الدرس.

أعواد الكبريت

كبر حميد، صار عمره ثلاث سنوات، أصبح يتطلع حوله باهتمام ويخرج ليلعب مع أترابه ويعود للبيت فيتساءل كثيرا حوله أشياء كثيرة. وذات يوم عاد يجلس القرفصاء أمام أمه المنهكة في اعداد وجبة من"الخبيزة" وسألها: أمي اين دارنا ؟ أجفلت من السؤال، طافت الدموع عينيها ثم غاصت في أعماقها : هذه هي دارنا.

- قال لي ابن جارنا اليوم عندما أخذت منه الكرة انه سيقول لوالده ليطردنا من الدار.
- لا تفكر بهذا يا حميد، لا تصدق يا حبيبي، هذه هي دارنا.

ونهضت هاجت في أعماقها الدموع فنزفت كثيرا منها، وأعدت نفسها لأسئلة أخرى ودموعا أكثر. صار عمره أربعا، تعلق بثياب أمه وتطلع اليها وسأل

- والدي متى يعود ليعيش معنا ؟

ارتجفت شفتاها، ثم غاصت الارتجافة في أعماقها قبل ان تجيب:

- والدك تراه كل شهر يا حميد و ...
- لم يضعون بابا لذلك الشباك الفاصل بيننا عند كل زيارة ليخرج الينا، ونذهب للبيت معا.

حارت الام في أمورها

- ذلك هو المعتقل ياحبيبي .
- المعتقل؟
- نعم بيت كبير يضعون فيه الرجال.
- لكن جارنا ...
- ليس كل الرجال.
- اذا أي نوع من الرجال يا أمي؟
- ذلك النوع الذي يحرث الارض باخلاص ويزرعها ويحصدها ليحصل على لقمة عيشه فيسرقونها منه... فيغضب.
- وهل هم أقوياء ؟
- كلا.

- اذا لماذا ؟
- نحن ضعفاء.

غضب حميد، كل أولاد الحارة يخافونه لا يجرؤون على مصارعته فكيف تقول أمه انهم ضعفاء !!! ؟

صار عمره خمسا، أكد له أولاد الحارة أنه كان لهم بيتا غير الذي يسكنون، فعاد للبيت، وقف قبالة أمه بتحد وسأل :

- اين بيتنا الذي كان يوما ؟

مضى عامان على تساؤله الاول، ماجت في أعماقها مزحة، اقتربت من حميد، ضمته اليها، تملص من بين يديها يريد جوابا، أخذت بيده، وساد الصمت. في طريق القرية كانت هناك كومة من الحجارة والاسمنت المفتت فتوقفا... أشارت بيدها نحو الركام دون ان تلتفت اليه، عادت الدموع تضطرب في داخلها فحبستها.

- من هدمه يا أمي ؟
- هم
- من ؟
- الذين يسرقون الخبز ويخطفون الرجال من البيوت.
- ولماذا البيت ؟
- وجدوا فيه ثلاثة صناديق من أعواد الكبريت وجزءا صغيرا من ماسورة فولاذية وساعة والدك القديمة.
- وماذا يعني هذا ؟
- قالوا ان هذه تسمى أسلحة، أدوات تهدد أمن الدولة. وبحجم سقف البيت المسجى على الارض ارتسمت على وجهه علامة استفهام ودهشة. وعندما رجعا للبيت ظل يحملق بالارض ويبحث عن أعواد الكبريت الملقاة على الارض ويدسها في جيبه خلسة.

تطور الأطر التنظيمية والعلاقات الفصائلية

بدأت الحياة الاعتقالية للمعتقلين الفلسطينيين في المعتقلات الصهيونية منذ انطلاقة الثورة الفلسطينية المعاصرة عام 1965 بأسر المناضل محمود بكر حجازي الذي يعتبر أول أسير لحركة فتح. لم يفكر المعتقلون الاوائل بتكوين أطر تنظيمية خاصة بهم وذلك بسبب قلة عددهم وضعف تجربتهم وقساوة الظروف التي كانوا يعيشونها. وبعد هزيمة الجيوش العربية في حزيران 1967 تصاعد العمل الفدائي ضد قوات الاحتلال بشكل كبير مما دفع هذه السلطات الى الزج بالمئات والآلاف من ابناء شعبنا في المعتقلات بغية اخماد الثورة الملتهمةواطفاء روح المقاومة المتصاعدة بين أبناء الشعب الفلسطيني، وهكذا وجد آلاف المناضلين أنفسهم خلف القضبان في ظروف صعبة للغاية، فكان لا بد من التفاعل لايجاد الاطر التنظيمية القادرة على تنظيم حاتهم بشكل جماعي بعيدا عن الفوضى والعشوائية. ومع مرور الايام ازداد المعتقلون عددا وازدادوا خبرة ووعيا وممارسة مما أدى بالتالي الى الارتقاء بالأطر التنظيمية والهياكل الادارية التي ظهرت بشكل بدائي ثم تطورت حتى وصلت الى شكل راقي ومستقر. هذه المسيرة لم تكن سهلة بل كانت مليئة بالصعاب والعقبات، مليئة بالصراعات الهادئة تارة والمتفجرة تارة أخرى. صراع ضد ادارة المعتقل، وصراع بين الاطر التنظيمية المختلفة، وصراع داخل الاطار التنظيمي الواحد. ولكن الحياة لا تسير الى الوراء، لذا فان ثمرة هذا الكفاح والصراع، ومحصلة الجهود المخلصة لجموع المعتقلين ادت في النهاية الى استقرار الاطر التنظيمية وثباتها واعتبارها جزءا لازما لحياة المعتقلين.

الوضع التنظيمي بعد حرب حزيران

لم يهتم المعتقلون الفلسطينيون في البداية بالانتماء الفصائلي لأنهم لم يكونوا على معرفة وافية بالتنظيمات من حيث بنائها الاداري وهيكلها التنظيمي، وأيضا فانهم لم يكونوا يميزون كثيرا بين الفصائل المختلفة. لذا فانهم كانوا يعتبرون أنفسهم ابناء حركة وطنية فلسطينية واحدة ومتميزين عن السجناء الجنائيين. لهذا السبب اضافة الى ضعف التجبة فان مسألة اقامة أطر تنظيمية وتشكيل هياكل ادارية لم تستحوذ على اهتمام خاص لدى المعتقلين. ومن ناحية ثانية فان كثيرا من الروابط والعلاقات التي كانت تسود بين المعتقلين في النين الاولى بعد عام 1967 كانت تقوم على أساس بلدي او عشائري او شخصي وأحيانا أخرى على أساسا الانتماء لمجموعة او خلية واحدة قبل الاعتقال. فالمعروف ان الخلايا التنظيمية

السرية للمناضلين الفلسطينيين في السنين الاولى للاحتلال كانت تتميز بكثرة عدد الاعضاء والذي قد يصل الى بضع عشرات للخلية الواحدة مما كان يفسح المجال امام سلطات الاحتلال لاختراقها والقاء القبض على كامل او معظم اعضاء المجموعة.

نستطيع القول ان الوضع التنظيمي في سنتي 1967، 1968 لم يكن موجودا، بل كان هناك بعض الشخصيات البارزة التي تمتعت بصفات قيادية مما جعلها تحوز على احترام وتقدير باقي المعتقلين، وبعد معركة الكرامة وتصاعد العمل الفدائي بشكل كبير وبروز عدة فصائل فلسطينية على الساحة، بدأ الشعور الفصائلي بين المعتقلين يلقى اهتماما كبيرا لا سيما وان انفصال الجبهة الديموقراطية عن الجبهة الشعبية في بداية عام 1969 وحدوث بعض الاشتباكات المسلحة بين عناصر الجبهتين في الخارج، اضافة الى تراكم التجربة النضالية لمجموع المعتقلين أدى فيما بعد الى بروز بعض الاشتباكات التنظيمية البدائية. وقد أدى دخول عدد من العناصر ذات الخبرة التنظيمية والادارية المعتقلات الى تعزيز الاتجاه نحو بلورة شكل من أشكال التنظيم الاداري. وهكذا بدأ الشعور يتزايد بين المعتقلين بالحاجة الماسة لوجود أطر تنظيمية قادرة على جمع كلمة أعضاء الفصيل الواحد للحفاظ على أعضائه ورفع معنوياتهم وبث الروح الجماعية في نفوسهم بهدف القضاء على التسيب والفوضى من جهة، ولمواجهة ادارة المعتقل التي تفرض أوضاعا قاسية تتنافى مع أبسط القيم والاعراف الدولية والانسانية.

وفي هذه المرحلة اعتمد العمل التنظيمي على الشخصية القيادية، أي حكم وتوجيه القائد الاكثر وعيا وشعبية لدى أبناء الفصيل، وقد خضع اختيار القائد لصفاته الشخصية التي يتحلى بها ولم يخضع هذا الاختيار لأسس تشريعية واضحة المعالم. وغالبا ما كان هذا القائد يتميز بالحيوية والنشاط اضافة الى وجود اعضاء كثيرين في المعتقل كانوا في السابق ضمن مجموعة واحدة تضمهم مع هذا القائد، أي ان مسألة البلدية والمجموعة السابقة اضافة الى الصفات الشخصية كان لها اعتبار كبير في بروز القائد.

لقد كان عمل الشخصية القيادية في هذه المرحلة صعبا للغاية وذلك لأن الروح الجماعية لم تكن عميقة بدرجة كافية بين المعتقلين مما جعله عرضة لمنافسة شخصيات أخرى تريد فرض نفسها، وأيضا لأن الاوضاع الامنية كانت مهلهلة مما تعرضه لبعض التشويهات التي كان يبثها العملاء الذين ربطوا أنفسهم بادارة المعتقل لخدمتها وتنفيذ مآربها. وأيضا فان الشخص القيادي كان معرضا لملاحقة الادارة واجراءاتها القمعية والقاسية التي كانت تسعى لضرب أي بادرة لعمل جماعي وسحق أي روح جماعية قد تظهر بين المناضلين.

ومن الجدير بالذكر ان الاطر التنظيمية بدأت تظهر في المعتقلات التي ضمت المناضلين ذوي الاحكام العالية والتي تحوي نسبة قليلة من الموقوفين، وذلك لأن هؤلاء

المعتقلين بدأوا يشعرون ان بقاءهم في المعتقل سيطول لذا فان الضرورة تحتم عليهم ترتيب أمورهم وتنظيم حياتهم بشكل يكفل لهم التكيف مع الأوضاع الجديدة، والعمل على تطويرها نحو الافضل للتخفيف من المعاناة التي يعيشونها، وهكذا وجدنا ان تتبلور الاطر التنظيمية ظهر في البداية في معتقلات عسقلان وبيت ليد وبئر السبع.

لقد وجدت الشخصيات القيادية نفسها أمام مهمات صعبة من الضروري مواجهتها وتذليلها وهي:

1. بث الروح الجماعية بين المعتقلين والعمل على تحجيم الولاءات البلدية والشللية والشخصية.
2. التربية التنظيمية الهادفة الى الالتزام والانضباط.
3. التوعية الامنية والعمل على احباط ومواجهة مؤامرات العملاء والمشبوهين.
4. تقوية روح الانتماء الفصائلي مع ما يتبع من توعية سياسية ووطنية.
5. التفاهم والتنسيق مع الفصائل الاخرى.
6. مواجهة ادارة المعتقل وتهيئة المعتقلين لمراحل نضالية ضد هذه الادارة.

لقد شكلت مسألة مواجهة ادارة المعتقل نقطة مركزية وجوهرية كان لها دورا بارزا في تنمية الروح الجماعية والتمسك بالاطر التنظيمية والالتفاف حول الشخصيات القيادية، فمن خلال هذه المواجهة يشعر المعتقلون بحاجتهم للتضامن والتماسك من خلال اطار منظم. وأيضا فان هذه المواجهة أدت الى بروز الشخصيات القيادية التي أظهرت شجاعة وجرأة أمام ادارة المعتقل. بالاضافة الى ذلك فان المواجهة مع المعتقل تحتاج الى تضحيات تمثل المعتقلين وتتكلم باسمهم مطالبة بحقوقهم من خلال المفاوضات التي تجري بين الطرفين.

ومن الضروري التنويه الى ان القاعدة لم تكن تشارك في اتخاذ القرارات المتعلقة بسير الحياة الاعتقالية بل كانت هذه القرارات من مهمة الشخصيات القيادية البارزة التي كانت تتشاور فيما بينها باستمرار بغية تنسيق نشاطاتها في مختلف الغرف والاقسام. كما ان الحياة الاعتقالية كانت مصبوغة بشخصية القيادة وليس بصبغة العمل الجماعي المنظم. لهذا فان ادارة المعتقل كانت تقوم باستمرار بنقل الشخصيات النشيطة الى معتقل آخر او وضعها في الزنزانات بهدف ضرب العمل التنظيمي واضعافه ووضع حد لأي خطوة جماعية قد يتخذها المعتقلون ضد ادارة المعتقل، وكان لهذه الاجراءات نتيجتان: الاولى سلبية وتتمثل بارباك الوضع التنظيمي في المعتقل الذي نقل منه المناضل النشيط ولو مؤقتا ريثما يقوم شخص قيادي آخر بالحلول محله. اما الثانية فهي ايجابية حيث ان نقل العناصر النشيطة الى معتقل آخر ينقل أيضا التجربة التنظيمية الى هذا المعتقل ويزوده بطاقات قادرة على الابداع والقيادة والتنظيم. وكانت النتيجة العامة انه تم تعميم التجربة النضالية والتنظيمية في كافة المعتقلات، وافراز

شخصيات قيادية تعمل على مستوى جميع المعتقلات وليس على مستوى معتقل واحد. وأكبر مثال على ذلك المناضل ابو علي شاهين الذي كان له دور هام في قيادة العمل التنظيمي داخل معتقلات الاحتلال.

نستطيع القول ان المعتقلات في هذه المرحلة ظهرت فيها الاطر التنظيمية والاجهزة الادارية المرتكزة على الشخصيات القيادية، واستطاع المعتقلون تطوير ظروفهم الاعتقالية من خلال خوض بعض الاضرابات الناجحة ضد ادارة المعتقلات مما أدى الى تعميق الالتزام التنظيمي واكتساب تجربة جديدة، وأصبح المعتقلون مع مرور الايام اكثر قدرة على المشاركة في اتخاذ القرار على الرغم من بقاء الشخصية القيادية كعنصر أساسي.

تجربتا عسقلان وبيت ليد

وبالتدرج بدأ التفكير بضرورة وجود قيادة جماعية قائمة على أسس تنظيمية واضحة خصوصا في معتقل عسقلان عام 1971. فهذا المعتقل ضم بين جدرانه عددا من الشخصيات ذات التجربة العميقة والقدرة على القيادة. ولا شك ان سوء الاوضاع وقسوتها في هذا المعتقل دفع المعتقلين الى التفكير الجدي في خلق يادة جماعية تقوك على أسس تنظيمية واضحة، وتقوم أيضا على اعطاء القاعدة قدرا أكبر من المشاركة لايجاد قيادة مدعومة منها. وقد تم التوصل عام 1972 الى طريقة معينة يتم بموجبها اختيار قيادة التنظيم. وتتلخص هذه الطريقة في قيام كل غرفة باختيار موجه لها، ويختار القسم لجنة تنظيمية تشرف عليه، وفي النهاية تقوم لجان الاقسام بفرز منسقين لها تعتبر بمثابة اللجنة العليا والتي تشكل قيادة التنظيم في المعتقل والتي بدورها تختار الموجه العام. كانت هذه التجربة بداية طيبة للصعود والرقي بالعمل التنظيمي خطوة الى الامام. قاومت الادارة هذه العملية حيث قامت بخلط المعتقلين في مختلف الغرف والاقسام داخل المعتقل، كما نقلت القيادات التنظيمية الى معتقلات أخرى مما عرقل تطور هذه العملية.

استطاع المعتقلون في عسقلان تنفيذ الاضرابات والاعمال الاحتجاجية ضد ادارة المعتقل في المرحلة السابقة خلال اعوام 1970/1971، ومن أجل وف هذه الاعمال ولايقاف نمو الوعي التنظيمي قامت الادارة بنقل العديد من العناصر النشيطة الى معتقل بيت ليد، وفي هذا المعتقل بدأت الحياة الاعتقالية تأخذ طابعا منظما منذ بداية السبعينات حيث تطور لأول مرة هيكل تنظيمي وتشكلت اطر تنظيمية قوية

ونشطة قامت بمختلف النشاطات التنظيمية والادارية والامنية، وكان لتجربة بيت ليد اثر على باقي المعتقلات لانه تم تعميمها بعد توزيع معتقليه على المعتقلات الاخرى في بداية عام 1973. تميزت هذه التجربة بمايلي:

1. بناء الحياة التنظيمية على اساس مركزي، أي بناء هيكل تنظيمي يقوم على اساس المراتب التالية:

أ. موجه عام للمعتقل ب. لجنة مركزية عامة.

ج. لجنة ثقافية د. موجهو الغرف والاقسام

2. ترسيخ الالتزام بالحياة الجماعية المنظمة، فقد أصبح لدى المعتقلين قناعة بضرورة الحياة الجماعية على اسس تنظيمية واضحة لتسيير امور المعتقلن.

3. توزيع الادوار والمهمات، حيث ازدادت المشاركة من قبل القاعدة سواء في اخاذ القرار او التنفيذ، وعلينا التنويه هنا ان مشاركة القاعدة في اختيار القيادة كان معدوما ولم يكن يتم هذا الاختيار على اسس ديمقراطية، بل من خلال الاتصال بين العناصر النشيطة، المهم ان المشاركة لم تعد مقصورة على حفنة محدودة بل تم توسيعها جزئيا، بينما في مجال التنفيذ فقد تمت المشاركة الكامة وذلك من خلال فرص الالتزام بالتنظيم على جميع المعتقلين، وهذه نقطة هامة اذا عرفنا ان المعتقلات الاخرى، حتى تلك الفترة، كان الالتزام التنظيمي فيها طوعيا حيث ان الكثير من المعتقلين لم يكونوا مهتمين بالمشاركة في امور التنظيم او الالتزام بقراراته، وهذا يعني وجود اعداد من المعتقلين لم يتشربوا بعد روح العمل الجماعي ولم يفكروا بأهمية جود الاطر التنظيمية، وبالطبع فان تجربة بيت ليد تعتبر رائدة في هذا المجال.

نستطيع القول ان المرحلة الجديدة تميزت بوجود هيكل اداري واطار تنظيمي واضح ولكن شغل المراكز التنظيمية كان يتم بالتعيين من قبل مجموعة من النشطاء الذين يعتبرون انفسهم قادرين على وضع الرجل المناسب في المكان المناسب وفق تقديرهم لمصلحة التنظيمية، وهذا يعني ان الديمقراطة كانت محصورة في اطار ضيق ولم تكن تتسع لتشمل القاعدة التنظيمية بأجمعها.

لقد كان لهذا الاسلوب مميزات وعيوب في نفس الوقت، حيث انه خدم المصلحة التنظيمية في ذلك الوقت الذي لم الذي لم يتعمق فيه الاحساس التنظيمي بشكل كاف، ولم يشهد سيادة الروح الجماعية والشعور بالمسؤولية بين الجميع، من هذا الفهم، تقبل النشطاء تنظيميا هذا الاسلوب واضعين نصب اعينهم تذليل الصعاب التي تقف امام استقرار وثبات الاطر التنظيمية، ومن الجدير بالذكر ان احداث ايلول عام 1970 وتموز 1971 بين المقاومة الفلسطينية والنظام الاردني قد نالت من عزائم الكثير من المعتقلين الذين اعتقدوا ان الثورة قد تم تصفيتها مما أضعف التزامهم التنظيمي. فكان لزاما على العناصر الواعية والنشيطة ان

تعمل على رفع معنوياتهم ومقاومة الشائعات الهدامة التي كان يبثها العملاء وضعاف النفــوس ومن ورائهم ادارة المعتقلات والهادفة الى نزع او اضعاف التزام المعتقلين بثــورتهم وثقــتهم بها.

لم تبق تجربة معتقل بيت ليد محصورة، بل امتدت الى باقي المعتقلات وأخذت تتبلور اطر تنظيمية واضحة في كل مواقع الاعتقال، وقد ساهمت عملية التنقلات من معتقل بيت ليد الى معتقلات بئر السبع ونابلس وجنين الى ايجاد أطر تنظيمية متماسكة وقوية فيها. فمعتقــل بئر السبع اقيم بعد عام 1967 وساهم المعتقلون انفسهم في تشييد أقسام منــه وذلــك بالعمــل الاجباري الذي كانت تفرضه ادارة المعتقل على المعتقلين، وكان هذا المعتقل يفتقر الى الحياة التنظيمية حيث سادته الروح الفردية والشللية والبلدياتية اضافة الى الصراعات والتناقضــات الحادة بين المعتقلين والتي عرقلت قيام أطر تنظيمية فيه.

في نهاية 1972 تم نقل الكثير من معتقلي بيت ليد الى بئر السبع، فبدأ المعتقلون الجدد بتعبئة المعتقلين الاخرين بالروح الجماعية والتنظيمية، وشنوا حربا ضد الفوضى وضد مرافق العمل التي كانت قائمة هناك والتي كان لها دور كبير في حالة التسيب المنتشرة، وتدريجا تــم الحد من الروح الشللية والبلدياتية وتقليص النظرة النظرة الشخصية والمصلحة الفرديــة ممــا أدى الى تشكيل أطر تنظيمية على غرار تلك التي كانت سائدة في معتقل بيت ليــد، أي أطــر تنظيمية وادارية وثقافية وأمنية متميزة تشغلها العناصر النشــيطة بــالتعيين، وبســبب ســوء الاحوال الاعتقالية قرر اتلمعتقلون تهيئة الظروف لخوض اضراب ضد ادارة المعتقل مطالبن بتحسين أحوالهم والحد من المعاملة القاسية التي يلقونها من الادارة.

وبالفعل بدأ المعتقلون اضرابهم في النصف الثاني من عام 1973واستمر عدة شــهور ولم يوضع حد له الا بعد حرب تشرين 1973. وبعد انتهاء الاضــراب ســاد الاضــطراب والفوضى مما أدى الى ضعف الاطر التنظيمية القائمة، ويرجع ذلك الى الاجراءات القمعيــة التي اتخذتها ادارة المعتقل اثناء الاضراب حيث قامت بنقل عدد من العناصر النشــيطة الــى معتقلات أخرى خصوصا معتقل جنين، والى الخلافات التي نشبت بين بعض المعتقلين ما أدى في النهاية الى وقف الاضراب دون تحقيق النتائج المرجوة، ونستطيع القول ان حالة الفوضى هذه ليست فريدة بل هي من خصائص الاطار التنظيمي الذي تقوم على أكتاف عدد قليل مــن العناصر النشيطة بدون اعداد القاعدة للمشاركة الفعالة في اختيار المسئولين لشــغل المراتــب التنظيمية، لذا فان نقل العناصر النشيطة يؤدي الى وجود فراغ تنظيمي ليس من السهولة ملؤه لا سيما وان القاعدة لم تتعود المشاركة في اتخاذ القرار، هذا فضلا عن غيــاب نظــام عــام يتعارف عليه المعتقلون لتعبئة الفراغ الناشيء، وعن ضعف الروح التنظيمية الــى درجــة لا تستطيع معها الصمود أما الروح الفردية والشللية والبلدياتية الكامنة.

تميزت المرحلة ما بين اعوام 1971–1976، كما قلنا سابقا، بوجود أطـــر تنظيميـــة مركزية وهياكل ادارية واضحة تسيرها العناصر النشيطة، أفرزت المرحلة صراعات مريـــرة وحالات من المد والجزر في أوضاع المعتقلين ولم يكن هذا الوضع محصورا في اطار معتقل واحد بل نستطيع القول انه ساد جميع المعتقلات، ولتوضيح الامر نلقي الضوء هنا على تطور الوضع التنظيمي في معتقل نابلس المركزي.

بدأت أفواج المعتقلين تدخل هذا المعتقل بعد حرب حزيران عـــام 1967، وبمـــا انـــه المعتقل الرئيسي في الوسط الشرقي من فلسطين فقد تميزت بالازدحام الكثيف وبسوء الاحوال الاعتقالية، وبما أنه يتم نقل أصحاب الاحكام العالية الى معتقلات فلسطين المحتلـــةعام 1948 وبالتالي حصر الكفاءات التنظيمية في هذه المعتقلات، فان المعتقل بقي يعاني من انعدام الاطر التنظيمية حتى بداية عام1973.

في البداية كان الاحساس الوطني المجرد هو القاسم المشترك بين جمـــوع المعتقلـــين، ومن الجدير بالذكر ان هذا المعتقل كان يضم داخل جدرانه نسبة كبيرة من المعتقلـــين الجـــدد باستمرار، مما يعني ان الحركة فيه سريعة، فالمحكومون باحكام عالية كانوا ينقلون لمعتقلات الداخل، ويفد اليه معتقلون جدد القي القبض عليهم حديثا وغير محكومين، فالوضع فيه لم يكن مستقرا مما ضاعف المصاعب امام أي عمل جماعي، هذا علما بان المعتقلين بصورة عامـــة ذوي تجربة تنظيمية ضحلة أو معدومة ولم يسبق لهم العيش ضمن اطار تنظيمي معين يكسبهم تجربة حية. وهكذا فان العلاقات كانت تقوم على أساس شخصي او بلـــدي او علـــى اســـاس الارتباط بمجموعة سابقة، وكانت ادارة المعتقل تعين في كل غرفة شاويشا يكون حلقة الوصل بين المعتقلين واعدادهم لدخول ضابط العدد، ويكلف ايضا باستلام شفرات الحلاقة وتوزيعهـــا على المعتقلين ومن ثم جمعها بعد الانتهاء منها وتسليمها للشرطي المسئول، والى غير ذلـــك من الامور البسيطة.

وهكذا ظلت الامور متسيبة ولم يستطع المتقلون بناء أي اطار تنظيمي. وفـــي بدايـــة السبعينات بدأت تظهر العناصر النشيطة والواعية والتي تسعى لبث الوعي الوطني والتنظيمي بين المعتقلين، وبدأ الشعور بالانتماء الفصائلي يتعمق لا سيما وان ادخل الى المعتقل معتقلون جدد على قدر لا بأس به من الوعي الاداري والتنظيمي وذوي التزام فكري، وعلـــى درايـــة بالطرح الفكري والسياسي لفصائلهم. أدى بروز هذه العناصر النشيطة الى تعميق الاحســـاس بالانتماء الفصائلي ولكنه لم يؤد الى تشكيل أطر تنظيمية، بل ظل الامر مقتصرا على وجـــود شخصيات قوية ونشطة لها قدرة علىالتأثير والعطاء، وبقيت الروح البلدية ورابطة الانتمـــاء الى المجموعة سائدة على الرغم من أن كفتها اخذت تخف.

وفي نهاية عام 1972 تم نقل عدد من معتقلي بيت ليد الى معتقل نابلس، قام المعتقلون الجدد بالعمل الحثيث لتشكيل اطار تنظيمي ينضوي تحت لوائه كافة المعتقلين. واستطاعت العناصر النشيطة في النصف الاول من عام 1973 من تشكيل اطار تنظيمي مركزي واجهزة ادارية متبلورة تقوم بمهمة بث الروح الجماعية والتنظيمية بين المعتقلين. واسطات هذه الاطر النامية باقناع المعتقلين بالمواجهة مع ادارة المعتقل وذلك بالاضراب عن الزيارة مطالبين بتحسين ظروفهم الاعتقالية. ويعتبر هذا الاضراب نقطة تحول في تاريخ معتقل نابلس المركزي حيث انه تم تأكيد واستقرار الاطر التنظيمية التي بدأت تمارس عملها في كافة المجالات الادارية والثقافية والامنية، وتجدر الاشارة الى ان هذه الاطر التنظيمية كانت تفتقر الى لائحة داخلية تحدد الصلاحيات والمراكز وكيفية عملها، أي ان الوضع السائد يمكننا ان نطلق عليه حكم الصفوة او سلطة القلة على اعتبار ان غالبية القاعدة لم يكن لها دور هام في تحديد واختيار المسئولين، وبالطبع فان حكم الصفوة او القلة كان الوضع السائد آنذاك في جميع المعتقلات.

تطور الوضع التنظيمي في معتقل عسقلان

بدأ معتقل عسقلان بداية طيبة منذ بداية السبعينات حيث ظهرت الى الوجود الاطر التنظيمية ذات القيادة المركزية، واستطاع المعتقلون القيام بأولى المواجهات ضد ادارة المعتقلات. نظمت الاضرابات والاحتجاجات الجماعية في عامي1971،1970.ساعد على ذلك كون المعتقل شبه مغلق، أي ان حركة الخروج منه والدخول اليه قليلة، كما أنه ضم المعتقلين من ذوي الاحكام العالية. ةقد ساءت الاوضاع التنظيمية في نهاية عام 1972 حيث طفت على السطح الخلافات بين الفصائل المختلفة، وهكذا عادت الى الوجود المحاور والتكتلات والشلل امتصارعة، وبرزت تيارات فكرية متصارعة.

يعتبر معتقل عسقلان المركز الاساسي الذي انبثق منه التيار الديني المتشدد الذي أعلن انفصاله عن الفصائل الفلسطينية وعدم اعترافه بها، وشكل المتدينون تنظيما خاصا بهم، وبالاضافة الى التيار الديني ظهر تياران آخران هما التيار الماركسي والتيار الديمقراطي. التيار الماركسي ينادي بتبني الماركسية اللينينية وكان معظم عناصره من حركة فتح وقوات التحرير الشعبية. لقي هذا التيار مساندة وتأييد الفصائل الماركسية كالجبهة الديمقراطية والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، اما التيار الديمقراطي فقد ظهر ايضا مع فترة الضعف التنظيمي التي سادت المعتقل خصوصا بعد عام 1973. ونادى مؤيدوه بالحرية الكاملة مع

تبني الطروحات الفكرية والسياسية بدون أي ضغط او اكراه، وطرحوا حرية الانتماء للفصائل المختلفة وبانتهاج الاسلوب الديمقراطي في اختيار المراتب الادارية المسؤولة.

ومهما قيل عن هذا التيار فانه كان نتيجة لحالات التسيب والضغف التنظيمي التي سادت المعتقل، وكان ردة فعل لاسلوب حكم الصفوة السائدة في المعتقلات، وللتشنج الفكري القائم على الاكراه في بعض الاحيان. فمن المعروف ان الخلافات الفكرية بين أعضاء الفصائل المختلفة كانت تؤدي الى صراعات مريرة سواء على نطاق الفصيل الواحد او على نطاق العلاقات بين الفصائل المختلفة. وفي ظل هذه الفوضى والتسيب ازدادت احوال المعتقل سوءا وشددت الادارة من قبضتها، وقد شكلت مرافق العمل بؤرا للفساد وبث نار الفتنة وتأزيم الاوضاع.

ان النقطة المركزية المثيرة للجدل بين المعتقلين في كافة المعتقلات في منتصف السبعينات كانت تدور حول سؤال هاموهو: ما هو السند الشرعي الذي تستند اليه القيادة؟ وماهي الطريقة السليمة والمناسبة لاختيار القيادة؟

تعتبر هذه الاسئلة دليلا على تطور الوعي لدى المعتقلين، ففي الفترات السابقة كانت الجهود منصبة على خلق الاطر التنظيمية وتنمية الروح الجماعي، وتجاوب المعتقلون مع هذه الجهود حتى استطاعوا ايجاد اطر تنظيمية مستقرة وهياكل ادارية واضحة، متغاضين عن الطريقة التي كان يتم بموجبها تعيين العناصر القيادية وتسلمها للمراتب الادارية، فكما ذكرنا، فان المعتقلات مرت في البداية بمرحلة الشخصية القيادية المركزية ثم بمرحلة حكم الصفوة والتي تعتبر مرحلة متقدمة ولكنها ليست المرحلة المناسبة، وكما رأينا مرت المعتقلات في صراعات وتقلبات مستمرة صعودا وهبوطا، ومع ازدياد الوعي واكتساب التجربة شعر المعتقلون بضرورة اشتراكهم بصورة أكبر في اختيار القيادة وفي اتخاذ القرارات، وبالطبع فان معتقلات عسقلان وبئر السبع هي أكثر المعتقلات التي واجهت هذه المشكلة لانها تخلوا من الموقوفين الجدد.

وفي نهاية عام 1975 قامت ادارة المعتقلات باعادة العناصر النشيطة الى بئر السبع وعسقلان بعد ان كانت معزولة في معتقل جنين منذ عام 1973، وشكلت هذ العودة بداية عهد جديد من النشاط التنظيمي والذي تمخض عن مشروع عمل تنظيمي جديد، طرح هذا المشروع الذي تمت صياغته عام 1976 تشكيل هيئات وأطر ولجان اعتقالية تعنى بالنشاطات المختلفة، وكذلك انتخاب الشخصيات القيادية المركزية وتضمين ذلك في لائحة داخلية تعتبر دستورا يتوجب احترامه والتقيد بهه لضمان عملية التغيير القيادي بشكل هادئ وسلمي، وقد قوبل هذا المشروع بالترحيب من قبل نسبة كبيرة من المعتقلين بينما رفضه البعض ممن لا يؤمنون بالتطبيق الديمقراطي وبقدرة القاعدة على اختيار القيادة الحكيمة.

وقد طرح المعارضون الحجج التالية:

1. حقا ان القاعدة لها الحق في انتخاب ممثليها ولكنها غير واعية الى درجة تمكنها من الاختيار السليم.
2. وجود جهل تنظيمي لدى الكثيرين خاصة بوسائل العمل التنظيمي السليم.
3. الخوف من بروز المصالح الشخصية والمحاور البلدية والشللية وسيطرتها على سير العمل التنظيمي.
4. عدم معرفة القاعدة بالخلفية الامنية والاخلاقية لمعظم المعتقلين، حيث ان هذه المعلومات محصورة ضمن أضيق الدوائر التنظيمية والادارية والامنية.

اما حجج المؤيدين للاسلوب الديمقراطي فهي:

1. الانتخابات الديمقراطية تعطي السند الشرعي للقيادة في تسلمها لهذه المراكز القيادية.
2. الانتخابات الديمقراطية تحل مشكلة الصراع على السلطة والازمات الدورية التي تحدث باستمرار.
3. الانتخابات الديمقراطية تؤدي الى شعور القاعدة بالثقة بنفسها وبقيادتها، وتؤدي الى غرس الى الروح الديمقراطية في نفوسها، مما يجعل امكانية التعاون والتفاعل قوية ومستمرة.

وفي النهاية تم حسم النقاش لصالح الاسلوب الديمقراطي وذلك لتأييد الاغلبية الساحقة من المعتقلين بينهم شخصيات قيادية مؤثرة ومعرفة، وتم تطبيق الاسلوب الديمقراطي في معتقلات بئر السبع وعسقلان ونفحة وطولكرم، اما في المعتقلات الاخرى مثل غزة ونابلس ورام الله فقد تأخر تطبيق هذا الاسلوب الى ما بعد عام 1980 لاعيبارات خاصة بطبيعة هذه المعتقلات، فقد ضمت هذه المعتقلات نسبة كبيرة من المعتقلين الجدد الذين الذين يفتقرون الى التجربة التنظيمية وينقصهم الوعي التنظيمي والامني.

واجه تطبيق الاسلوب الديمقراطي عقبات كثيرة من أهمها الاوضاع غير المستقرة في المعتقلات والناجمة عن اجراءا ت النقل والعزل التي قامت بها ادارة المعتقلات، هذا بالاضافة الى وجود المشاكل الداخلية التي كان يعاني منها المجتمع الاعتقالي، الا انه كان من شأن الاوضاع التنظيمية ان تستقر في النهاية على ضوء التجربة التي مر بها المعتقلون التي اكدت ضرورة وجود قيادات اعتقالية منتجة من القاعدة، وتميز الوضع العام في المرحلة الديمقراطية بمايلي:

1. انتخاب الهيئات المسؤولة للمعتقل من قبل القاعدة بصورة سرية، وتشكيل لجان انتخابية تشرف على سير عملية الانتخاب بشكل هادئ وبعيد عن الدعاية الانتخابية او المظاهر غير السليمة.
2. قيام الهيئات المسؤولة بتحضير ورقة عمل قانونية تحدد مسار العمل التنظيمي بكافة أوجهه الثقافية والادارية والامنية، وتحدد الصلاحيات لكل هيئة او لجنة وطريقة انشاء الاجهزة وصلاحياتها. أي اصبح المعتقلون يسيرون أمورهم وفق لوائح داخلية تعتبر دستورا لهم يتوجب عل الجميع التقيد بها والتعامل على أساسها.

كانت الانتخابات تتم في الاغلب على عدة مراحل، فبالنسبة لحركة فتح، ينتخب المعتقلون في المرحلة الاولى مؤتمرا عاما مصغرا يتراوح عدده بين 50-70 عضو، وفي المرحلة الثانية يقوم أعضاء المؤتمر العام المصغر بانتخاب المجلس الثوري الذي يتكون من 25-30 عضوا، وفي المرحلة الثالثة يقوم اعضاء المجلس الثوري بانتخاب اللجنة المركزية التي يتراوح عدد اعضائها من 7-13 عضوا، وفي المرحلة الرابعة ينتخب أعضاء اللجنة المركزية الموجه العام. وتتم كل هذ المراحل بشكل سري وتشرف على العملية لجنة انتخابية مركزية، لا تختلف الصورة هذه كثيرا لدى الفصائل الاخرى وان اختلفت المسميات، وبهذه الطريقة استطاع المعتقلون التخلص من اكثر المشاكل المعقدة التي كانت تهدد الاستقرار ومن أحد المصادر الرئيسية للصراع والخلاف.

نستطيع في النهاية ان نجمل العوامل الدافعة نحو تبلور الاطر التنظيمية وتطورها بمايلي:

1. تبلور الطروحات العقائدية والسياسية لكل فيصل فلسطيني بشكل واضح وانعكاس ذلك على أعضاء هذه الفصائل في المعتقل.
2. قدوم عناصر تنظيمية تمتلك الوعي السياسي ولديها الخبرة التنظيمية والادارية.
3. ادخال الكتب الحزبية والسياسية التي تعالج الامور السياسية والتنظيمية مما أدى الى رفع مستوى الوعي لدى المعتقلين.
4. حفزت مواجهة الادارة ومخططاتها الى شعور المعتقلين بضرورة تنظيم انفسهم بشكل فعال.
5. لعب الصراع الداخلى بين ابناء كل فصيل والصراع بين الفصائل المختلفة دورا هاما في بلورة أطر تنظيمية قادرة على وقف هذه الصراعات والحد من آثارها السلبية.

اما العقبات والعراقيل التي كانت تقف حجر عثرة امام نمو وتطور الاوضاع التنظيمية فهي:

1. ضعف الوعي لدى العديد من المعتقلين خصوصا الجدد، يـدخل المعـتقلات سنويا المئات من المعتقلين الجدد الذين ينقصهم الخبرة التنظيمية والاداريـة والامنية، والذين يحتاجون الى رعاية خاصة من المعتقلـين القـدامى ذوي الوعي المرتفع والتجربة الحية، والملاحظ ان المعتقلات التي تحوي أعـدادا كبيرة من الموقوفين تأخرت في تطوير أوضاعها قياسـا لمـا حـدث فـي المعتقلات التي لا تحوي موقوفين.
2. اجراءات الادارة القمعية ومخططاتها الرامية لضرب أي جهـد جمـاعي او عمل تنظيمي بما في ذلك النقل والعـزل المسـتمرين للعناصـر النشـيطة، ومصادرة الكراسات والكتب الثقافية التي من شأنها المسـاهمة فـي رفـع المستوى الوطني والتنظيمي.
3. الصراعات المستمرة بين الفصائل المختلفة قلل من فرص التعـاون المثمـر والبناء في سبيل الارتقاء بالاوضاع الاعتقالية والحد مـن امكانيـة تبـادل الخبرات والتجارب.
4. عدم تعمق الروح الديمقراطية لدى العديد من الاعضـاء وبـروز الـروح التسلطية وحب الزعامة بغض النظر عن الاسلوب المؤدي للوصـول الـى المراكز التنظيمية.

ومع تفاعل العوامل الدافعة كان الانتصار في النهاية لصالح التقدم والعمل التنظيمي البناء.

العلاقات الفصائلية

مرت العلاقات بين الفصائل بمراحل عديدة شهدت خلالها انتكاسات ومنعطفات حادة، لقد كانت مزيجا من التعاون والصراع، فالتعاون يفرضه وحدة القيد والمصـير، و الصـراع يفرضه الاختلاف في الطرح الفكري والسياسي بين الفصائل المختلفة ورؤيتها للأمور الوطنية من زوايا متعددة، وقد شهدت العلاقات بين الفصائل فترات من التوتر الشديد وصل الى درجة القطيعة والعداء، والى مشاجرات دامية وعنيفة، ترتبط هذه الخلافات والصراعات الـى حـد كبير بمرحلة ما قبل سيادة الأسلوب الديمقراطي داخل الأطر التنظيمية، ولدت مرحلة الفردية وعدم الانضباط والعشوائية صراعات داخل كل فصيل انعكست علـى علاقـات الفصـائل. والمتتبع للعلاقات الفصائلية يرى انها بدأت في التحسن والانفراج بعد عام 1976 عندما بـدأ

الأسلوب الديمقراطي يغزو الأطر التنظيمية نفسها، وقد تمحورت نقاط الخلاف بين الفصائل بصورة عامة حول النقاط التالية:

اولا: مسألة الاستقطاب : احتلت هذه المسألة مركز الصدارة في اثارة الخلافات بين الفصائل، فقد كان كل فصيل يحاول استقطاب المعتقلين الجدد الى صفوفه لا سيما أولئك الذين لم يرتبطوا بفصيل معين قبل دخولهم المعتقل، لذا فان كل فصيل يسارع الى استخدام كافة الوسائل الممكنة لكي يقنع أكبر عدد ممكن من هؤلاء المعتقلين بالانضواء تحت لوائه، وأحيانا كان يتم استخدام وسائل غير سليمة، حيث ان الاقناع والتنظير الفكري لم يكن السلاح الوحيد في هذا المجال، بل ان تشويه الاطر الاخرى ووصفها بشتى النعوت السلبية للتنفير منها كانت مستخدمة أيضا، هذا الى جانب اعتماد العلاقة البلدية او العائلية او المعرفة السابقة أساليب في جذب المعتقلين الجدد.

كان من شأن عناصر فتح ان تتهم التنظيمات الماركسية بإلحادها وكفرها مستغلين بذلك العاطفة الدينية لزيادة عددهم، بينما كان من شأن الفصائل الماركسية ان تتهم فتح بأنها تمثل البرجوازية الصغيرة والتي تتميز بالتذبذب وقصر النفس، الى غير ذلك من الطروحات والآراء، وقد كان يصل الامر أحيانا الى حد اكراه بعض العناصر بالانتماء لاحد الفصائل.

وعادة ما كان ينشب خلاف حاد بين الفصائل عندما يقوم أحد الاشخاص الجدد بالانتماء الى فصيل معين ويغير هذا الانتماء بعد عدة اسابيع او شهور نظرا لقناعات جديدة.

يدعي الفصيل الاول بأنه المسؤول عن هذا الشخص ولن يسمح له بتغيير انتمائه، بينما يحتاج الفصيل الاخر بأن رغبة الشخص يجب احترامها لا سيما وانه لم يكن مرتبطا بفصيل معين قبل دخوله المعتقل، وبناء على هذه الرغبة فانه يعتبر نفسه ملزما بالدفاع عنه. وقد يتطور الامر الى وقوع احتكاك مباشر بين بعض العناصر من كلا الفصيلين مما يؤدي الى حدوث شجار عنيف، وفعلا هذا ما حدث في كثير من الاحيان في العديد من المعتقلات.

ولم يقتصر الخلاف حول المعتقلين الجدد الذين ليس لهم انتماء تنظيمي سابق محدد، بل ان مشكلة أخرى كانت تظهر بين الفينة والاخرى حول حق الفرد في تغيير انتمائه بغض النظر عن الفصيل الذي كان منتظما في صفوفه قبل الاعتقال، فالمعروف ان غالبية المناضلين لم يتحدد ارتباطهم بفصيل معين قبل الاعتقال على اساس فكري وعقائدي بل بدافع وطني محض، الفصيل لم يكن للعديد من المعتقلين سوى مجرد اداة لتحقيق رغبة المناضل في العمل ضد سلطات الاحتلال بغض النظر عن الطروحات الفكرية والسياسية التي يتبناها، وبعد الاعتقال وجد المعتقل نفسه وسط اشخاص ينتمون لفصائل عديدة وكل منهم يعتبر الخط الفكري والسياسي لفصيله افضل الخطوط وأسلمها، وفي أحيان كثيرة كان يجد بعض

الاشخاص انهم غير مقتنعين بالخط الفكري الذي يطرحه فصيلهم مما يؤدي الى الشعور بعدم الانسجام والافتقار الى التوحد والاندماج مع عناصر فصيلهم.

وهنا قد يعمد هذا الشخص الى التقرب من فصيل آخر الرغبة من الانضـــواء تحـــت لوائه. يحسن الشخص علاقاته مع عناصر هذا الفصيل، ويظهر رغبته فـــي الانفصـــال عـــن فصيله والانضمام الى الفصيل الآخر، ولكن المشكلة تثور حين يعـــارض فصـــيله الانســـلاخ ويعمل على منعه من الانضمام الى الفصيل الاخر مستخدما كافة الوسائل سواء الاقناعيـــة او الاكراهية، ومن ناحية أخرى يقوم الفصيل الاخر بتقديم حمايته ومساعدته لهذا الشخص مما قد يؤدي الى توتير الاجواء واثارة الخلافات التي يمكن ان تتطور الى صراع حاد.

استغل العملاء هذه الثغرة ليقوموا بناء على تخطيط مســـبق وبالاتفـــاق مـــع اجهـــزة المخابرات او ادارة المعتقل باثارة هذه القضية بين الحين والآخر، كان يقـــوم احـــد العمـــلاء بمحاولة تغيير التزامه من فصيل لآخر لاثارة الفتنة وتصعيد التوتر، ومع تكرار هذه القضـــية وبعد التحقيق مع بعض العملاء الذين ادلوا باعترافهم في هذا المجال تضافرت الجهود لحلهـــا على اساس يرضي كافة الاطراف، ويرتبط حل هذه المسألة بشكل عام بتطور الاطر التنظيمية وسعيها لاقامة علاقات ديمقراطية قائمة على اساس الاحترام المتبادل والتعاون المستمر بـــين الجميع، فمسألة المعتقلين الجدد الذين لا يرتبطون بفصيل معين قبل اعتقـــالهم حلـــت مســـألة انتمائهم من خلال تشكيل لجنة تضم كافة الفصائل مهمتها الاشراف عليهم وتزويدهم بكل مـــا يلزمهم من الملابس واللفافات والشاي لان هذه الاشياء كانت تشـــكل وســـائل هامـــة لجـــذب العنصر الجديد لصفوف هذا الفصيل او ذاك، ويقوم كل فصيل بطرح خطه الفكري والسياسي للمعتقلين الجدد بشكل ديمقراطي وبعيد عن التشهير والتجريح، وتستمر اللجنة فـــي اشـــرافها على الشخص لفترة انتقالية ريثما يقرر بنفسه رغبته الحرة بالالتزام بفصيل معين.

اما مشكلة المعتقلين القدامى والذين لديهم انتماء سابق ويرغبون فـــي تغييـــره فـــانهم يمرون باجراءات صارمة وشديدة ومحادثات بين ممثلي الفصائل ريثما يتم البت النهائي فيها.

ثانيا: التعصب التنظيمي: يشعر كل فصيل فلسطيني بأنه متميز عن الفصائل الاخرى مما يعطيه حقا بالاستعلاء على غيره على اعتبار انه الفصيل الاكثر حرصا على القضية الفلسطينية والاكثر تمثيلا للمصالح الوطنية.

ولا شك ان الكثيرين سواء من المعتقلين او غيرهم ينظرون الى تنظيمهم نظرة قبليـــة ضيقة، وهذه هي احدى الامراض الاجتماعية التي تعاني منها الامة العربية عمومـــا وليســـت مقصورة على الفلسطينيين فقط، ونجد ان الصراع يزداد بين الاحزاب او التنظيمات المتقاربة في طرحها، فمثلا شكلت الخلافات العقائدية بين الجبهة الديمقراطية والجبهة الشعبية سببا قويا للصراع خصوصا في بداية عهد تشكيل الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين عام 1969، المهم

ان التعصب التنظيمي يدفع الى تشويه الفصائل الاخرى والتشهير بها دون مراعاة للنظرة العلمية والموضوعية، وكثيرا ما أدى النقاش غير الموضوعي بين عناصر تنتمي الى فصائل مختلفة الى توتير الاجواء وغرس الاحقاد في النفوس مما أدى الى تقوقع عناصر كل فصيل على ذاتهم والحد من الاختلاط مع العناصر من الفصائل الاخرى، ولا شك ان التعبئة الثقافية التي كانت تنتهجها الفصائل لعناصرها كانت تقوم على اساس التقليل من شأن الفصائل الاخرى، والتركيز على نقاط الخلاف بدلا من نقاط الالتقاء، مما أدى الى نظرة سلبية مسبقة ضد بعضهم البعض، وكان من شأن هذه التعبئة الحيلولة دون خلق روح من التعاون والتفاهم المتبادلين.

ثالثا: التمثيل: كانت مسألة تمثيل المعتقل امام ادارة المعتقل تتم في البداية من خلال بعض الاشخاص القياديين، ولكن الفصائل أخذت تتنافس مع الايام حول من يقوم بهذ المهمة، فحركة فتح تعتبر نفسها الفصيل الرئيسي في المعتقلات وبالتالي تملك حق تمثيل المعتقلين، بينما ترى الفصائل الاخرى انه من الضروري اشراكها في التمثيل، وذلك من خلال تشكيل لجنة مشتركة تمثل الفصائل الرئيسية او من خلال جعل التمثيل بشكل دوري بينها، ونوه هنا الى انه غالبا ما يكون التمثيل في معظم المعتقلات بيد حركة فتح، وفي السنوات الاخيرة شكلت في بعض المعتقلات لجنة مشتركة تمثل المعتقلين وتفاوض ادارة المعتقل خصوصا في اوقات الاضرابات، و حتى في حالة ما يكون الممثل شخصا واحدا فانه يجب ان يحوز على موافقة الفصائل الاخرى وان يتشاور مع ممثليها في كل مفاوضاته مع ادارة المعتقل.

رابعا: الاضرابات: تشكل مسألة تنفيذ اضراب من أجل تحقيق بعض المطالب الاعتقالية نقطة خلاف بين الفصائل، وقد يرى فصيل ان هناك ضرورة للبدء بالاضراب بينما يرى فصيل آخر ان ظروفه الداخلية غير مهيأة لا سيما وان الادارة سوف تعمد الى اجراء عمليات نقل و عزل للنشيطين من اعضاء الفصائل، فاذا لم تكن الاوضاع الداخلية لكل فصيل مرتبة بشكل جيد فان خللا ما قد يصيبه ويؤدي الى اضعاف الاطار التنظيمي. ومن ناحية أخرى فقد يطرح أحد الفصائل تصورا معينا للاضراب ومراحله بينما لدى الفصائل الاخرى تصورات مغايرة مما يؤدي الى التعارض بين مختلف الاطراف، واحيانا كان يقود هذا التعارض الى فتور العلاقات وتبادل الاتهامات، يتهم كل فصيل الفصائل التي يتعارض رأيها مع رأيه بتفضيل المصالح التنظيمية الخاصة وتغليبها على مصالح المعتقلين او بانتهاج مهادنة لادارة المعتقل، بينما يتهم الاخرون هذا الفصيل بانه مغامر ويريد الزج بالمعتقلين في متاهات يصعب تقدير نتائجها السلبية والتي قد لا يكون لديهم طاقة على تحملها، او انه يريد الاضراب نتيجة الخلافات الداخلية المستفحلة حيث انه بهذه العملية يخفف من وطأة الصراع الداخلي ويوجهها نحو ادارة المعتقل بدون وجود ضرورة موضوعية وأسباب سليمة تبرر الاضراب، والملاحظ ان بعض

الاضرابات قد فشلت بسبب الخلافات التي نشبت بين الفصائل المختلفة حول الخطوات الواجب اتباعها او الخطط المناسبة لتوجيه الاضراب، وبالطبع فان هذه الخلافات تؤدي الى قيام الادارة بزيادة ضغطها والتصلب في مواقفها وعدم الاستجابة لمطالب المعتقلين مما قد يؤدي في النهاية الى انهاء الاضراب بدون تحقيق النتائج المرجوة، وبعد فشل الاضراب كانت تتصاعد حملة التشهير بين الفصائل نتيجة التهم المتبادلة حول مسؤولية افشال الاضراب.

<u>خامسا:</u> انعكاس الخلافات بين الفصائل في الخارج على المعتقلين: ان عضاء كل فصيل داخل المعتقلات يعتبرون انفسهم امتدادا لفصيلهم الفلسطيني في المقاومة الفلسطينية حول موقف سياسي معين فان هذا الخلاف ينعكس على العلاقات بين اعضاء الفصائل في المعتقل، فمثلا الخلاف بين الجبهتين الشعبية والديمقراطية في نهاية الستينات وبداية السبعينات انعكس على المعتقلين في المعتقلات، وايضا انعكس الخلاف بين جبهة الرفض وبين حركة فتح على المعتقل عندما طرحت السلطة الوطنية عام 1974، وكذلك الحال بالنسبة للخلاف بين فصائل جبهة الانقاذ الوطني وبين حركة فتح، ومن الاعتيادي الا تنعكس هذه الخلافات على المعتقلين فقط، بل كان من شأنها ان تنعكس على كل المواقع التي يتواجد فيها الشعب الفلسطيني.

<u>سادسا:</u> دور العملاء في تصعيد الخلافات الفصائلية: لا يخلو أي فصيل من وجود بعض المندسين في صفوفه والذين لا يؤمنون اصلا بالحركة الوطنية بل يهدفون الى تخريبها من الداخل. وقد قام العملاء بدور لا يستهان به في اثارة الخلافات والمشاكل بين الفصائل في المعتقلات وهم يسلكون عدة سبل في هذا المجال مثل اظهار التطرف العقائدي والحركي والمبالغة في تقدير فصائلهم والحط من قدر الفصائل الاخرى، وأحيانا يفتعلون المشاكل مع عناصر من فصائل اخرى خصوصا اذا كان الجو متوترا اصلا مما قد يشعل نار الفتنة والاقتتال، وقد اعترف العديد من العملاء الذين كانوا يقومون به بناء على تعليمات من ادارة المعتقل او جهاز المخابرات.

<u>سابعا:</u> احياء المناسبات الوطنية:لقد كان تحديد هذه المناسبات مشكلة صعبة بين الفصائل كما ان طريقة الاحياء كانت موضوع خلاف، فمثلا معركة الكرامة تعتبرها حركة فتح من المناسبات الوطنية التي لا يجوز للفصائل الاخرى ان تشارك فيها الا بشكل هامشي على اعتبار ان عناصر حركة فتح هم الذين شاركوا فيها دون الفصائل الاخرى، وبالطبع لا يرضي هذا الموقف الفصائل الاخرى التي تتكر تنصلها من معركة الكرامة او عدم اشتراكها فيها، وأيضا فان الاول من أيار اي عيد العمال العالمي، تعتبره الفصائل الماركسية مناسبة هامة لا يجوز ان تمر بدون احياء على اعتبار ان هذه الفصائل تتبنى الافكار المدافعة عن الطبقة العاملة وتقول انها الممثل الحقيقي لمصالح الطبقة العاملة الفلسطينية، بينما كان رأي عناصر فتح أحيانا ان هذه المناسبة ليست مناسبة وطنية يتوجب الاحتفال بها، وكثيرا ما أقيمت الاحتفالات

في مناسبات معينة دون مشاركة كل الفصائل اما بسبب عدم رغبة المشتركين او بسبب ممانعة القائمين على الاحتفال، وفي نهاية السبعينات تم تنظيم مسألة احياء الاحتفالات وتحديد المناسبات التي يتوجب الاحتفال بها وذلك من خلال الحوار بين لجان التنسيق بين الفصائل، وعلى هذا الاساس تم تلافي الاختلاف وسوء الفهم حول هذه النقطة التي كانت مثارا للجدل.

كان يتم التعامل بين الفصائل بالنسبة لخلافات عام 1977 أحيانا باستخدام العنف ووسائل الضغط الاخرى كالمقاطعة وشن الحملات الدعائية، وبالفعل تمت مواجهات صدامية بين الجبهة الشعبية وفتح في العديد من المعتقلات استخدمت خلالها الادوات الحادة مما ادى الى وقوع الجرحى بين المتشاجرين، وبالطبع كان يتهم كل فصيل الفصيل الاخر بانه المسؤول عن الشجار والمبادر اليه، ونحن هنا لسنا بصدد تحميل المسؤولية لفصيل دون آخر، الا اننا نستطيع القول ان المعتقلين في ذلك الوقت لم يكونوا على درجة كافية من التجربة والوعي تؤهلهم لاستيعاب الاسلوب الديمقراطي كأسلوب افضل في حل الخلافات والتناقضات القائمة بينهم، ومع مرور الزمن وازدياد الوعي وجد المعتقلون ان العنف يؤدي الى غرس الحقد والمرارة في النفوس مما يؤدي الى العنف، وفي النهاية لا يوجد هناك منتصر وخاسر وانما خاسر فقط، والرابح الوحيد هو ادارة المعتقل وعملاؤها.

وهكذا ومنذ عام 1977 تم الاتفاق على تحريم استخدام العنف لحل الخلافات بين الفصائل، واعتمد بالتالي اسلوب الحوار والتفاهم المتبادل.

<u>ثامنا:</u> مرافق العمل: شكلت مرافق العمل مصدرا للخلاف بين الفصائل في المعتقلات، وفي البداية كانت الادارة تفرض العمل على المعتقلين بشكل اجباري حيث شكلت هذه الاماكن مرافق انتاجية تعمل لصالح سلطات الاحتلال، بالاضافة الى كونها اوكارا للافساد والتفريغ الوطني، وتميزت النظرة بين المعتقلين حول هذه المسألة لاسيما بعد استقرار الاطر التنظيمية التي وجدت انه من الضروري معالجتها والحد من نتائجها الضارة، وتدريجا استطاع المعتقلون الامتناع عن العمل في المرافق التي تخدم الاحتلال واستمروا في العمل في مرافق العمل الخاصة بالمعتقل كالمطبخ والمغسلة وتنظيف الساحة وممرات الاقسام، وفي هذه الحالة يثور خلاف بين الفصائل حول عدد اعضاء كل فصيل الذين يتوجب ارسالهم للعمل لا سيما وان هؤلاء العمال يقومون بدور هام للمعتقلين، فهم حلقة الاتصال الذين ينقلون الاشياء والمعلومات بين الغرف والاقسام، كما ان لهم دورا هاما في رعاية المعتقلين الجدد وتعبئتهم وربطهم بالاطر التنظيمية، وبالطبع فان الفصيل الذي لا يشارك في هذه المرافق فانه يواجه صعوبة في الاتصال بين الاعضاء المنتشرين في الغرف المختلفة، ويكون تحت رحمة عناصر الفصائل الاخرى والتي قد لا يرغب في الاتصال عن طرقهم، من هنا نجد حرص الفصائل على ان يكون لكل منها أكبر عدد ممكن من العمال، وفي بعض الاحيان تشعر بعض الفصائل ان حقها

مهضوم في هذا المجال وتطالب بزيادة عدد العمال من أعضائها بينما يرى فصيل آخر ان هذا الامر من حقه هو ليس من حق الاخرين. وهكذا كانت مسألة العمال تعتبر مصدرا للخــلاف وتحتاج بين فترة وأخرى الى امعان النظر فيها وترتيبها من جديد، فمثلا قد يكون هناك مبرر لان يكون لاحد الفصائل عدد معين من العمال، وبعد فترة يقل اعضاء هذا الفصيل نتيجة النقل لمعتقلات اخرى او لانتهاء محكومية البعض مما يستدعي تخفيض عدد العمال الذين ينتمــون اليه، ود يعارض الفصيل المعني هذا الاجراء مما يولد مشكلة تحتاج الى المعالجة والحل.

تطور العلاقات الفصائلية

وجد المعتقلون ان التعاون بينهم تمليه الضرورة والواجب، وبدونه لا يمكن الارتقاء بأوضاع المعتقل، وان هذا التعاون يلزمه وجود حد أدنى من التفاهم وتنسيق المواقف، وعبر الخبرة والتجربة تم التوصل الى الوسيلة الصحيحة بدلا من الضغط والعنف والإكراه، ومع تطور الأوضاع وازدياد الوعي كون المعتقلين لجانا مشتركة في كافة المجالات لتنسيق المواقف وتوحيد الآراء وترتيب الأوضاع بشكل يرضي الجميع، ومن هذه اللجان مايلي:

1. ممثل المعتقل : ينتخب من قبل الفصائل ويكون ممثلا للمعتقل أمام الإدارة وينطق باسم المعتقلين جميعا. ويفترض ان تتوفر في هذا الممثل ميزات خاصة منها: ان يكون صاحب سمعة أمنية وأخلاقية عالية، وان يكون ذو قدرة على المناورة والمفاوضة الذكية وعلى قدر كبير من الوعي والثقافة والمعرفة بمجريات الأمور في المعتقل وقوة الشخصية.
يقوم ممثل المعتقل بمهمة التفاوض مع إدارة المعتقل بشأن مطالب المعتقلين، وأيضا يقدم التقارير المفصلة عن مهمته الى لجنة التنسيق، وعادة ما يتلقى ممثل المعتقل الخطوط العامة لمهماته من لجنة تنسيق وليس من قيادة فصيله، ويرجع الى هذه الجنة في كل طارئ لانه لا يتمتع بصلاحيات مطلقة بل مقيدة ضمن المبادئ والخطوط التي تحددها لجنة تنسيق .
2. لجنة التنسيق: منذ بداية تشكيل الأطر التنظيمية، كانت المشاورات تتم بين الفصائل المختلفة عبر مسؤولياتها مباشرة، ومع استقرار الأوضاع التنظيمية وضرورة وجود وجود قنوات اتصال مستمرة بين الفصائل سواء لحل الاشكالات الحادثة او لتنسيق المواقف والتعاون المستمر، ظهرت الحاجة لتشكيل لجنة تنسيق مشتركة تضم مندوبا عن كل فصيل، وتجتمع باستمرار للتشاور، وبالطبع يراعى في هؤلاء المندوبين ان يكونوا على درجة

عالية من الوعي وسعة الصدر والنقاء الأمني والأخلاقي، وهذه اللجنة مسئولة عن تنسيق المواقف النضالية لضمان موقف موحد للجميع أمام إدارة المعتقل، وتقوم بمهمة حل الخلافات وتنقية الأجواء بين الفصائل في حالة حدوث مشكلة ما او ظهور توتر في العلاقة لأي سبب كان، وهي تمتلك صلاحية سؤال ممثل المعتقل وتوجيهه وتحديد الخطوط العامة التي يجب عليه الالتزام بها أثناء مفاوضاته مع الإدارة.

تقوم لجنة التنسيق بالإشراف على العمل المشترك بين الفصائل وتوسيع مجالات التعاون، فهي تصدر التعميمات العامة المتفق عليها، ويقع على عاتقها ترتب أوضاع المعتقل مثل إقامة الحفلات والندوات، ويزداد أهمية لجنة التنسيق أثناء الإضرابات، إذ انها تعتبر اللجنة القيادية وقراراتها حاسمة ونافذة، الا انه من الضروري التنويه الى ان مندوب كل فصيل في لجنة التنسيق غير مطلق الصلاحية أيضا بل هو مقيد بالتعليمات والأوامر التي تصله من قيادة فصيله، يؤثر هذا بالتالي على سرعة اتخاذ القرار وعلى الندى الذي يمكن ان يذهب اليه أعضاء اللجنة في أعمالهم التنسيقية.

وفي بعض المعتقلات يتم تشكيل لجان تنسيق في كل قسم خصوصا اذا كان المعتقل كبيرا ويحتوي على أقسام منفصلة ويصعب الاتصال بينها، تضم هذه اللجان أعضاء من الفصائل الرئيسية، ولا تقوم بمهمة التخطيط والقيادة بل تنحصر أعمالها في مجال تنفيذ القرارات التي تصدرها لجنة التنسيق العامة بالإضافة لقيامها بمعالجة المشاكل والخلافات البسيطة التي قد تحدث بين عناصر الفصائل المختلفة، ولجان التنسيق في الأقسام تتبع لجنة التنسيق العامة حيث ان الاتصال بالاتجاهين مستمر بين الجبهتين.

3. شاويش الغرفة: مهمته الإشراف على النشاطات العامة للمعتقلين في الغرفة، فهو مسؤول عن ترتيب الدور بالنسبة لتنظيف الغرفة والتنبيه عند قيام الضابط المناوب بأخذ العدد، كما انه المخول بالتحدث مع الشرطة في الشؤون التي تهم الغرفة، وفي السابق كانت الإدارة هي التي تتحكم في تعيين شاويش الغرفة لكي يكون حلقة الوصل بين المعتقلين والإدارة، وبعد استقرار الأطر التنظيمية أصبحت الفصائل هي التي تقوم بتعيينه بدون تدخل الإدارة، يراعى في تعيين شاويش الغرفة ان يكون نقيا من ناحية أمنية وأخلاقية لا سيما وانه يتصل بالشرطة باستمرار، ويراعى التوزيع الفصائلي في القيام بهذه المهمة وتم حصرها في فصيل واحد.

4. لجنة التعبئة والتوجيه الوطني: وهي لجنة غير دائمة يتم تشكيلها للتحضير للقيام بإضراب ومهمتها هي تهيئة النفوس وشحنها وتعبئتها لخوض مرحلة الإضراب الشاقة. وهي تقوم أيضا بكتابة النشرات وعقد الندوات التي تدور حول ضرورة مواجهة الإدارة من أجل تحقيق المطالب الخاصة بتحسين الظروف الاعتقالية، وتشرح طبيعة الواقع السيء والمطالب

التي ينبغي العمل والمطالبة على إنجازها وتشرح حيوية هذه المطالب وذلك لاقناع المعتقلين بضرورة هذا الإضراب، تتصل هذه اللجنة بالمؤسسات الوطنية ووسائل الإعلام المحلية والأجنبية لشرح الأوضاع الصعبة التي يعيشها المعتقلون الفلسطينيون والتي أدت الى الإضراب الذي يخوضونه، وتتصل بالصليب الأحمر والمؤسسات الدولية التي تعمل في مجال حقوق الإنسان لشرح أوضاع المعتقلين، وبالطبع فان دور هذه اللجنة ينتهي بانتهاء الإضراب وعودة الحياة في المعتقل الى مجراها الطبيعي.

5. لجنة الصندوق : يطلق عليها أحيانا اللجنة المالية. ومهمتها شراء كل ما يلزم من الحاجات الضرورية من حانوت المعتقل وتوزيعها على كافة المعتقلين بالتساوي بغض النظر عن انتماءاتهم او كمية النقود التي يدخلها الأهل، فالمعروف ان هناك العديد من لمعتقلين الذين يعيش أهاليهم في فقر مدقع لا يمكنهم مساعدة أبنائهم في الأسر، او ان أهاليهم يعيشون خارج المناطق المحتلة ولا يستطيعون زيارتهم ورصد الأموال اللازمة لهم، لذا فان الصندوق العام يوفر للجميع الحاجات الممكن ابتياعها دون تمييز بين صغير وكبير او غني وفقير.

في السابق كان لكل فصيل صندوقه الخاص، لكن بدأت في السنين الأخيرة محاولات توحيد الصناديق في صندوق عام للفصائل جميعها، ولكن التعصب التنظيمي والرغبة في الاستقلالية كانا يقفان حجر عثرة أمام جهود التوحيد.

ومع تكاتف الجهود وصلت بعض المعتقلات الى وضع اتفقت فيه كافة الفصائل او بعضها على الأقل على إقامة صندوق اعتقالي عام يدار من قبل لجنة مشتركة تشرف على عملية شراء الحاجيات وتوزيعها، ولجنة الصندوق يتم تعيينها من قبل لجنة التنسيق العامة، ولتسهيل أعمالها فانه يعين في كل قسم او غرفة في المعتقل لجنة فرعية تشرف على الصندوق وتحافظ على المواد وتخزنها في أماكن مناسبة، وتشمل هذه المواد السكر والشاي والقهوة واللفافات بالإضافة الى بعض الحلويات.

نلاحظ مما سبق ان العلاقات بين الفصائل قد وصلت الى مرحلة متقدمة في تطورها شوطا لا يستهان به، واستطاع المعتقلون الفلسطينيون إقامة أطر تنظيمية لكل فصيل وتم القضاء على التسيب والفوضى والفردية، استطاعوا بناء علاقات فصائلية قوامها التعاون والاحترام المتبادل وترتكز على وجود أجهزة تنسيق في كافة المجالات، ففي المجال الديمقراطي لحل الخلافات والاشكالات التي د تقع بين أعضاء الفصائل المختلفة.

وفي المجال النضالي استطاع المعتقلون توحيد كلمتهم أمام إدارة المعتقلات مما مكنهم من فرض وجودهم واعتراف الإدارة بهم وإجبارها على التعامل معهم على أساس جماعي وليس فرديا، واستطاعوا خوض إضرابات ناجحة أدت الى الاستجابة للعديد من المطالب الخاصة بتحسين ظروف الحياة الاعتقالية، وفي المجال الثقافي وضعت البرامج

الثقافية المشتركة مما أتاح لأعضاء الفصائل الانفتاح على بعضهم البعض وساهم في خلق جو من التفاهم المتبادل، أدى هذا الى التخفيف من حدة التعصب الفصائلي ومحاولة إيجاد توازن بين الولاء الفصائلي والولاء للحركة الوطنية الفلسطينية ككل، وقد غزا العمل المشترك العديد من نواحي الحياة الاعتقالية، وأصبحت المشاركة في بعض الاحتفالات حقا للجميع، فانطلاقة كل فصيل من فصائل الثورة الفلسطينية تعتبر مناسبة من الضروري إحياؤها باشتراك الجميع، والمناسبات الوطنية الأخرى يتم التعامل معها كمناسبات عامة مثل يوم الأرض وعيد العمال العالمي ويوم السجين، هذا بالإضافة الى إحياء ذكرى بعض الأحداث التاريخية الهامة التي مرت على الشعب الفلسطيني مثل وعد بلفور وذكرى قرار التقسيم ومجازر صبرا وشتيلا، ومن شأن هذه المناسبات المشتركة تقوية روح التضامن بين الجميع ومحاولة التقليل من نقاط الخلاف والبحث عن نقاط الالتقاء للوقوف على أرضية مشتركة صلبة وموحدة.
والملاحظ ان المناضلين الفلسطينيين في المعتقلات الصهيونية استطاعوا إقامة علاقات فصائلية قوية اكبر من تلك العلاقات القائمة بين القوى الوطنية في كثير من المواقع المتواجدة فيها برغم الظروف الصعبة التي يعيشونها، وهذا دليل على انهم قطعوا شوطا كبيرا لاستهان به من سعة الأفق ورحابة الصدر والانفتاح.

التيار الديني

أخذ يبلور في المعتقلات تيار ديني مع بداية السبعينات، وما نعنيه هنا بالتيار الديني مجموعة من المعتقلين الذين بدأوا يتخذون من الدين الإسلامي قاعدة فكرية لهم من المفترض ان تحكم سلوكهم الخاص والعام، ويطلق على هذا التيار من قبل فصائل الثورة المختلفة اسم المتدينين.

لا يتألف التيار الديني من مجموعة حزبية واحدة، ولاينتمي كل فرد بالضرورة الى حزب، فهناك من هو متدين فحسب، أي يؤمن بالشريعة الإسلامية كقاعدة وحيدة لتحديد سلوك الفرد على مختلف المستويات، وهو بذلك يمارس الشعائر الدينية المختلفة، وهناك من يصفون أنفسهم بأنهم ينتمون الى تنظيم الجهاد الذي يتخذ من الشريعة القاعدة الوحيدة للسلوك الإنساني ويتبنى الجهاد قولا وعملا من أجل تحرير الوطن والمقدسات، وهناك من يعتقد انهم ضمن تنظيم الإخوان المسلمين الذي يقول انه يتمسك بالإسلام وما يتفرع عنه من أمور .

لا يبدو ان التيار الديني بدأ في المعتقلات بتخطيط اعتقالي مسبق، أي لم يتداول مجموعة من المعتقلين مسألة تكوين تيار ديني، ولم يعملوا على وضع نظام يحكم هذا التيار، بل يبدو انه بدأ برغبات فردية عبرت عن نفسها بجلسات دينية غير منظمة، لكنه مع الزمن، أخذت هذه الدروس تكتسب معنى وتأخذ بعدا أوسع بين المعتقلين.

ليس من الواضح السبب الذي أدى الى اتساع تطاق التيار الديني في المعتقلات، فالآراء التي استمعنا اليها مختلفة وذلك باختلاف انتماء صاحب الرأي السياسي، تقول بعض الآراء ان صاحب الرغبة في التدين ووجهوا باضطهاد من قبل زملائهم في الفصائل الأخرى ووصفوا بالرجعية والتحجر والعمالة، وكرد فعل رأى هؤلاء ضرورة تأطير أنفسهم وحشد أكبر عدد ممكن من المعتقلين خلفهم وتوسيع دائرة نشاطاتهم، وآراء أخرى قالت ان ارتفاع عدد المنتمين للتيار الديني يعود الى قناعة الناس بان الإسلام يشكل القاعدة الفكرية المقنعة والتي تصلح كأساس للعمل، وآخرون يرون ان التيار الديني شكل ملجأ للمتساقطين والمتخاذلين الذين لا يرغبون في مواجهة الاحتلال، ويعتقد هؤلاء بان إدارة المعتقل شجعت العملاء على الانتماء الى هذا التيار والترويج له، اما آخرون فقالوا ان هيمنة القيادات الفصائلية وسيطرتها شبه المطلقة أساءت الى بعض الأفراد الذين قرروا التخلي عن فصيلهم والانتماء الى التيار الديني.

على الرغم أنه من الصعب الوقوف على حقيقة الأمر الا بعد بحث مسهب، الا انه يبدو للوهلة الأولى ان هناك من رأوا في الإسلام قاعدة فكرية يمكن الاستناد عليها، وهناك من رأى في التيار الديني وسيلة لافساد الحياة الاعتقالية، أي انه لا يبدو ان كل الذين دخلوه مسلمون، فحسب ما اتضح، هناك رجال أشداء مؤمنون بالله ساروا في هذا التيار، وقد رأينا نشطاء منهم خاصة في عملية تبادل الأسرى التي تمت عام 1985، وهناك من لم يثبتوا جدارة أمنية داخل المعتقلات او حقق معهم أمنيا او لفتهم الشبهات.

هذا ومن الواضح ان الفصائل لا تتعامل مع التيار الديني كجسم اعتقالي شرعي، الفصائل لا تعترف بهذا التيار وتعتبره تجمعا دينيا لا شرعيا، وهي بالتالي لا تقبله في اللجان التنسيقية المختلفة، وإذا كانت هناك علاقة، فان الضرورات الاعتقالية تملي ذلك كمسألة خوض إضراب من أجل تحقيق مطالب محددة، هذا ويتهم التيار من قبل الفصائل على انه غير متعاون ولا يرغب دائما في المشاركة في عمليات المواجهة التي يخوضها المعتقلون ضد إدارة المعتقلات، ويقول بعض المعتقلين ان المتدينين لا يكملون المشوار في المواجهات.

لكن أعضاء التيار الديني يردون هذه الاتهامات ويقولون انهم لا يتأخرون في المواجهات ويستمرون في مواقفهم الصلبة حتى النهاية، ويبررون صلابة موقفهم على أسس الإيمان بالله والقضاء والقدر.

هناك اتهامات واتهامات متبادلة، لكن هذه لم يغير من حقيقة الأمر شيء وهي ان التيار الديني امتد مع الزمن وازداد عدد أعضائه لكنه ما زال قاصرا في نشر نفسه على مختلف المعتقلات بشكل مؤثر بسبب ضعف حماس المعتقلين للانتماء اليه، أي ان تزايد أعداد المنتمين اليه يسير بشكل بطيء، لكن هذا التيار أصبح يمتلك قدرة تنظيمية افضل مما كان عليه سابقا، وأصبحت لديه نشاطات ثقافية منتظمة من ضمنها إصدار مجلة تدعى الجهاد.

نشوء وتطور الجهاز الإداري للفصائل

تعتبر الأجهزة التنظيمية داخل المعتقل امتدادا للتنظيمات الفلسطينية خارج المعتقل وقد شعر المعتقلون بضرورة تأطير أنفسهم داخل المعتقل لكي يستطيعوا مواجهة الواقع الجديد والتكيف معه ولمواصلة المهام النضالية والمرتبطة بظروف هذا الواقع، وهكذا بدأ كل فصيل بالعمل المضني لتهيئة الأجواء المناسبة لنمو الأطر التنظيمية والارتقاء بها نحو الأفضل، وهكذا بدأ كل فصيل بالعمل المضني لتهيئة الأجواء المناسبة لنمو الأطر التنظيمية والارتقاء بها نحو الأفضل، وانطلاقا من هذا الواقع قام أعضاء كل فصيل بإنشاء هيكل إداري داخل المعتقل يعبر بصورة مصغرة عن الهيكل الإداري السائد في الخارج، فقد كان المهم في البداية تشكيل أجهزة إدارية بهدف وجود إطار تنظيمي يجمع أبناء الفصيل الواحد ويستوعب المعتقلين الجدد المنتمين له، حيث ان من شأن هذا الإطار ان يحافظ على الأعضاء ويعمل على تعميق انتمائهم وزيادة وعيهم حول مختلف الأمور السياسية والوطنية، بالإضافة الى ان الأطر الإدارية كانت تهدف الى وضع حد للتسيب والفوضى التي من الممكن ان تسود في ظل غياب الأطر التنظيمية. ومن ناحية أخرى فان وجود الأطر التنظيمية ضروري لمواجهة مخططات الإدارة الرامية لافراغ المعتقلين من محتواهم الوطني ووضعهم في ظروف معيشية قاسية لا تليق ببني البشر.

نتناول هنا بإيجاز تشكيلات إدارية في المعتقل مع بيان كيفية تشكيلها والمهام المنوطة بها والوظائف التي تقوم بها.

التشكيلات الإدارية لحركة فتح

تتألف التشكيلات الإدارية لحركة فتح من:

أولا: المؤتمر العام: وضم كل الأعضاء الملتزمين بهذا الفصيل، ولا يجوز حرمان أي عضو من الانضمام اليه الا في الحالات الخطيرة مثل الخيانة والارتباط بسلطات الاحتلال، ويتمتع كل عضو بالحقوق التي يوفرها التنظيم لأعضائه وبالمقابل يلتزم بالأوامر والقوانين التنظيمية ويقوم بالواجبات التي يكلفه بها التنظيم، وعادة يتم تقسيم المتواجدين فيها، ويتراوح عدد أعضاء الخلية من 5–11 عضوا، ويحق لكل عضو تقديم الاقتراحات او رفع الانتقادات الى الهيئات العليا ضمن التسلسل الإداري.

ثانيا: المؤتمر الحركي المصغر: لا يوجد له عدد محدد، حيث يختلف هذا العدد من ظرف لآخر ومن معتقل لآخر، ويتم انتخابه من المؤتمر العام مرة كل سنة او حسب الظروف والأوضاع، ويقوم هذا المؤتمر بانتخاب المجلس الثوري.

ثالثا: المجلس الثوري: ويتم انتخابه كما أسلفنا من قبل أعضاء المؤتمر الحركي المصغر ويتراوح عدد أعضائه من 25–53 عضوا، ويختلف العدد حسب عدد أعضاء الفصيل في المعتقل وحسب الظروف والأحوال، وهو بمثابة السلطة التشريعية ومدة عمله سنة، فهو يشرف على اللجنة المركزية التي يقوم بانتخابها ويحاسبها على أي تقصير يصدر منها، وكذلك يقر البرامج والمشاريع التي تقدمها اللجنة المركزية، ويشارك أعضاؤه في اللجان والأجهزة التنظيمية الأخرى ويشاركون بشكل فعال في القرارات الهامة كالإضراب والتحقيق مع العملاء والعقوبات التي تفرض عليهم.

رابعا: اللجنة المركزية: في السنوات الأولى كان يتم تعيين المسؤولين في اللجنة المركزية بشكل غير ديمقراطي وذلكم بسبب عدم استقرار الأمور في المعتقلات ولعدم ثبات ومتانة الأطر التنظيمية ولضعف الخبرة في هذا المجال، فقد كان يتم تعيين أعضاء اللجنة المركزية من خلال الاتفاق بين العناصر البارزة والنشيطة في التنظيم، ويبقى هؤلاء في مراكزهم الى ان يتم نقلهم الى معتقل آخر او الى ظهور أصوات كثيرة ترغب بإقالتهم واستبدالهم بعناصر أخرى أكثر قبولا لدى أعضاء التنظيم، وفي المراحل اللاحقة، بعد استقرار وثبات الأطر التنظيمية خاصة في المعتقلات التي تأوي المعتقلين ذوي الأحكام العالية فقد تم الاتفاق على صيغة محددة يتم بموجبها انتخاب أعضاء اللجنة المركزية او أي لجنة أخرى في التنظيم، ففي السنوات الأخيرة أصبح اختيار أعضاء اللجنة المركزية من صلاحية أعضاء المجلس الثوري الذين ينتخبهم المؤتمر الحركي المصغر، ويتراوح عدد أعضائها من 5–9 أعضاء، واللجنة المركزية تعتبر بمثابة لجنة تنفيذية يقع على عاتقها الإشراف على إدارة شؤون التنظيم وتنفيذ البرامج اللازمة.

خامسا: الموجه العام: وينتخبه أعضاء اللجنة المركزية من بينهم، ويعتبر الشخص المحرك والموجه المباشر للتنظيم حيث يقع على عاتقه مهمة لاتصال بالتشكيلات الإدارية المنتشرة في الغرف والأقسام، ويصدر القرارات اليومية ويسعى لمعالجة المستجدات والمشاكل التي تحدث داخل

إطار التنظيم، وبالطبع فانه يقوم بمهامه بالتعاون مع أعضاء اللجنة المركزية حيث يطلعهم باستمرار على مجريات الأمور ويشركهم في اتخاذ القرارات، وفي معظم الأحوال يكون الموجه العام مكشوفا لدى أعضاء التنظيم مما يزيد من أهمية الموقع الذي يشغله، فالتذمر الذي قد يسود بين أعضاء التنظيم يوجه نحو الموجه العام، كما انه يكون عرضة لإجراءات إدارة المعتقل اكثر من غيره، فهي تلجأ في كثير من الأحيان الى نقله الى معتقل آخر بهدف إحداث فراغ إداري ولبث الفوضى والتخبط الإداري في صفوف التنظيم، وفي أحيان كثيرة وبسبب صعوبة الاتصال بين غرف المعتقل وأقسامه قد يجد الموجه العام نفسه أمام مشكلة او حالة طارئة تتطلب منه اتخاذ قرار سريع دون الاتصال مع أعضاء الجنة المركزية، لذا فعليه ان يكون متميزا بالقدرة على حسم الأمور وعدم التردد واتخاذ القرار المناسب والسريع.

ويعتبر الموجه العام واللجنة المركزية السلطة العليا في التنظيم داخل المعتقل والتي تشرف على كافة النشاطات بمختلف جوانبها سواء كانت إدارية او ثقافية او أمنية، تتصل اللجان الإدارية في الغرف والأقسام مباشرة بالموجه العام وتتلقى التوجيهات منه، وتشمل هذه التشكيلات الإدارية مايلي:

موجه الغرفة: لكل غرفة يتواجد فيها أعضاء حركة فتح موجه غرفة يعينه الموجه العام بالتشاور مع أعضاء اللجنة المركزية، وصلاحياته محصورة في نطاق غرفته، فهو الذي يشرف على حل المشاكل التي تقع بين أعضاء التنظيم في غرفته، ويشرف على تطبيق التعليمات والتوجيهات التي تصله من الموجه العام، ويرسل تقارير دورية الى الهيآت الإدارية العليا حول أوضاع الغرفة والنشاطات التي يتم تنفيذها والعلاقات السائدة بين أعضاء التنظيم ومع أعضاء الفصائل الأخرى في الغرفة، ويقوم بمهمة خلق الانسجام وتقوية الروح الجماعية ومراقبة العناصر الشاذة او التي قد تقوم بأعمال تهدد الاستقرار وتضعف الالتزام بالتنظيم، ويتعاون مع الموجه الثقافي في الغرفة في تنفيذ البرامج الثقافية وضمان عقد الجلسات الثقافية والندوات والمحافظة على الهدوء أثناء الدراسة، وفي حالة وقوع خلاف او مشكلة بين أعضاء التنظيم فان على موجه الغرفة المبادرة وبسرعة لحصر هذه المشكلة ومعالجتها وابلاغ الموجه العام بها، وله صلاحية فرض عقوبات بسيطة على الأعضاء الذين يتجاوزون حدودهم او يرتكبون تصرفات غير سليمة أو مسيئة للآخرين، يراعى في اختيار موجه الغرفة ان يكون مقبولا من أعضاء التنظيم في الغرفة، لان الأمور لا يمكن ان تسير على الوجه الأمثل بدون تجارب وتعاون الأعضاء معه، فإذا ثبتت عدم قدرته على خلق الانسجام والتعاون فانه يجد نفسه غير قادر على إدارة شؤون الغرفة مما يدفعه الى تقديم الاستقالة، او يدفع الموجه العام نفسه الى إقالته او استبداله بعضو اكثر قدرة وقبولا لدى الأعضاء.

وبالطبع ان موجه الغرفة يتصل مع مسئولي الفصائل الأخرى في الغرفة ومع شاويش الغرفة من اجل إيجاد جو هادئ وودي داخل الغرفة ولضمان تنفيذ البرامج المشتركة.

موجه القسم: موجه القسم هو الشخص المسؤول عن إدارة الغرف التي يشملها هذا القسم وتسعده في عمله لجنة خاصة، انه حلقة الوصل بين الموجه العام وموجهي الغرف، ويتصل باستمرار بموجهي الغرف للتعرف على أحوالها والمستجدات فيها، ويتدخل في حالة وقوع مشكلة بالتعاون مع موجه تلك الغرفة لمعالجتها ولاعادة الأمور الى نصابها، وقد تشكل لجنة القسم من موجه القسم وموجهي الغرف، وللجنة صلاحيات فرض عقوبات اشد من تلك التي تخولها اللائحة الداخلية لموجه الغرفة، فعند حدوث مشكلة موجه الغرفة حلها فان استعصى الأمر عليه فانه يرفعها لموجه القسم الذي يحاول هو ولجنة القسم معالجتها، اما إذا كانت المشكلة من الخطورة او الصعوبة بحيث لا تستطيع اللجنة حلها فإنها ترفع الى الموجه العام واللجنة المركزية.

يتلقى موجه القسم التعليمات من الموجه العام وينقل هو بدوره تقريرا مفصلا ودوريا الى الموجه العام حول أوضاع القسم، ولا يتدخل موجه القسم مباشرة في شئون الغرف لان ذلك يعتبر تعديا على صلاحية موجهي الغرف، لذا فانه يتدخل بناء على طلب من موجهي الغرف وبمعرفتهم وبالتعاون معهم، وفي حالات الطوارئ وبسبب صعوبة الاتصال مع الموجه العام فان موجه القسم يكون له صلاحيات أوسع لادارة شئون القسم.

نود الإشارة الى نقطة هامة وهي ان هذه التشكيلات المشار إليها لم تنشأ منذ البداية على هذه الصورة، ولم يكن اختيارها يتم بصورة ديمقراطية في البداية، ولكن تطور الأمور وزيادة الوعي والتجربة أديا الى الارتقاء بالجهاز الإداري سواء من حيث طريقة الاختيار او تحديد الصلاحيات لكل مركز إداري.

بالإضافة الى إشراف اللجنة المركزية على هذه التشكيلات الإدارية، فإنها أيضا مسؤولة عن الجهازين الثقافي والأمني، يتولى أحد أعضاء اللجنة المركزية رئاسة اللجنة الأمنية المشرفة على الجهاز الأمني والذي يقوم بمهمة متابعة تحركات المشبوهين ورصدها وجمع المعلومات عنهم من أجل كشفهم والتحقيق معهم، هذا ولا يتم التحقيق مع أي شخص مشبوه بدون موافقة اللجنة المركزية والمجلس الثوري، كما ان فرض العقوبة بحقهم يحتاج الى هذه الموافقة أيضا.

اما في مجال الجهاز الثقافي فان اللجنة المركزية تشرف على هذا الجهاز خلال ترأس أحد أعضائها له، والذي يشرف على كل النشاطات والبرامج الثقافية الخاصة بالتنظيم. باختصار نستطيع القول بان اللجنة المركزية هي السلطة التنفيذية العليا التي تدير شؤون التنظيم وتشرف على كافة نشاطاته.

الهيكل الإداري للجبهة الديمقراطية

يتشكل الهيكل الإداري الاعتقالي للجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين من:

أولا: الخلايا القاعدية:

تتكون الخلايا العقائدية من ثلاثة الى خمسة أعضاء، وتتشكل بمبادرة من أعضاء الجبهة الموجودين في كل غرفة او مكان اعتقال، تمارس هذه الخلايا مختلف النشاطات الاعتقالية المحلية، أي النشاطات التي يمكن ممارستها داخل الغرفة كالنشاطات الثقافية والمناقشات السياسية، تنتخب كل خلية من بين أعضائها مسئولا حزبيا لادارة شؤونها وتنشيط عملها وتمثيلها.

ثانيا: المؤتمر العام

يعقد المؤتمر العام كل ستة اشهر او كل سنة وذلك تبعا لتقييم الأوضاع العامة القائمة في المعتقلات، يحضر المؤتمر مندوبون يمثلون أعضاء المنظمة وينبثقون عن الخلايا، يستمع المؤتمر الى التقارير المقدمة للهيئة العليا والمتعلقة بالنشاطات المختلفة التي يتم إنجازها وبالأوضاع الحركية، ومن صلاحيات المؤتمر العام ان ينتخب هيئة عليا جديدة ولجنة رقابة حزبية، وان يضع الخطة العامة التي يجب ان تسير عليها المنطقة في المرحلة القادمة.

ثالثا: هيئة الرابة الحزبية

تنتخب هذه الهيئة من قبل المؤتمر العام ومهمتها مراقبة أعمال الهيئة العليا، من حقها ان تحضر اجتماعات الهيئة العليا وتقدم توجيهاتها وتوجه الانتقادات وتقييم الأعمال، تعمل هذه الهيئة باستقلالية ودون ضغوط.

رابعا: الهيئة العليا

تنتخب هذه الهيئة التي يتراوح عدد أعضائها من 3–5 من قبل المؤتمر العام، وهي أعلى هيئة تنفيذية للمنظمة داخل المعتقلات، ينتخب من بين أعضائها أمين عام ومسئول للعلاقات الداخلية ومنسق للعلاقات الوطنية، تقوم الهيئة بعملها المركزي في إدارة شئون المنظمة الحزبية وتضع خطة من أجل رفع مستوى الوعي السياسي والعقائدي والوطني لدى كافة الأعضاء، وتشرف الهيئة على الوضع الأمني للمنظمة.

هذا فضلا عن اللجان الثقافية والاجتماعية والأمنية والتي سبقت الإشارة إليها في بحر الفصل.

الهيكل الإداري للجبهة الشعبية

يتكون الهيكل الإداري للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين من:

أولا: الحلقة

ينتظم في الحلقة الأعضاء الجدد غير الحاصلين على العضوية ويستمر العضو في الحلقة مدة4-6 شهور وتشكل فترة تدريب ودراسة،يدرس العضو الجديد خلالها الأنظمة الداخلية للجبهة ويطلع على أدبياتها السياسية والتنظيمية.

ثانيا: الخلية

تتكون الخلية من5-7 أعضاء وتقوم بنشاطات ثقافية وسياسية تربوية وذلك حسب توجيهات القيادة.

ثالثا: الرابطة

تتكون الرابطة من 2-5 خلايا، تتشكل للرابطة قيادة، وغالبا ما تكون على مستوى القسم، تقوم قيادتها بانتخاب قائد لها، وتعتبر مسئولة عن توجيه الخلايا ومراقبة نشاطاتها.

رابعا: المؤتمر

يتكون المؤتمر من مندوبين عن الروابط المختلفة ويتراوح عددهم من 7-13، تقوم كل رابطة بانتخاب مندوبيها الى هذا المؤتمر الذي يجدد سنويا، ويعقد جلسات عادية كل ستة اشهر، يبحث المؤتمر أمور الجبهة الحزبية وعلاقاتها الخارجية واوضاع المعتقل ويقر السياسات العامة في مختلف المجالات.

خامسا: القيادة الحزبية

يتم انتخاب القيادة الحزبية من قبل المؤتمر، وتكون مسئولة عن تنفيذ قراراته وتوصياته، وهي تتلقى التقارير الدورية من قيادات الروابط التي بدورها تتلقى التعليمات من القيادة.

سادسا: لجنة المراقبة الحزبية

تنتخب لجنة المراقبة الحزبية من قبل المؤتمر ومهمتها مراقبة القيادة الحزبية وخطواتها في تنفيذ قرارات المؤتمر، ومن صلاحياتها أيضا فض الخلافات وحل المشاكل التي قد يستعصي على القيادة الحزبية حلها.

تعين هذه الاجهزة واللجان لجان أخرى تعنى بالشؤون الاجتماعية والثقافية والمالية والامنية والعلاقات الخارجية.

الفصائل في معتقل النساء

تدخل في الحديث عن هذا الموضوع خصوصيات معتقل النساء الذي لم يتم تنظيم وضع الفصائل فيه بشكل صحيح وواضح كبقية المعتقلات، خاصة في مراحل الاعتقال الأولى، فالحقيقة انه لم تكن هناك فصائل فلسطينية على ساحة المعتقل تحكمها علاقات واضحة وواعية، بل كان هناك هيكل تنظيمي او لجان قيادية قادرة على توجيه المعتقلات وقيادتهن وتأطير نضالاتهن، ولذلك كانت تغلب على وضعهن في بداية الاحتلال سمات التخبط وعدم الانضباط، بقي هذا الوضع الفوضوي سائدا فترة طويلة رغم وجود المناضلات اللواتي حكمن سنوات طويلة وصل بعضها مدى الحياة، الا انه لم يكن بينهن من تملك القدرة على الامساك بزمام الأمور والتحكم بها.

بدأ هذا الوضع بالتغيير في اواسط عام 1979 بقدوم معتقلات جدد على قدر لا بأس به من الوعي التنظيمي، عملت هؤلاء على قلب واقع المعتقل ودفعه بقوة الى الأمام بوضع حجر الأساس لوضع تنظيمي واعتقالي سليم، فقام ولاول مرة إطار منظم يضم في صفوفه المعتقلات ذوات الفكر الماركسي او اللواتي ينتمين اصلا لفصائل تؤمن بالفكر الماركسي، وكن يطلقن على أنفسهن اسم الإطار الماركسي، اما الإطار الآخر فقد ضم معتقلات ينتمين لحركة التحرير الوطني الفلسطيني، فتح، ومع ذلك لا يمكن القول ان الوضع في تلك الفترة وصل الى المستوى المطلوب. الا انه شهد خطوة إيجابية نحو تأطير الوضع الفصائلي في المعتقل، وكانت العلاقة بين الإطار الفتحاوي وبين الإطار الماركسي تتسم بالتذبذب والمد والجزر حسب الأوضاع، فكان من الممكن ان تتأزم العلاقات مع كل مشكلة تنشب، وخاصة انه لم يتم في بداية الأمر وضع ضوابط محددة تؤثر على العلاقات المتبادلة، ورغم ذلك فقد كان هناك تنسيق بين الإطارين حول العديد من المواقف العامة أمام إدارة المعتقل.

في أوائل الثمانينات وبعد الإضراب الطويل عن العمل بسبب قضية المطبخ، تم وضع أسس جديدة لترتيب العلاقة بين الإطارين، وبدأت هناك مطالبة قوية من قبل إطار فتح ببحث مكونات الإطار الماركسي ووجوب التعامل مع كافة القوى كفصائل مستقلة وليس كمجتمعات خاصة وان عضوات الإطار الماركسي كن يطلقن على تجمعهن هذا الاسم دون الإعلان عن الانتماء الى أي فصيل فلسطيني، وبعد نقاشات عديدة اقتنعت ممثلات الإطار الماركسي بالفكرة واعلن عن وجود فصائل ذات كر ماركسي ضمن هذا الإطار.

هذا ويعاني مجتمع الاعتقال في معتقل النساء الى حد كبير من ذات المشاكل التي تواجه او واجهت الأطر التنظيمية في بقية المعتقلات، انه يعاني ويواجه دائما من مشاكل داخلية أيضا، تحدث مشاكل في بعض الأحيان حول التنسيق بشأن مواقف نضالية عامة بسبب

التباين في وجهات النظر بين الإطارين وتعنت احدهما وإصراره على موقفه، لكن هذه المشاكل كانت تجد في النهاية حلا وذلك كنتيجة لإدراك المعتقلات ان موقفهن في مواجهة الإدارة لن ينجح دون تنسيق مستمر واتفاق مسبق.

تنشب بعض المشاكل أحيانا كانعكاس لاوضاع سياسية مستجدة على الساحة الفلسطينية، فكان من شأن الخلافات الفصائلية في الخارج ان تنتقل الى المعتقل وتؤثر سلبا على وحدة المعتقلات، وقد ظهر هذا الأمر بصورة جلية في في الآونة الأخيرة على اثر الخلافات الحادة التي نشبت على الساحة الفلسطينية، ولكن يبقى المعتقل، ورغم الخلافات، أرضية تجمع المعتقلات في معاناة مشتركة ومواجهة مع إدارة تسلطية تحاول استنفاذهن جميعا إنسانيا وعلى الصعيدين الذهني والوجداني.

اما بالنسبة للمعتقلات حديثا، فلا يبدو انهن يشكلن موضوع خلاف بين الإطارين وذلك على عكس ما كان يجري في المعتقلات الأخرى، ويبدو ان قلة العدد وعدم تعقيد الأطر التنظيمية ي معتقل النساء انعكسا على طريقة التعامل فبدت اقل حدة واكثر تفهما، تعطى الفرصة للمعتقلة الجديدة غير المؤطرة مسبقا لان تطلع على أفكار وطروحات كل طرف، وتعطى الفرصة لتختار في النهاية نفسها الإطار الذي ترغب في الانضواء تحته، هذا يتم دون مشاحنات او صراعات او تهديدات.

ظاهرة العملاء

صراعنا مع الكيان الصهيوني مرير وطويل، المسيرة شاقة والدرب وعر،يسعى الاحتلال لطمس الوجود الفلسطيني من كافة جوانبه، ويصارع شعبنا الفلسطيني من أجل المحافظة على هويته ووطنه، يأخذ الصراع أشكالا عديدة، ويستخدم الاحتلال كل الوسائل الممكنة لإفراغ الإنسان الفلسطيني من محتواه الوطني عبر سياسة متعمدة ترمي في النهاية آلي تحطيم وجودنا المادي على الأرض الفلسطينية، وفي سبيل ذلك يلجأ الاحتلال مثلا آلي الاعتقال والتعذيب والإبعاد، والى انتهاج سياسات من شأنها ان تجردنا معنويا مما قد يدفعنا إلى التغاضي عن الواقع وتجاهل القضية الوطنية.

يسعى الاحتلال عادة آلي تجنيد العملاء لخدمته وتنفيذ المهام التي يوكلها إليهم في محاربة أبناء وطنهم وشعبهم، والخيانة أو العمالة تعني ببساطة تحويل الإنسان الفلسطيني من الصف الوطني آلي صف العدو واستخدامه لضرب أبناء شعبه ووطنه، وتضغط سلطات الاحتلال بكل ما لديها من قوة للإيقاع بأكبر عدد ممكن من المواطنين الفلسطينيين في مصادرة رزقهم لوضعهم في حالة اقتصادية سيئة ومن ثم تصور لهم ان الخلاص وبحبوحة العيش يتأتيان فقط من خلال خدمة المحتلين، وتصور وسائل الإعلام ان الجيش الإسرائيلي لا يمكن قهره، وبالتالي فليس هناك جدوى للنضال والكفاح ضده، فإذا كانت الجيوش العربية غير قادرة على الصمود أمام الجيش الإسرائيلي فما جدوى العمل من خلال الثورة ؟ وتصور ان النتيجة محسومة ومعروفة سلفا لصالح الاحتلال.

المنطق الاحتلالي يدعو الانسان لان يتصور ان الثورة ماهي الا ظاهرة عابرة سرعان ما تزول وتندثر، ولا يبقى بالتالي معنى للثورة، تمارس سلطات الاحتلال شتى صنوف القهر والبطش والتخويف ضد المواطن الفلسطيني من أجل ايقاع الرهبة في نفسه، وردعه عن ممارسة عمل نضالي، وذلك عبر اتخاذ اجراءات قمعية جماعية ضد أي قرية او مدينة او مخيم ينطلق منها عمل مناوئ للاحتلال، وعبر تكثيف حواجز التفتيش على الطرق، وما يصاحبها من انتظار ممل وتفتيش مزعج وسماعا كلمات نابية او صفعات مهينة توجه لاي شخص بسبب وبدون سبب، وتجوب الدوريات من مختلف الانواع الشوارع بشكل استفزازي، فضلا عن تصرفات المستوطنين الوحشية واعتداءاتهم ضد القرى والمدن المجاورة.

ان مجمل الممارسات الصهيونية التي تمس الجوانب الثقافية والسياسية والنفسية والعسكرية تهدف الى تفريغ الارض من سكانها الفلسطينيين، واحتواء الباقي منهم وتطويعهم

ودفع العديد منهم نحو التساقط في مستنقع الخيانة، والى وضع حاجز نفسي بين المواطنين الفلسطينيين وبين الثورة بقصد عزلها ومن ثم اجهاضها وانهاء وجودها، ليسهل بالتالي طمس القضية الفلسطينية، وزرع الارض الفلسطينية بالمستوطنات اليهودية على انقاض المراكز السكانية العربية.

ويستعين الاحتلال بالعملاء من أجل تحقيق اهدافه، ومجمل الممارسات الاسرائيلية السابقة قد تؤدي الى سقوط ذوي النفوس المريضة، واصحاب الوعي المتدني، ولا شك ان سلطات الاحتلال قد استفادت كثيرا من ملفات الانظمة العربية المهزومة، وملفات الاحزاب العربية التي كانت قائمة عشية هزيمة عام 1967، فمن خلال هذه الملفات استطاعت السلطات الاسرائيلية تحديد الاشخاص الوطنيين او الذين كانت الحكومات العربية السابقة تطاردهم، واستطاعت ايضا التعرف على الاشخاص المتعاونين مع اجهزة الامن التابعة للحكومات القمعية المطرودة، والذين كان لديهم الاستعداد للتعاون مع كل سلطة قائمة انطلاقا من حب الذات والمال والسلطان، ومن ناحية أخرى، اثمرت ممارسات سلطات الاحتلال في اسقاط العديد وتوريطهم.

ومما هو جدير بالذكر ان ظاهرة العملاء ليست فريدة لدى الشعب الفلسطيني، بل هي ظاهرة عادية وموجودة لدى كل الشعوب التي كانت خاضعة للاحتلال الاجنبي، فمثلا تمت تصفية عشرات الآلاف من العملاء في الجزائر من قبل الثورة، بينما فرّ عشرات الآلاف الى فرنسا مع جنود الاحتلال عشية الاعلان عن استقلال الجزائر، وسنتناول في الاجزاء القادمة ظاهرة العملاء بالدرس والتمحيص، والقاء الضوء عليها، مستعرضين ظروف التساقط واساليب الاحتلال لاسقاط الضحايا وتوريطهم سواء كان ذلك داخل المعتقلات او خارجها، وايضا سنتناول الادوار والمهام التي يقوم بها العملاء لخدمة سلطات الاحتلال.

اساليب الاحتلال في تجنيد العملاء

يسلك الاحتلال أساليب عديدة للايقاع بالاشخاص وتوريطهم وتجنيد العملاء، مستغلا كل ما لديه من امكانيات وقدرات، ومستفيدا من الظروف التي يعيشها شعبنا، وسنذكر هنا بعض الاساليب والعوامل التي تستخدمها سلطات الاحتلال الهادفة لاسقاط الضحايا وتجنيد العملاء:

اولا: ايقاع الضحية في منزلقات اخلاقية: من خلال الملاحقة وجمع المعلومات عن الكثير من الأشخاص، يستطيع جهاز الامن معرفة الأشخاص الذين تغريهم المسائل الجنسية مثلا، وباستخدام المرأة كعنصر اغراء يستطيع جهاز الامن الايقاع بالبعض من خلال

توريطهم في قضايا لا أخلاقية، واتخاذها مماسك عليهم، والضغط من خلالها لاجبارهم على الارتباط بأجهزة الامن، وهذا الأسلوب شائع الاستعمال لدى معظم أجهزة المخابرات العالمية، فمثلا قد يتم التقاط صور للضحية وهو في وضع جنسي، ومن ثم يقوم ضابط المخابرات باستدعائه وعرض الصور عليه وتهديده بالفضيحة ان لم يرتبط معه، والمعروف ان المخابرات الاسرائيلية تجند عددا من الفتيات الساقطات أخلاقيا وتستخدمهن كأدوات للإيقاع بالرجال خاصة الشباب الذين قد ينحرفون وراء أية فتاة لقضاء سهرة ليلية آو رحلة قصيرة، ومن خلال هذه الفتاة الساقطة يتم ربط الضحية بأجهزة المخابرات.

ثانيا: الاستدعاء آلي مقر الحكم العسكري**:** يلجأ ضابط المخابرات المسئول عن المنطقة آلي استدعاء الكثيرين واسطة البريد آو المختار اوالشرطة، والطلب منهم الحضور آلي مقر الحكم العسكري لامر ما، وقد يحدد تاريخا محددا للمثول أمامه، ولا شك ان الكثيرين يرعبهم ويزعجهم مثل هذا الطلب، خصوصا ذوي الوعي البسيط والذين لم يسبق لهم التعرض لمثل هذه المواقف، يبيت الشخص المطلوب ليلته مهموما مفكرا فيما عسى سيحدث معه غدا، ويراجع ذاكرته محاولا معرفة سب هذا الاستدعاء، كما ويشاركه في الهم والتفكير افراد سرته الذين ربما تسيطر عليهم المخاوف على مصير ابنهم، وعما سيحدث معه.

وفي اليوم المحدد يحضر المستدعي آلي مقر الحكم العسكري، وقد يبقى بدون سؤال أو اتهام طيلة ذلك اليوم، وفي آخر النهار يظهر عليه الضابط المسئول ليقول له "اذهب الآن وعد غدا آلي هنا"، ويتكرر مثل هذا التصرف لإضفاء جو من الضغط النفسي عليه، وفي النهاية يطلبه الضابط المسئول ويتحدث معه عن أمور بسيطة لاستشفاف مدى تأثر هذا الشخص النفسي ووعيه الفكري، فإذا كان الشخص يبدو على تصرفاته الخوف الظاهر والرهبة من ضابط المخابرات، فان الضابط يستغل حالة الضعف بالتهديد والوعيد تارة، والترغيب تارة أخرى بقصد السيطرة الكاملة عليه، وهنا يعرض عليه مشروع التعامل معه مبتدئا بالطلبات البسيطة ومتدرجا حتى يصل آلي تنفيذ المهام الخطيرة التي توقع الأذى والضرر الجسيم بابناء شعبنا ووطننا.

قد يجد رجل المخابرات أمامه شخصا واثقا بنفسه، يتكلم بهدوء واتزان، لذا يجد ضابط ان عملية الاستدعاء ومجرد التحقيق قد لا يجدي نفعا، فيعهد آلي أسلوب الترغيب والإغراء بالمال والوظيفة أو آلي التهديد بالطرد من الوظيفة وقطع مصدر الرزق، وكثيرا ما تخيب كل هذه الوسائل، فيعمد الضابط المسئول آلي طرد الشخص مهددا إياه

ومذكرا بضرورة عدم ممارسة أي نشاط معاد للسلطات، وموهما إياه ان كـل حركاتـه معروفة لدى جهاز المخابرات.

تهدف عملية لاستدعاء أيضا آلي تشويه سمعة بعـض الأشـخاص، فتكـرار الذهاب آلي مقر الحكم العسكري ورؤية الناس لهذا الشخص داخلا أو خارجا من هناك، قد يولد الشبهات ويثير الشكوك حوله، خصوصا إذا كانت المخابرات معنية بتشويه ذلك الشخص بالذات للضغط عليه واضعاف نفسيته ليسهل إسقاطه وتوريطه.

من الضروري الا يرتاب بأي شخص تطلبه الشرطة أو المخابرات، والا تلقى الأحكام جزافا بدون أدلة وإثباتات، ان تحطيم الثقة بين الناس يعتبر هدفا أساسـيا مـن أهداف الاحتلال، لما ينجم عنه من انعدام العمل الوطني الجماعي.

باختصار الاستدعاء أسلوب تستعمله المخابرات الإسرائيلية لتحقيق عدة أهداف:

أ. التعرف على الشخصيات التي تعتبرها مناوئة للاحتلال وذات نشاط وطني.
ب. إرهاق بعض الأشخاص والضغط عليهم لإيقاف نشاطهم الوطني.
ت. التشكيك بالبعض أمام الرأي العام، وايهام الناس ان ترددهم على مقر الحكم العسكري نتيجة لارتباطهم بهم.
ث. محاولة إسقاط من تستطيع إسقاطه وربطه مع أجهزة المخابرات.
ج. جمع المعلومات بخصوص بعض الأمور والأحداث والأشخاص في المنطقة.
ح. الاستدعاء قد يكون من أجل الاتصال بين العميل والضابط المسئول لإيصـال المعلومـات وتلقي التوجيهات.

ثالثا: استغلال الخلافات بين الأفراد والعائلات: من الاعتيادي ان تحدث مشاجرات بين بعض الأفراد لأسباب شتى، وقد تتطور لتشمل عائلتين أو أكثر، والسياسة الإسرائيلية المطبقة على المواطنين العرب في ظل الاحتلال، تهدف آلي تفجير الخلافات وإشعال نار الفتنة كلما استطاعت آلي ذلك سبيلا ، فاستمرار حالة العداء أو الشجار بين المواطنين العرب يبعدهم عن الاهتمام بالأوضاع العامة التي يعيشها الشعب الفلسطيني، فاهتمام المتشاجرين يكون منصبا على كيفية الإيقاع بالخصوم وحماية النفس من الاعتداءات، لهذا تصبح التناقضات الثانوية بين العائلات العربية المحور الأساسي لاهتمامهم، مما يبعدهم عن التناقض الرئيسي القائم مع الاحتلال وأعوانه، والخلافات تلهي الناس عن القضية المصيرية، وتثقل كاهلهم بهموم ومشاكل خاصة وتلهيهم عن القضايا العامة، من ناحية أخرى، تشكل الفتن والمشاجرات مرتعا خصبا للعملاء وأعوان الاحتلال الذين يسعون لتوسيعها، فالمخابرات توعز لهم بتوتير الأجواء وإثارة النعرات وافتعال المشاكل لكي يبقى الجو مشحونا وغير قابل للحل، بهذه الوسيلة يبرز العملاء حملة السلاح ليقوموا بدور

الحامي لعائلة ضد عائلة أخرى، وينضم بعض العملاء آلي هذه العائلة بينما ينضم البعض الآخر آلي العائلة الثانية مثيرين الأحقاد ومحرضين في سبيل تعميق الخلافات.

أما الشرطة فإنها لا تقوم بواجبها للفصل بين المتشاجرين، بل فقد لا تتدخل أحيانا الا في وقت متأخر حيث يكون النزاع قد وصل آلي مراحل خطيرة، وفي حالات عديدة تمنع الشرطة أهل الخير والإصلاح من التدخل بين المتشاجرين لوضع حد للشجار والنزاع.

وعندما تصل القضايا آلي المحاكم فان الوضع يكون بائسا بصورة كبيرة، فالمعتدي قد لا يجد الإدانة اللازمة بحجة عدم توفر الإثباتات، والحقيقة ان المحاكم تخضع أحيانا في عملها لتوجيهات خارجية، كما يتدخل في عملها بعض العملاء ذوي النفوذ، ومن المعروف ان المحسوبية والرشوة مستشرية في الجهاز القضائي في الأرض المحتلة، وقد فضح الاحتلال نفسه هذا الفساد من خلال اعتقاله لبعض القضاة في الآونة الأخيرة، ان الهدف تفشي الفساد في الجهاز القضائي هو إيصال الناس إلى قناعة مؤكدة بان المحاكم لن تجدي نفعا ولن تردع معتديا، فلا يجد الإنسان المعتدى عليه حلا أمامه الا رد الاعتداء عليه بالمثل، فتسير الأمور في حلقة مفرغة بدون الوصول آلي حلول مرضية بخصوص المشاجرات والخلافات.

ان شعور المواطن بأنه يجب عليه الاعتماد على نفسه فقط لحماية نفسه وتحصيل حقوقه ودفع اعتداء الآخرين عليه قد يدفعه لامتلاك أسباب القوة، وهنا تتدخل سلطات الاحتلال وأجهزة المخابرات وعملاؤها الذين يصورون ان الحماية اللازمة تتحقق من خلال الارتماء في أحضان المخابرات والسير في ركاب العمالة، لقد تجند العديد من العملاء في صفوف المخابرات من اجل الحصول على السلاح والدعم اللازمين لتقوية موقفهم في وجه خصومهم المحليين، ولا شك ان امتلاك السلاح قد يرهب البعض ويخيفه ويردعه عن الاعتداء على حامله،لا سيما وان الاعتداء على العميل ولو كان لأسباب جنائية قد تفسره الشرطة والمخابرات أحيانا تفسيرا سياسيا وتتدخل فيه بشكل سريع، وتعمل على اعتقال المعتدين وتقديمهم للمحاكمة، وأحيانا الضغط عليهم لتوريطهم وإيقاعهم في شباكها المنصوبة.

إذن تعتبر حالات الشجار والمنازعات بين المواطنين العرب مدخلا أساسيا من المداخل التي تلج منها مخابرات الاحتلال وأنابه، وللتدليل على الدور البارز للعملاء وأسيادهم في إذكاء نار الفتنة والبغضاء، نسوق الحادثة التالية:

وقع في إحدى القرى شجار بين شخصين على موضوع معين قام إحداهما بالاعتداء على الآخر الذي ينتمي آلي عائلة أخرى مما أدى آلي لاصابته بجروح، وكان من الممكن حل النزاع في حينه، واعادة الوئام بدلا من الخصام،وهنا تدخل العملاء بتوجيه من أجهزة المخابرات وقاموا بتأليب عائلة المصاب وتشجيعها، مبدين استعدادهم للتدخل لصالحها في حالة تجدد الشجار، وانقسم العملاء فريقين كل فريق منهما يؤيد أحد الطرفين المتخاصمين ويوسوس له

مزينا طريق الشر والفساد، ووصل الامر بأحد رموز روابط القرى ان يعرض السلاح على احد اطراف المشكلة لاستخدامه ضد خصومه، وفي هذا الجو المشحون بالعداء تجدد الشجار مرة أخرى، مما أسفر عن مقتل أتحد المتشاجرين، وفي المحاكم كان الوضع اكثر سوءا حيث لم تصدر المحاكم الأحكام الرادعة ضد المعتدين، فقد برأت المحكمة عددا من المعتدين ولم تصدر حكمها الا على شخص واحد ولمدة غير طويلة.

قد تدفع الأوضاع المتأزمة البعض آلي اللجوء للمخابرات الإسرائيلية لدعم جانبهم مهما كان الثمن حتى ولو كان ذلك السقوط في مستنقع الخيانة والعمالة.

رابعا: التضييق على الإنسان الفلسطيني في أمور حياته المعيشية:

تعيش المناطق المحتلة في وضع اقتصادي متدهور، حيث يسوء الاقتصاد المحلي آلي أسوأ، وتعتبر الزراعة المجال الرئيسي لعمل المواطنين ومصدر دخلهم، وتقوم سياسة الاحتلال على مصادرة الأراضي وتفريغها من سكانها العرب واحلال المستوطنين اليهود بدلا منهم، ولتحقيق ذلك فهي تقوم بمصادرة الأراضي، كما أنها تضع السكان العرب في ظروف اقتصادية وأمنية صعبة لتهيئة الجو أمام السماسرة لشراء الأراضي لمصلحة اليهود، وباستخدام الوسائل المختلفة سيطر الاحتلال على حوالي نصف الأراضي في المناطق المحتلة عام 1967.

ومن ناحية أخرى تضع سلطات الاحتلال العراقيل أمام تطوير الزراعة واستغلال موارد المياه، وهذا يعني تحول قطاع كبير من السكان العرب للعمل في مرافق العمل الإسرائيلية أو الهجرة آلي الخارج، وعندما يحدث الكساد في الاقتصاد الإسرائيلي فان أول المتضررين هم العمال العرب خصوصا من سكان المناطق المحتلة عام 1967، هؤلاء العمال يتم طردهم من أماكن عملهم دون تعويض مالي، يجد المواطن الفلسطيني نفسه بدون عمل ويحمل عبء إعالة أسرة كبيرة، وسوء الوضع الاقتصادي يؤثر على نفسيته ويجعله لقمة سائغة للمتصيدين، ان هذا الوضع الاقتصادي والنفسي الصعب يكون مرتعا خصبا أمام المخابرات الإسرائيلية وعملائها الذين يستغلون حاجة الإنسان الفلسطيني آلي لقمة العيش لسد رمقه من أجل توريطه وإسقاطه.

تستغل سلطات الاحتلال حاجة الشخص لتصريح خروج لاكمال دراسته الجامعية خارج البلاد أو العودة آلي وظيفته هناك حيث تقوم هذه السلطات بإعادته عن الجسر رافضة السماح له بالخروج، يصبح هذا الشخص في وضع حرج: فهو قد يخسر وظيفته في دول الخليج وبالتالي يخسر مورد رزقه ومستقبل أسرته، أو قد يخسر إكمال دراسته الجامعية، ما العمل؟ يقوم هذا الشخص بالاتصال مع العملاء ودفع الأموال الطائلة لهم مقابل حصوله على تصريح الخروج، وهنا قد يستدعيه ضابط المخابرات المسؤول عن المنطقة ويعرض عليه التصريح مقابل تنفيذ بعض المهام لصالح الاحتلال، يكون الشخص بين خيارين: أما الرضوخ أمام طلبات

السلطات،واما الرفض وبالتالي خسارة وظيفته أو دراسته، ولا شك ان البعض من ذوي الحس الوطني الضعيف يفضلون الخيار الأول، أي السقوط والتعاون مع سلطات الاحتلال.

ولا ننسى أيضا مجال الوظائف التابعة لسلطات الاحتلال فالحصول على وظيفة في هذه المرافق، كسلك التعليم مثلا لا يتم الا إذا توفرت شروط معينة، أي يجب ان يكون طالب الوظيفة بعيدا عن كل نشاط وطني على أقل تقدير، والا يمارس أي نشاط وطني أو نقابي أثناء وظيفته، والا فان الطرد سيكون من نصيبه، ولهذا نلاحظ ان المعلمين في المدارس الحكومية يعانون من ضعف في الممارسة الوطنية، وقلما يتعرضون في تدريسهم لأمور القضية الوطنية، كما انهم يعانون منعدم وجود تنظيم نقابي صلب، هذا فضلا عن ان الوظائف أصبحت مرتبطة بصورة متزايدة بالتعامل مع الاحتلال بصورة مباشرة أو عن طريق قريب عميل كأب أو عم أو خال.

باختصار السياسة العامة التي تطبقها سلطات الاحتلال بأجهزتها المختلفة تقوم على عرقلة سير الحياة الطبيعي في مرافق الحياة، والتدخل المباشر وغير المباشر في التوظيف، واستخدامها ورقة في يدها لربط الناس وإسقاطهم، أو على الأقل ردعهم عن القيام بأي عمل فيه مساس بسياسات الاحتلال حرصا على الحياة ومصدر الرزق، وقد قامت سلطات الاحتلال بفصل المدرسين النشيطين الذين كانوا وراء الإضراب الذي نفذه المعلمون مطالبين بتحسين ظروفهم المعيشية ورفع رواتبهم، وفي ظل ضعف النقابات المهنية والعمالية أو انعدامها أحيانا يعاني المعاقبون لامرين، فلا يوجد هناك من يدافع عنهم ولا من يحمل قضيتهم محل الجد، مما يجعل عقابهم وطردهم من أعمالهم درسا قاسيا لهم وعبرة للآخرين الذين قد يصلون آلي نتيجة مفادها ان أي عمل نضالي أو نقابي سيكون مصيره الفشل والعقاب الصارم.

ونلاحظ ان الدوائر الحكومية في المناطق المحتلة يسودها الروتين القاتل، والانتظار الطويل والمماطلة، فأينما ذهبت لاتمام معاملة ما فانك ترى الطوابير الطويلة والمعاملة الجافة المهينة.

أما العملاء فيسرحون ويمرحون في هذه الدوائر،فتراهم يدخلون متى يشاءون، حاملين معهم بعض المعاملات لانجازها بسرعة، مما يضفي عليهم بعض الأهمية، ويجعل الناس تقترب إليهم طمعا في وساطتهم ومساعدتهم في إتمام معاملاتهم، مقابل دفع المال أو الارتماء في أحضان الاحتلال.

وفي حالات كثيرة تستغل سلطات الاحتلال حاجة المرء لرخصة سوق مركبة أو رخصة بناء، لكي يدفع مقابل الحصول عليها المال أو أكثر من المال، الا وهو الارتماء في أحضان المخابرات الإسرائيلية وسلطات الاحتلال عموما تتدخل في كل المجالات التي تمس حياة المواطن العربي، بقصد إذلاله وتركيعه، أو إجباره على الهجرة آلي خارج ارض الوطن.

فالتصريح والرخصة الوظيفة وشمل العائلات وغيرها، كلها أدوات في أيدي سلطات الاحتلال وسيفا مسلطا على رقاب أبناء شعبنا، والحصول عليها لا بد ان يكون له ثمن، العملاء في غالبيتهم لا يتقاضون مرتبا ثابتة من أجهزة المخابرات، ولكنها تسهل لهم طريق الحصول عليها من خلال سلبها من الذين يحتاجون لاتمام معاملاتهم في الدوائر التابعة لسلطات الاحتلال، وقد يكون الثمن غير مالي، ويتمثل بالسكوت وعدم إبداء أي رأي وطني أو عدم القيام بأي نشاط وطني أو الارتباط بسلطات الاحتلال وخدمة أهدافها.

خامسا: ستغلال حالة الشخص أثناء التحقيق والاعتقال: التحقيقي هو امتداد للصراع بين الشعب الفلسطيني وسلطات الاختلال وجزء لا ينفصل عنه، انه صراع بين إرادة المناضل الذي يملك المعلومات الخاصة بنشاطه ونشاطات أفراد خليته، وبين المحقق الذي يملك إمكانيات التعذيب الوحشية، والهدف من التحقيق هو ابتزاز المعلومات من المناضل وتحطيم إرادة الصمود والنضال لديه، وبالمقابل يسعى المناضل للحفاظ على الأسرار والحفاظ على إرادته من الانهيار، والنتيجة النهائية تعتمد على مدى صمود المناضل وعلى أساليب التعذيب المستخدمة.

وقد مر عشرات الآلاف من أبناء شعبنا في هذه التجربة، وتعرضوا لابشع أنواع التعذيب والابتزاز، فالمخابرات الإسرائيلية لديها حصيلة تجارب الأنظمة الاستبدادية والعنصرية في العلم، بالإضافة آلي تجربتها الخاصة مع المناضلين الفلسطينيين.

يختلف المعتقلون في درجة وعيهم ومدى صلابتهم وعمق تجربتهم، كما يتفاوتون في معرفتهم بأساليب المحققين وألاعيبهم، ويمارس المحققون أساليب تعذيب مختلفة، كالتعذيب الجسدي الذي يتم فيه استخدام العصا والأيدي والأرجل والتعليق بالأيدي (الشبح) وغيرها، كما ويستخدم المحقق وسائل تعذيب نفسية للتأثير على الحالة النفسية للمعتقل وإيصاله آلي حالة من اليأس والانهيار مثل: التشكيك بجدوى العمل الوطني، والتشكيك بالقيادة ونزاهتها، والتشكيك بالثورة ككل، مصورا أنها ظاهرة عابرة سرعان ما تزول، ولا ينضوي تحت لوائها سوى المراهقون أو المضللون، ويوهمون المعتقل بان المعلومات تأتيهم من القيادة في الخارج، وأحيانا يحاول ضابط التحقيق نزع الثقة بين أفراد المجموعة للإيقاع بينهم وإيهام كل منهم على انفراد ان الآخرين قد اعترفوا، فلماذا الإصرار على الإنكار بخلاف الآخرين وتحمل العذاب، لاسيما وأنه مهما طال الوقت آو قصر، فلا بد من الاعتراف، فالأفضل كما يقول رجل المخابرات للمعتقل، ان توفر على نفسك آلام التعذيب وتستريح كما استراح الآخرون، ومن الأساليب المستخدمة أيضا وكما ورد معنا سابقا عدم معالجة الجريح مثلا إلا إذا اعترف بما لديه من أسرار، وأيضا هناك الضرب على وتر الشرف، حيث يحضرون أمامه إحدى قريباته في وضع حرج للضغط عليه والتأثير على نفسيته.

ان المناضل الصلب والواعي لا تؤثر في نفسيته أساليب التعذيب مهما كانت قسوتها، ولكن بعض قصار النفس آو ممن لا يتحملون التعذيب ينهارون نفسيا، ويصلون إلى حالة من التعاون مع المحققين، ولا يكتفي المحقق بوصول المعتقل لهذه المرحلـة، بـل انـه يسـعى لتكريس انهياره بتوريطه وإسقاطه بشكل نهائي، ومتى تم إسقاطه فان المحققين قد يستخدمون المعتقل المتعاون ضد أفراد مجموعته للضغط عليهم وإجبارهم على الاعتراف.

أثناء التحقيق، وعندما يصل المعتقل إلى درجة كافية من الضعف النفسـي، يحـاول ضابط المخابرات ان يعقد صفقة وهمية مع المعتقل، تدور الصفقة حول ارتباط المعتقـل مـع المخابرات الإسرائيلية آو مع إدارة المعتقل مقابل مساعدته في المحكمة، لكي تصـدر بحقـه حكما مخففا.

المهم هنا ان بعض المعتقلين، وبفعل الضغط والتأثير النفسي والتعذيب الجسـدي قـد يوافقون على الارتباط بأجهزة المخابرات، ويقومون في النهاية بتنفيذ أوامر سلطات الاحتلال، والقيام بمهام تجسسية وتنفيذية ضد أبناء شعبنا وقواه الوطنية داخل المعتقلات آو خارجها.

تعتبر فترة الاعتقال الأولى وما يواكبها من تحقيق قاس مرحلـة حاسـمة فـي حيـاة المناضل الفلسطيني الأسير فهو يجد نفسه محاطا بجو مـن الإرهـاب والعزلـة، والترغيـب والترهيب قد يؤدي أحيانا إلى حالة من الضعف النفسي الذي يؤدي إلى الاعتراف، هذا علمـا بان ثمن الاعتراف سيكون الحكم عليه سنوات طويلة في المعتقل فضلا عن إفشاء معلومات قد تضر آخرين في تنظيمه.

يستطيع المناضل الأصيل الخروج من مرحلة التحقيق بأقل الخسائر، محافظـا علـى أسراره وأسرار تنظيمه، محافظا على إرادته والتزامه بقضيته الوطنية، ويحاول المحققون عادة ان يعرضوا على المناضل التعاون معهم بهدف ضرب المناضل في الصميم، والى هـزه مـن الأعماق لتحطيم معنى نضاله وجره نحو التركيز على المصلحة الشخصية، ولا معنى للقبـول بهذا العرض سوى التساقط والخيانة، ان الموافقة على عروض ضابط التحقيق والتعاون تعني إفشاء المعلومات عن المناضل نفسه، وبالتالي توفير الأدلة والإثباتات اللازمـة لادانتـه أمـام المحكمة وإصدار الأحكام الشديدة بحقه، وبالطبع فان الوعود التي يطلقها ضابط التحقيق ما هي إلا سراب خادع، ولا يفكر بالالتزام بتنفيذها مطلقا.

والتعاون يعني الانهيار النفسي والامني، والانتقال من الصف الـوطني إلـى الصـف المعادي، ويعني أيضا تقديم المساعدة للمحققين لارباك باقي أعضاء المجموعـة ان وجـدوا، ويمتد التعاون بين المحقق والمتساقط إلى مراحل أخرى، حيث يشمل التجسس على المناضلين في الزنزانات وفي المعتقل، وبعد الإفراج عن المتساقط، أي بعد إنهاء مدة حكمـه غالبـا مـا يستمر هذا الارتباط.

ليس معنى ذلك ان المتورط لا يستطيع مطلقا إذا أراد ان يتخلص من انهياره، كثيرون من المعتقلين الذين حدث معهم الانهيار في التحقيق، وقبلوا عرض ضابط المخابرات معه،وبعد ان تمالكوا أعصابهم واستعادوا توازنهم النفسي ، آو بعد إدراكهم لابعاد تعاونهم، ومدى خطورة الطريق التي ساروا بها، عادوا إلى الطريق السليم، أي عادوا إلى الصف الوطني رغم تهديدات سلطات الاحتلال وأجهزة استخبارا ته بالتشهير به وملاحقته بكافة الوسائل والسبل، والضغط عليه نفسيا وماديا.

يحاول ضابط التحقيق دائما إغلاق طريق العودة أمام المناضل المنهار، ويسعون بكافة الحيل والألاعيب لإيصال المتورط معهم إلى درجة يشعر معها انه بحاجة ماسة لهم لحمايته من إخوانه المناضلين، المهم لدى ضابط التحقيق هو ابتزاز المعلومات من المناضل أولا، والعمل على إسقاطه وتوريطه وربطه مع أجهزة مخابراته، لكي يتحول من مناضل إلى خائن وعميل، وبهذه الطريقة استطاع ان يجر إليه عددا من الأشخاص الذين صدقوا وعوده آو فضلوا التخلص من التعذيب، آو فضلوا مصالحهم الشخصية على المصلحة الوطنية العامة، لكي يجدوا أنفسهم في النهاية في طريق لا يحقق حتى مصلحتهم الشخصية، لانه طريق وعر ومليء بالوحول والمستنقعات.

مهام العملاء

العملاء أدوات الاحتلال يستغلها لتنفيذ مآربه ضد الشعب الفلسطيني وحركته الوطنية، وذلك من أجل كسر صموده وإيصاله لحالة اليأس القاتل والاستسلام الكامل، وهم يمارسون أدوار ومهمات لا يستطيع الاحتلال ان يقوم بها بنفسه، والعملاء أيضا ضحايا لسياسة الاحتلال التعسفية من جهة، وسوطا في يده ضد أبناء شعبنا، وحتى لو لم يقدم لسلطات الاحتلال خدمات هامة، إلا انه يكفي انه لم يقم بدور إيجابي ولم يقف مع الصف الوطني، ونستطيع ان نوجز باختصار أم المهام التي قد يقوم بها العملاء لخدمة أسيادهم بمايلي:

أولا : الانخراط في المؤسسات الوطنية في الأرض المحتلة، الهدف من انخراط العملاء في المؤسسات الوطنية هو الوقوف على نشاطاتها، وتحديد القائمين عليها، والأعمال التي يقومون بها، وتشمل المؤسسات والتجمعات الوطنية والاتحادات الطلابية والاتحادات العمالية والمهنية والجمعيات الخيرية والمدارس ...

فالحركة الطلابية مثلا تعتبرها سلطات الاحتلال حركة مناوئه ومعادية، لهذا فهي تبذل جهودا كبيرة لضرب القوى الطلابية الوطنية بوسائل عديدة، وقد سعت سلطات الاحتلال لتطبيق الأمر العسكري 854 على الجامعات والمعاهد العليا بهدف التدخل في شئونها وتحديد نشاطاتها بما يتوافق وسياسة الاحتلال، هذا بالإضافة إلى وضع الحواجز على الطرق المؤدية إلى الجامعات والإغلاق المتكرر، وفرض الإقامة الجبرية على بعض الطلبة والمدرسين، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فهي توكل لعملائها الانغراس في الحركات الطلابية، ومراقبة تحركاتها، ومعرفة نشطائها والإبلاغ عن أية نشاطات يزمع الطلبة القيام بها، كما يقوم العملاء بمهمة تخريب العلاقات بين القوى الطلابية المختلفة، وافتعال المشاكل والمشاجرات بينهم، متقنعين بالتطرف الفكري هذا ما يؤدي إلى تحويل التناقضات الثانوية بين القوى الطلابية المختلفة إلى تناقض رئيسي يسمم الأجواء ويعقد الحياة في الجامعة، وينقل عنها سمعة سيئة أمام الرأي العام، كما يقوم العملاء ببث الإشاعات المغرضة والمسيئة لبعض الأشخاص لتشويههم، وبث الروح الانهزامية والأفكار الاستسلامية متذرعين بالحفاظ على مصلحة الجامعة وعدم جدوى أي عمل نضالي ووطني، وفي المدارس الحكومية استطاعت سلطات الاحتلال تضييق الخناق عليها من خلال تحكمها في عملية التوظيف، ومن خلال زرع بعض المعلمين أو الطلبة الذين يرقبون أي تحرك وطني والإبلاغ عنه.

وتعتبر سلطات الاحتلال ان الحركة النقابية العمالية منها والمهنية مناوئة للاحتلال، انطلاقا من مقتها لاي تجمع وطني مهما كانت صفته، لهذا فهي لا تتورع عن ضرب هذه الأطر النقابية مستخدمة الوسائل العديدة ومنها دس العملاء في صفوفها لتخريبها من الداخل وشل فاعليتها.

ثانيا: اختراق العناصر الوطنية المحتمل ارتباطها بالعمل الفدائي، ان عددا كبيرا من المناضلين الذين ألقي القبض عليهم قد تم كشفهم عن طريق العملاء المنغرسين بينهم، فانغراس العملاء بين العناصر الوطنية يهدف إلى جمع المعلومات عنهم وعن نشاطاتهم المحتملة وإيصالها إلى أجهزة المخابرات الإسرائيلية، وأيضا إلى بث الشك وعدم الثقة بين العناصر الوطنية لإيصالهم لنتيجة فحواها عدم جدوى القيام بأي عمل سري، لان مصيره الانكشاف والفشل.

ويلجأ العملاء إلى حياة كثيرة للتعرف على المناضلين الذين من الممكن ان يكون لهم نشاطات فدائية سرية، فقد يلجأ العميل إلى تمثيل دور الوطني المخلص، والحريص على المصلحة الوطنية، والذي يتوق إلى العمل الفدائي مع إظهار عدم استطاعته حتى الآن الاتصال بالمنظمات الفدائية للعمل معها، ومن خلال هذا الكلام المعسول، وبإظهار نفسه بمظهر الوطني من ناحية لفظية، يستطيع العميل كسب ثقة المناضل، وقد يسارع المناضل إلى كشف أمره على هذا العميل وضمه إلى مجموعته، وبالطبع هذا ما يريده العميل ويسعى إليه حيث يقوم على

الفور بإيصال المعلومات إلى ضابط المخابرات المرتبط معه، وفي هذه الأحوال ينصح ضابط المخابرات العميل بالتظاهر بالانضمام إلى مجموعة المناضلين للتعرف عليهم وكشف نشاطاتهم السابقة ان وجدت، والتحري عن كل ما يخصهم مثل النشاطات المتوقع القيام بها،وأماكن خزن الأسلحة ان كانت متوفرة لديهم، وكيفية الاتصال بالخارج وغيرها من المعلومات، وبعد فترة من الزمن ترتب المخابرات خطة لالقاء القبض عليهم متلبسين بالعمل دون إثارة الشكوك حول العميل الذي يتم اعتقاله أيضا، ليمارس دورا في التحقيق ضد أفراد مجموعته في المعتقل ضد المعتقلين، فقد يتم اعتقال أحد أفراد المجموعة أثناء ذهابه لتنفيذ إحدى المهمات حيث تكمن له دورية عسكرية بناء على المعلومات التي وصلت من العميل، وبهذا يتم اعتقاله متلبسا بالعمل، ومن ثم يتم إلقاء القبض على باقي أعضاء المجموعة، موهمين إياهم ان اعتقالهم جاء بناء على اعتراف الشخص الأول الذي تم اعتقاله، وبهذا يصيدون عصفورين بحجر واحد: التستر على العميل وإثارة الشكوك حول المناضل الأول، وغالبا ما تقوم المحكمة بإصدار حكمها على العميل بالسجن ولكن لمدة بسيطة لدر الرماد في العيون ولإعطائه وجها وطنيا ليخرج بعدها أكثر قدرة على القيام بدوره الإجرامي، اما إذا تم كشفه من قبل المعتقلين فانه يتحول من عميل مستور إلى عميل قد يحمل مسدسا ويمارس ويمارس أدوارا أخرى تتناسب مع وضعه الجديد.

ان العمل التنظيمي السري دقيق للغاية، ويحتاج إلى درجة عالية من التخطيط والانضباط والسرية، ومعرفة العنصر في المجموعة السرية يجب ان تكون على قدر الحاجة فقط، كما ان ضم أعضاء جدد يستلزم دراسة عميقة لأحوال الشخص المنوي ضمه، ومراقبته وملاحظة سلوكه واخلاقه قبل الإقدام على هذه الخطوة، ومن الخطأ الفادح تنظيم أي شخص لمجرد صداقة شخصية آو مظاهر خادعة، آو أحاديث وطنية معسولة، فالتحلي بالسرية والدقة والتخطيط الواعي يد من اندساس العملاء وبالتالي يفشل خطط سلطات الاحتلال.

لقد كشفت تجربة السنين الأولى من الاحتلال عن وجود ثغرات كبيرة في الخلايا السرية في الأرض المحتلة استطاع العملاء الدخول منها وشل النشاط الوطني، ويعود وجود هذه الثغرات إلى حداثة التجربة النضالية في هذا المجال والى اتباع أساليب غير ناجحة في التمييز والاتصال والتنفيذ، ومع تعمق التجربة النضالية استطاعت الحركة الوطنية الفلسطينية تخطي بعض الأخطاء السابقة والحد من اختراق العملاء، ومن الأساليب الأخرى التي قد يتبعها العملاء للإيقاع بالشباب الوطني هو قيام بعض العملاء المستورين بالتظاهر بالوطنية والانغراس بين الشباب ذوي الميول الوطنية، وبعد كسب ثقتهم يقوم العميل بدور الوطني الذي ينتمي إلى مجموعة فدائية سرية وينوي تجنيد بعض الأشخاص الآخرين، ينشئ خلية تنظيمية سرية بقيادته، وبعد فترة من الزمن وبعد ايهامهم بأنهم ينوون تنفيذ بعض المهمات ضد سلطات الاحتلال تقوم السلطات باعتقالهم، والهدف من ذلك هو ردع الشاب الوطني عن القيام بأي

عمل نضالي في المستقبل حيث ان تجربته الفاشلة قد تسبب له الاحباط وتنزع ثقته بامكانية العمل الجماعي السري.

ثالثا: التشهير وبث الروح الانهزامية، لا تترك سلطات الاحتلال وعملاؤها فرصة إلا ويغتنموها للتشكيك بجدوى النضال الوطني وانعدام الفائدة من المقاومة، وليس بغريب ان نسمع بعض العملاء يستخدمون الأمثال الشعبية التي تحض على الاستسلام مثل: "الكف ما بتلاطم مخرز"و"حط رأسك بين هالروس وقول يا قطاع الروس"، وغيرها من الأمثال والتعبيرات الشعبية الدارجة، التي تدعوا إلى عدم المقاومة ومهادنة الاحتلال، ويستغل العملاء الحالة الترهل التي تعيشها الأنظمة العربية وانهزامها أمام الجيش الإسرائيلي قائلين: ان الجيوش العربية بإمكانياتها الضخمة لم تستطع الصمود، فماذا تستطيع المنظمة ان تفعل لوحدها ؟ والجواب برأيهم لا شيء، وليس أمانا نحن إلا التعايش مع واقع الاحتلال، وتنشط هذه الأصوات وتعلو اثر تعرض الثورة الفلسطينية لضربة عسكرية سواء كانت هذه الضربة من قبل الأنظمة العربية آو الكيان الصهيوني، فعندما وجه النظام الأردني ضارباته للثورة الفلسطينية عامي 1970–1971، وكذلك عقب أحداث تل الزعتر والصدام مع سوريا، ارجف المرجفون أشاع المشككون ان الثورة قد انتهت. وقد تضرب مقر المنظمة في دولة عربية بعيدة عن خط المواجهة، ولم تحرك هذه الدولة ولاغيرها من الدول العربية ساكنا، وذلك لعدم قدرتها آو لمشاركتها ورضاها عن العملية، فلماذا نناضل وحدنا، فما علينا اذن إلا ان نضع"رأسنا بين هالروس" ونصبح مثل بقية العرب، وبذلك نتخلص من المطاردة.

ومن جهة أخرى يبالغ العملاء في قدرة أجهزة المخابرات التابعة لسلطات الاحتلال، والتي يعتقدون بأنها تستطيع معرفة أدق التفاصيل عن الإنسان، ويصورون الأمر وكأنها تملك قوة سحرية تستخدمها في تتبع أسرار الناس ومعرفة دخائل نفوسهم، وتنشط هذه الأصوات عندما تقوم قوات الاحتلال بإلقاء القبض على بعض المناضلين الذين مارسوا نشاطا فدائية، حيث يعلق العملاء قائلين: "ان المخابرات تستطيع إلقاء القبض على كل من يمارس أي نشاط وطني ووضعه في المعتقل حتى قبل لن يقوم بتنفيذ أعماله". ويتجاهلون عن عمد الأسباب الحقيقية التي أدت لكشف المجموعات المناضلة، والهدف من هذه الأقوال والتعليقات هو فك الارتباط بين الثورة والجماهير وعزلها ليسهل بالتالي ضربا تمهيديا لإنهاء القضية الوطنية برمتها.

ومن الأساليب المتبعة في التشكيك وبث الروح الانهزامية النيل من منظمة التحرير الفلسطينية وشرعية تمثيلها للشعب الفلسطيني، فتراهم يقولون: ان إسرائيل لن تعترف بالمنظمة ولن تنسحب من الأراضي المحتلة لتسلمها لهذه المنظمة، فإذا أردنا التخلص من الاحتلال فما علينا إلا البحث عن بديل، والبديل برأيهم هو النظام الهاشمي الأردني او الموافقة على الحكم

الذاتي في ظل الاحتلال الإسرائيلي، أي الترويج للمشاريع السياسية الاستسلامية التي تنادي بها سلطات الاحتلال.

ويرتفع صوت العملاء وتزداد تعليقاتهم ضد العمل الوطني ومنظمة التحرير الفلسطينية عند حدوث بعض الأحداث الطارئة المؤسفة على الساحة الفلسطينية، فمثلا أثناء أحداث البقاع اللبناني وطرابلس عام 1983، شيع العملاء المنظمة إلى القبر، منددين بها وساخرين منها بقولهم: "انظروا إلى أولئك الذين يزعمون بأنهم يريدون تحرير فلسطين يتصارعون على الزعامة قبل الحصول على الدولة، فماذا سيحدث فيما لو أقيمت الدولة الفلسطينية ؟ ستحصل مجازر رهيبة، وحرب أهلية مدمرة أكثر من تلك التي حدثت في لبنان". وبالطبع يجهل العملاء او يتجاهلون قصد حقيقة تلك الأحداث المؤسفة، انهم لا يبحثون أصلا عن الحقيقة لانهم يريدون فقط ترديد ما يقوله أسيادهم لزعزعة ايمان الجماهير بقواها الذاتية وبحركتها الوطنية، الهدف هو إيصال الجماهير الفلسطينية إلى حالة الاستسلام والركوع.

ويقوم العملاء بتضخيم أخطاء الحركة الوطنية الفلسطينية وابراز الصراعات الداخلية بين الفصائل المختلفة بقصد أبعاد الناس عنها، وإظهارها بمظهر العاجز الذي لا يفعل شيئا سوى إطلاق التصريحات النارية والوعود الخلابة، فاخطاء الحركة تعتبر برأيهم كافية لنزع الثقة منها والتحول عنها.

وهناك التشكيك بأشكال النضال الجماهيري المختلفة، ولسان حال العملاء يقول: "إذ لم تنفع البندقية والطائرة فهل سيهتز الكيان الصهيوني بقيامك عدد من الشبان برشق دورية بالحجارة أو القيام بمظاهرة، ويعتبرون ان من يقوم بمثل هذه الأعمال هم الشبان الطائشين الذي توجهه جهات خارجية، والعملاء يصورون الأمر كالتالي: لم تستطع الجيوش العربية الانتصار على الجيش الإسرائيلي، ولم تستطع المنظمة الصمود بوجهه، إذن العمل العسكري عديم الجدوى، والنضال الجماهيري اقل فائدة وعديم التأثير ولن يحقق هدفا، وعندما يطرح عليهم أحد المستمعين سؤالا: ما العمل إذن ؟ فانهم يسارعون بالإجابة ليس لدينا أو لدى العرب كافة القدرة على مقارعة الاحتلال، لذا فان الافضل القبول بما تعطيه إسرائيل.

وإذا أغلقت سلطات الاحتلال المدارس أو الجامعات فالمتسبب بالإغلاق برأيهم الوطنيون الذين يقومون بأعمال مخلة بالأمن مما يدفع السلطات العسكرية إلى الإغلاق، ويؤدي الإغلاق إلى الإضرار بمصالح الطلاب ودراستهم، فإذا أراد الطلاب انتظام الدراسة فما عليهم إلا الابتعاد عن أي عمل سياسي، والاقتصار على الدراسة الأكاديمية فقط، وهكذا فبلا من توجيه اللوم لسلطات الاحتلال على إغلاق المدارس والجامعات فان اللوم الشديد والتقريع والتأنيب يقع على الطلبة الوطنيين الذين ينعتونهم بابشع الصفات والنعوت، وبالطبع فان الأعمال القمعية التي تمارسها سلطات الاحتلال تحتاج إلى تبرير لاقناع البسطاء بهذه الخطوات حتى لا يتزايد

السخط، والعملاء يبحثون عن كبش الفداء الذي يوجه اللوم اليه دون العدو الصهيوني لتوجيه سخط الناس اليه، ان هم يحاولون توجيه نقمة الناس نحو من يقفون ضد الاحتلال أي ضد القوى الوطنية.

اما التشهير فيأخذ أشكالا عديدة: فهناك التشهير بالقادة الفلسطينيين البارزين، فهؤلاء القادة فرضوا أنفسهم على الشعب، برأي العملاء، ويستغلون الشباب الطائش للإيقاع بهم، بينما يعيشون هم حياة ناعمة، ونعيما مقيما في العواصم العربية بعيدين عن الأخطار، ويرصدون الأموال في المصارف الأجنبية، وبالطبع يستغل العملاء التناقضات والخلافات القائمة بين فصائل المقاومة والتصريحات التي يطلقها بعض القادة ضد قادة آخرين للتدليل على صحة أقوالهم، والتشكيك بالقيادة يؤدي بالطبع إلى التشكيك بفصائل المقاومة كلها، أي التشكيك بالعمل الوطني برمته.

اما العملاء غير المكشوفين، فيعملون على التشكيك ببعض الشباب الوطنيين، وتهدف هذه العملية إلى التأثير النفسي والضغط على الشاب الوطني الذي تطلق ضده الإشاعة وذلك لوضعه في مأزق نفسي حرج، ولجعل الناس يفقدون ثقتهم به،ومحاصرته وعزل تأثيره عليهم، فتارة يزعمون ان فلانا له مغامرات غرامية ومنحرف أخلاقيا بقصد إعطاء صورة سلبية عنه وإظهاره بمظهر الإنسان الساقط الذي يركض وراء الملذات بينما يتظاهر بالمظاهر الوطنية.

ومن الأساليب المعروفة التي يتبعها العملاء ضد العناصر الوطنية بث الإشاعات حول العناصر الوطنية التي مكثت فترة من الزمن في معتقلات الاحتلال، فعندما ينهي المناضل مدة حكمه في المعتقل ويطلق سرحه نرى العملاء يروجون الأقاويل بين أهالي القرى خصوصا ان هذا الشخص مشبوه وملاحق من قبل سلطات الاحتلال، لذا فانه من الأفضل حسب قولهم عدم الاختلاط به حتى لا يعرضون أنفسهم للملاحقة، والهدف من ذلك هو عزل المناضل وابعاد تأثيره عن أفراد المجتمع الذي يعيش فيه، ووضعه في وضع نفسي واجتماعي صعب مما قد يؤدي لإرهاقه واضعافه.

رابعا: تجنيد عملاء جدد والاتصال بهم: يقوم العملاء المكشوفون بمهمات تتناسب ووضعهم العلني، ومن هذه المهام تورط بعض الشباب وربطهم بأجهزة المخابرات، يسعى العميل المكشوف للاختلاء بالشباب خصوصا المنحرفين الذين يفتقرون للوعي الوطني والمنجرفين وراء أهوائهم والمنساقين لغرائزهم الشهوانية، وغالبا ما يتم استدراج الضحية من خلال المومسات اللواتي يرتبطن بالعملاء، ويستخدمن كطعم للضحية، وبالطبع فان إشباع غريزته الجنسية يكون ثمنه التورط والسقوط في مستنقع الخيانة، وشيئا فشيئا يجد الضحية نفسه وقد اصبح متورطا فيقوم العميل الأول بترتيب لقاء بين الضحية وبين ضابط المخابرات المسؤول الذي يستعمل أساليب التهديد والترغيب مع الضحية لمنعه من التراجع وتكليفه ببعض المهام التجسسية، وبديهي ان

الأموال لا تنفق بسخاء على الضحايا المتورطين، بل يعطى لهم النزر اليسير في المراحل الأولى من تورطهم للإيقاع بهم وتشجيعهم على السير في هذه الطريق.

ويمارس العميل المكشوف دور حلقة الوصل بين ضابط المخابرات وبين العملاء الجدد غير المكشوفين، وذلك حفاظا عليهم لئلا ينكشف أمرهم، فليس من الحكمة ان يذهب العميل الجديد غير المكشوف باستمرار إلى مقر الحكم العسكري كلما أراد إيصال المعلومات التي لديه، فهذا التصرف قد يثير الشبهة حوله بين الناس مما يعيق تنفيذ المهمات والأدوار الموكولة اليه، وفي بعض الأحيان يتم العكس خصوصا مع الشخص الضحية المتردد في السقوط، فان تكرار تردده على مقر الحكم العسكري ومقابلة ضابط المخابرات يهدف الى إثارة شك الناس حوله، وسد الطريق أمامه فيما لو حاول التراجع، فما دام ان الشك قد أحاط به فما جدوى التردد وعدم التعامل ؟ يجد الضحية انه لا مفر أمامه سوى السير في هذا الطريق، لاسيما وان هناك بعض المغريات كالجنس والمال، يستغل العميل بالإضافة آلي وسائله السابقة حاجة الناس من اجل تجنيدهم في سلك العمالة، فالناس بحاجة بعض شؤونهم لدى دوائر الحكم العسكري، لكن هذه الشؤون تتعر كثيرا لإفساح المجال أمام العملاء لتمثيل أدوارهم المنوطة بهم، والعملاء اقدر من الضباط المسؤولين على التعرف على النوعيات المؤهلة للسقوط، ويستطيع العميل، بفضل احتكاكه المباشر بالناس، التعرف على المشاكل التي يعانون منها وعلى طبيعة حياتهم الأسرية والأشياء التي تؤثر عليهم وتجذبهم او تنفرهم وتبعدهم، وعلى ضوء معرفتهم يختارون لأسلوب المناسب الذي يستخدمونه للإيقاع بالضحية، فان كان الضحية ذو نفسية محبة للشهوات هيئوا له هذا السبيل ومن خلاله يتم توريطه، وان كان يعاني من مشاكل العمالة والتي يستطيع من خلالها دعم قوته لرد الأذى عنه او إيقاعه بخصومه، اما ان كان الضحية لا يريد الارتباط بسلطات الاحتلال ولكنه يسعى لتحقيق أهداف شخصية فيجب إيقاعه ببعض المطبات والمشاكل التي تجبره فيما بعد على الوقوع في المستنقع الآسن.

خامسا: مساعدة سلطات الاحتلال على خلق بدائل للشخصيات والقوى الوطنية: تسعى سلطات الاحتلال الى تدمير منظمة التحرير الفلسطينية سياسيا وعسكريا وجماهيريا، ولتحقيق ذلك فهي توجه الضربات العسكرية المتلاحقة لقواعد الثورة ومراكزها، ولكن الضربات العسكرية لا تكفي، فسلطات الاحتلال تدرك ان م.ت.ف ليست مجرد وجود عسكري محض، بل هي إيمان جماهيري ونشاط سياسي وقناعة فكرية بالإضافة آلي العمل العسكري، لذا فان الصراع بين سلطات لاحتلال وبين القوى الفلسطينية يشمل كافة المجالات.

فعلى صعيد الأراضي المحتلة تسعى سلطات الاحتلال الى ضرب القوى الوطنية والشخصيات والرموز الوطنية، وتستخدم في سبيل ذلك عدة وسائل: الاعتقال لمن تستطيع

توجيه تهمة اليه، او تطبيق قوانين الطوارئ الخاصة بالاعتقال الإداري لمن ترى انهم يمارسون نشاطا وطنيا ولكنها لا تستطيع تقديمهم للمحاكمة بسبب عدم توفر الأدلة والإثباتات لإدانتهم، او بالإقامة الجبرية على آخرين، أحيانا النفي والطرد من ارض الوطن، او التصفية الجسدية كما حدث مع رؤساء بعض البلديات في الأراضي المحتلة. يرافق التضييق على الرموز الوطنية عمل آخر مواز له، وهو إظهار وابراز الرموز والشخصيات المرتبطة او المهادنة للاحتلال، فالضغط على رمز وطني يقابله إبراز وتسهيل نشاط شخص آخر يمثل القيادة التقليدية او يرتبط بالأردن، وفي السنوات الأخيرة عمدت الإدارة المدنية في الوسط الشرقي من فلسطين عليه اسم روابط القرى، واستخدم مناحيم ميلسون رئيس الإدارة المدنية الأسبق كافة وسائل الترغيب والترهيب لإيجاد فروع لهذه الروابط في معظم مناطق الوسط الشرقي، وقد بدأت الفكرة بالتبلور بعد توقيع معاهدة "كامب ديفيد" ورفض جماهير الشعب الفلسطيني للحكم الذاتي والإدارة المدنية، فكان لا بد من تكريس سياسة "فرق تسد" من خلال أحداث شرخ بين القرية والمدينة واستغلال ضعف الوعي الوطني في القرى وتمركز النشاط الوطني في المدن، وظهر على المسرح مصطفى دودين، ونشطت الاجتماعات والمشاورات بين الشخصيات التي لم تعد مقبولة شعبيا، خصوصا ان الانتخابات البلدية عام 1976 أثبتت أقوال هذا الطراز من الشخصيات وظهور نجم المؤيدين لمنظمة التحرير الفلسطينية، ووجدت تلك الشخصيات المرفوضة جماهيريا ضالتها في دعوة مناحيم ميلسون لإنشاء روابط القرى، وتداعى المخابرات المعروفين بولائهم لكل سلطة حاكمة الى الاجتماع تحت توجيه موظفي الإدارة المدنية، وظهرت الى الوجود رابطة قرى الخليل في البداية، وانتشرت هذه الظاهرة الى بعض المناطق الأخرى، أغدقت الإدارة المدنية الأموال بسخاء على الروابط لجذب ذوي النفوس المريضة، كما وان كثيرا من المعاملات لم يكن لها ان تمر الا عن طريق الروابط والمخاتير وذلك لاجبار الناس على التعامل مع سياسة الإدارة المدنية، واشعارهم ان الكثير من مصالحهم لا يمكن تحقيقها الا من هذا الطريق، ولكن هذا التجمع مني بفشل ذريع ، حيث بقي معزولا عن الجماهير التي نظرت بازدراء الى كل من انتمى اليه، واضطر مناحيم ميلسون بالنهاية الى تقديم استقالته معترفا بفشل سياسة روابط القرى التي أنشأها.

ومن ناحية أخرى، فان سلطات الاحتلال تشجع من طرف خفي القوى الحزبية المعارضة ل م.ت.ف وتغض الطرف عن نشاطاتها وتمنحها التسهيلات اللازمة لزيادة تأثيرها وتوسيع قاعدتها الجماهيرية، ومن أمثال هذه القوى الحزبية تلك القوى الدينية التي تعلن صراحة معارضتها لمنظمة التحرير الفلسطينية، وسلطات الاحتلال تغض الطرف عن نشاطاتهم، ليس حبا في الإسلام ولكن من منطلق تشجيع كل حرية قد يكون نشاطها معرقلا للنشاط الوطني ومضعفا له، اما إذا حاولت هذه القوى المس بسلطات الاحتلال او العمل

ضدها، فان هذه السلطات لن تتوانى عن ضربها بيد من حديد، واي تجمع ديني قد يوجه نشاطه ضد الاحتلال وسياساته يعتبر محظورا، واي شيخ او مطران مناوئ للاحتلال يقع تحت طائلة العقاب، كما فعلت مع الشيخ رجب بيوض التميمي والمطران ايلاريون كبوشي، فالاحتلال لا يهمه الإسلام أو المسيحية، بل هو معاد لهما، ويقدم كل يوم الأمثلة الحية في ممارساته على انتهاك حرمة المقدسات الإسلامية والمسيحية.

ويحاول الاحتلال أيضا تقديم التسهيلات للشخصيات الفلسطينية المؤيدة للأردن، ويسمح لها بالتنقل بحرية داخل الوطن وخارجه، ويسعى لابرازها كشخصيات معتدلة تمثل سكان المناطق المحتلة، وتغطي وسائل الأعلام الإسرائيلية نشاطاتهم بشكل واضح، بينما تسدل الستار على أي نشاط او تصريح للشخصيات الوطنية، وتحد من تنقلاتها في الداخل والخارج، ففي الداخل حظرت السلطات نشاط لجنة التوجيه الوطني واعتبرتها هيئة معادية، انطلقت على بعض وسائل اعلامنا المحلية التي عملت على طمس الشخصيات الوطنية وابراز الشخصيات التقليدية الموالية للأردن.

فالعملاء لا يكتفون بممارسة جرائمهم بشكل فردي، بل يسعون بتوجيه من سلطات الاحتلال الى السيطرة على الهيئات والمؤسسات الشعبية، كالوصول الى مراكز رؤساء المجالس القروية البلدية او أعضائها، ليدعوا بأنهم يمثلون المواطنين في الأراضي المحتلة، ويقومون بتأييد المبادرات الاستسلامية التي تروج لها سلطات الاحتلال كالحكم الذاتي او الخيار الأردني،وإذا كان الاحتلال البريطاني قد نجح في تأليف كتائب السلام العميلة لتعمل ضد الثورة الفلسطينية بين الأعوام 1936-1939، وإذا كان الاحتلال الإسرائيلي قد نجح جزئيا بإقامة جيش جنوب لبنان العميل بقيادة سعد حداد وانطوان لحد، فانه لم ينجح حتى الآن في إقامة أي تجمع لعملائه من شأنه ان يدعي الصفة التمثيلية للشعب الفلسطيني.

سادسا: السمسرة لشراء الأراضي من العرب وبيعها لليهود: ان صراعنا مع الكيان الصهيوني يتركز حول الأرض، وقد نشطت المؤسسات الصهيونية منذ عام 1897 في مجال شراء الأراضي مستغلة الظروف الدولية والتسهيلات التي قدمتها حكومة الانتداب البريطانية والأوضاع الصعبة التي كان يعيشها الفلاح الفلسطيني، وبعد عام 1967 قامت سلطات الاحتلال الإسرائيلية بوضع يدها على مساحات شاسعة من الأراضي الحكومية، بالإضافة الى مصادرة مساحات أخرى يملكها المواطنون تحت ستار الأمن، واقيم على هذه الأراضي العشرات من المستوطنات اليهودية ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل قامت مؤسسات إسرائيلية بالعمل على شراء الأراضي من العرب بشتى الوسائل سواء كانت قانونية او غير قانونية.

ويساعد المؤسسات والشركات الإسرائيلية في عملها ضابط الحكم العسكري والإدارة المدنية، وفي هذا المجال يتم الاستعانة بالعملاء العرب الذين يقومون بدور السمسار، فالمعروف ان الغالبية الساحقة من أبناء شعبنا ترفض بيع شبر واحد لليهود، ولكن وجود سماسرة عرب يعملون كوسطاء يسهل من عملية تسريب بعض قطع الأراضي، ولم تفلح أساليب الاغراء وإغداق الأموال الطائلة في هذا المجال، فكان لا بد من استخدام وسائل الخداع والحيلة والتغرير، بهذه الوسائل تم عقد صفقات صورية وغير قانونية بدون علم صاحب الأرض، فمثلا يقوم السمسار بزيارة صاحب الأرض المنوي وضع اليد عليها منتحلا صفة موظف في دائرة الشؤون الاجتماعية يريد اجراء مسح اجتماعي لحالته الاجتماعية، وفي نهاية الزيارة يطلب منه التوقيع على ورقة بحجة انها تتضمن طلب تقديم المساعدة له، وبحسن نية يوقع صاحب الأرض على تلك الورقة وتنطلي الحيلة خصوصا على كبار السن الذين لا يحسنون القراءة او الكتابة، ويفاجأ صاحب الأرض بعد فترة وجيزة بالجرافات الإسرائيلية تعمل في أرضه، أحيانا يتم استخدام التهديد بالسلاح لاجبار صاحب الأرض على التوقيع على وثيقة بيع أرضه، ووصل الامر في بعض القضايا ان يقوم شخص بادعاء ملكيته لعدد من قطع الأراضي وبيعها لليهود دون علم أصحابها الشرعيين، وعندما يقوم أصحاب الأراضي برفع دعواهم أمام المحاكم الإسرائيلية فهي غالبا تقر عملية البيع.

وبسبب اشتداد النقمة على الأحداث، وذيوع أخبارها ووصولها الى وسائل الاعلام، اضطرت سلطات الاحتلال للتحقيق في الصفقات المزورة التي تمت في المناطق المحتلة وقامت هذه السلطات باعتقال العديد من السماسرة والتحقيق مع بعض الشخصيات الرسمية والحزبية الإسرائيلية، وقد حدث أثناء مداهمة الشرطة لمنزل أحد الأشخاص اليهود المعروف بسوابقه الجنائية كالسرقة والتزوير وحيازة الحشيش ان عثرت الشرطة على رزمة كبيرة من التواقيع على ورق"بياض"، مما يعني اشتراك عالم الاجرام السفلي في الصفقات المزورة للأراضي.

ان الدور الذي يقوم به السماسرة والعملاء العرب يعتبر خطيرا على مستقبل الأرض والشعب الفلسطيني، وقد دعا هذا الامر الهيئات الوطنية في الأرض المحتلة الى تحذير الناس من مغبة التورط في أساليب السماسرة الماكرة.

سابعا: القيام بمهمات تعرضية في الداخل والخارج: يقوم بعض العملاء وبإيعاز من أجهزة المخابرات بمهام تنفيذية تعرضية، ومن الأمثلة المعروفة في هذا المجال في الأراضي المحتلة قيام عناصر روابط القرى في منطقة بيت لحم بعدة حوادث إطلاق النار على المنازل والاعتداء على العديد من المواطنين، وقيام عناصر رابطة قرى الخليل بإطلاق

النار على سكان بيت كاحل مما أدى الى سقوط العديد من سكانها بين قتيـل وجـريح، والهدف من هذه الاعمال هو بث الرعب بين المواطنين وردعهم عن القيام باي نشـاط وطني، ويساهم بعض العملاء عمليا في مطاردة وملاحقة المناضلين في الجبال من اجل إلقاء القبض عليهم او قتلهم، والمعروف ان باجس ابو عطوان المناضل المشـهور فـي جبال الخليل قد تم اغتياله على أيدي أتحد العملاء بالتعاون مع المخابرات الإسرائيلية.

اما في المجال الخارجي، فان الموساد تلعب دورا كبيرا في تجنيد العملاء العـرب فـي صفوفها وتكليفهم بمهمات الملاحقة وجمع المعلومات عن الشخصيات الفلسطينية النشطة والمرتبطة بمنظمة التحرير الفلسطينية، وذلك تمهيدا لاغتيالها وتصفيتها جسـديا، وقـد اعترف العديد من العملاء لدى التحقيق معهم في المعتقلات بأنهم قاموا بوضع عبـوات ناسفة في بعض المكاتب او أماكن التجمع الفلسطينية مما أدى الى وقوع خسائر ماديـة وبشرية، كما اعترف أتحد العملاء بانه كان له دور هام في اغتيال أتحـد الشخصـيات الفلسطينية في بيروت بتكليف من الموساد الإسرائيلي، ولا شك ان اسـتخدام العمـلاء العرب يسهل من مهمة الموساد لسهولة تحركه في أوساط الفلسطينيين في الخارج.

وعادة يتم تريب هذا الطراز من العملاء على استخدام الأسلحة والمتفجرات لكي يكونوا مؤهلين للقيام بالأدوار الموكولة اليهم، ويتميزون بكونهم من العمـلاء المغـرقين فـي السقوط، والذين قدموا خدمات لسلطات الاحتلال الذين يتم إرسالهم للخارج للقيام بالمهام التنفيذية فعادة ما يكونون من العملاء غير المكشوفين خصوصا إذا تم إرسالهم الى الدول العربية.

ثامنا: القيام بمهمات تجسسية في الخارج: تنقسم هذه المهمات الـى قسـمين: الأولـى وهـي الانخراط في صفوف الثورة في الخارج، حيث تقوم المخابرات الإسرائيلية بالإيعاز الى أتحد عملائها للسفر الى الخارج، وهناك يذهب الى أتحد مكاتب او قواعد الثورة بهـدف التجنيد في صفوفها، ويرغب العملاء ان يتم تجنيدهم في القطاع الغربي، وذلك من اجل تحقيق هدفين: الهدف الأول هو محاولة التعرف علـى أسـاليب عمـل هـذا القطـاع والمسؤولين عنه، اما الهدف الثاني فيتمثل بالتعرف ان أمكن علـى الأشـخاص الـذين يترددون على هذه الأمكنة من سكان المناطق المحتلة، والقطاع الغربي هو المسؤول عن الخلايا السرية العاملة في الأراضي لمحتلة والمكلف بالاتصال بها وتجنيد عناصر جديدة والمسؤول عن النشاطات الفدائية في الداخل،وبسبب أهمية هذا القطاع فان المخـابرات الإسرائيلية يهمها كثيرا التعرف على القائمين عليه والنشاطات التي يمارسها والأساليب التي يستخدمها، يبدي العميل حماسا ظاهرا للعمل، ويطلب من المسؤولين ربطه بإحـدى الخلايا السرية العاملة، داخل الأراضي المحتلة، وبالطبع فان هدفه الحقيقي من ذلك هـو

التعرف على عناصر هذه الخلية وكشفها لسلطات الاحتلال، واثناء وجود العميل في مراكز التدريب التابعة للثورة، يحاول مراقبة المكان بدقة، والتعرف على المسؤولين والمدربين، وملاحظة المترددين على هذه المراكز، وفي حالة رجوع العميل الى الأرض المحتلة يقدم تقريرا كاملا للضابط الإسرائيلي المسؤول عنه يتضمن المعلومات التي حصل عليها او النشاطات التي قام بها في الخارج، وقد يتكرر سفر العميل الى الخارج لنفس الهدف.

وغالبا ما تستطيع أجهزة الرصد الثوري في الخارج كشف بعض العملاء والقاء القبض عليهم، والتحقيق معهم وفرض العقاب عليهم اذا ثبت انهم تورطوا بجرائم خطيرة، وعلى الأغلب يتم إصلاحهم خصوصا اذا كانوا في بداية طريق العمالة، في بعض الأحوال يتأثر العملاء بالجو الثوري السائد في القواعد لا سيما وانهم يشعرون بانهم بعيدون عن سطوة وتأثير ضابط المخابرات الإسرائيلي، وبسبب هذا التأثر نرى ان البعض منهم يسارع بإبلاغ المسؤولين من تلقاء أنفسهم عن ارتباطهم السابق بالمخابرات الإسرائيلية واعلان التوبة والرغبة في البقاء مع الثورة وعدم العودة الى الأرض المحتلة.

لقد كان انغراس العملاء في صفوف المقاومة الفلسطينية في السابق سهلا وأدى الى خسائر كبيرة في صفوف المناضلين،خاصة في الدوريات التي كانت تنوي تخطي الحدود والدخول الى الأرض المحتلة في مهمات فدائية، ولكن تطور جهاز الرصد الثوري بعد الخروج من الأردن اثر إحداث أيلول الدامية حد من هذه الظاهرة.

اما الشق الثاني من العملاء فهم الذين ينغرسون في التجمعات الفلسطينية في الخارج لمراقبة نشاط الأشخاص الوطنيين وجمع المعلومات عنهم خصوصا أولئك الذين يقطنون في المناطق المحتلة ويسافرون الى الخارج بقصد العمل او الدراسة، فمثلا تقوم المخابرات الإسرائيلية بتجنيد العملاء وتكليفهم بالانخراط في اتحادات الطلبة الفلسطينية في الجامعات، وليس بمستغرب ان تقوم سلطات الاحتلال باعتقال العديد من الطلبة الذين يدرسون في الخارج عند عودتهم، حيث يكون لدى هذه السلطات بعض المعلومات عن نشاطاتهم العلنية والتي يفهم منها وجود علاقة لهم بالثورة الفلسطينية من قريب او بعيد، اما الموظفون والعمال الفلسطينيون في الخارج، فان مهمة العملاء بينهم تنحصر في جمع المعلومات حول الذين يترددون على مكاتب منظمة التحرير او الذين يقومون ببعض النشاطات لصالحها، بالاضافة الى محاولة تجنيد وتوريط عناصر من بينهم وربطهم مع المخابرات الإسرائيلية.

وكثيرا ما نرى البسطاء والسذج من أبناء شعبنا يبدون استغرابهم مـــن كيفيـــة معرفـــة سلطات الاحتلال لبعض النشاطات التي قام بها بعض الأشخاص خارج الأرض المحتلة ويتصورون المسألة وكأنها خارقة للعادة ودليل جبـــروت وقـــوة أجهـــزة المخـــابرات الإسرائيلية، والحقيقة ان هذه المسألة بسيطة حيث ان العملاء هم الذين يقومون بعمليـــة جمع المعلومات، ولكن أجهزة المخابرات وعملائها يقومون بتضخيم المســـألة لأحـــداث تأثير على الجماهير، وإيهامها ان المخابرات الإسرائيلية تستطيع معرفة كل شيء وكأنها تملك أجهزة سحرية او قوى غير طبيعية.

العملاء داخل معتقلات الاحتلال

تناولنا في الفصل السابق العوامل والظروف التي قد تؤدي الى تساقط بعض الأشخاص في مستنقع الخيانة، والأدوار والمهام التي ينفذونها لصالح سلطات الاحتلال، وفي هذا الفصل سنتناول مسألة العملاء تحديدا داخل المعتقلات من حيث أسباب التساقط والأدوار الموكولة إليهم وموقف المعتقلين منهم، لم تكتف سلطات الاحتلال بتجنيد العملاء من أبناء شعبنا خارج أسوار المعتقلات، بل هي تسعى جاهدة لإسقاط العديد منهم وتوريطهم داخل السجون لضرب المناضلين واضعاف مقاومتهم وصمودهم.

ويمكننا تصنيف العملاء في المعتقلات من حيث زمن تورطهم الى ثلاث فئات:

1. العملاء الذين ارتبطوا مع أجهزة المخابرات الإسرائيلية قبل الاعتقال: فهؤلاء استطاع الاحتلال توريطهم بشتى الوسائل والأساليب التي ذكرناها في الفصل السابق، وتوجد أسباب عديدة تعلل دخولهم المعتقل منها:

أ. إعطاء العميل وجها وطنيا من خلال اعتقاله والحكم عليه مدة بسيطة لكي يكسب بهذه الطريقة ثقة المواطنين في بلده والمحيط الذي يعيش فيه، يستطيع العميل في هذه الحالة القيام بالدور الذي تكلفه به المخابرات بشكل اكثر نجاعة لكونه اكتسب صفة المناضل الوطني المناوئ للاحتلال.

ب. قد يكون العميل منغرسا في إحدى الخلايا التنظيمية السرية، ويرسل تقارير عنها باستمرار الى ضابط المخابرات المسؤول عنه، واوقع بالتالي بأعضائها، فانه لا بد ان يعتقل مع هؤلاء الأعضاء وذلك للتغطية، وحتى لا ينكشف أمره يجري التحقيق معه ظاهريا كباقي أعضاء الخلية ومن ثم الحكم عليه مدة غير طويلة ليخرج بعدها حيث يعاود نشاطه الهدام ضد أبناء شعبنا والحركة الوطنية، وفي داخل المعتقل لا تنقطع صلته بضابط المخابرات وادارة المعتقل، بل تترسخ لكي يواصل سقوطه في مكانه الجديد.

ت. من العملاء من تجاوزوا الحدود التي رسمها لهم ضباط المخابرات المسؤولين، وارتكبوا أعمالا لم يكلفوا بها وغير متناسبة مع الأهداف المحددة لهم، تستدعي هذه التجاوزات والأعمال غضب المسؤولين، وكعقاب لهم يتم ايداعهم المعتقل مع الوعد بالإفراج إذا اثبتوا سلوكا جديرا بالثقة في مجال أعمالهم الإجرامية والتساقطية داخل المعتقل، أي العمل ضد المناضلين داخل المعتقلات.

ث. من العملاء من حاول ان يكون عميلا مزدوجا، أي ان يعمل لصالح سلطات الاحتلال وللحركة الوطنية طمعا في مغنم ودفعا للانتقام وردة الفعل، وعندما

انكشف امره لدى جهاز المخابرات اودع المعتقل كتأديب له، ومع ذلك فان منهم على هذه الشاكلة يستمرون في السقوط داخل المعتقلات بدلا من الاتعاظ والعودة الى الصف الوطني، وعلى الرغم ان من هم على الطراز من العملاء قد قـدموا خدمات كثيرة لسلطات الاحتلال، الا ان هذه السلطات لا تتورع عن الزج بهم في المعتقلات، فهذه السلطات يهمها أولا واخيرا مصـلحتها،ولا مـانع لـديها مـن التخلص باي وسيلة من أي عميل اذا وجد بانه بات عديم الفائدة.

2. يضم النوع الثاني من العملاء في المعتقلات أولئك الذين تم تـوريطهم وإسـقاطهم أثنـاء التحقيق:

ان مرحلة التحقيق شاقة وصعبة،وتحتاج الى وعي بألاعيب المحققين وحـيلهم، كمـا تحتاج الى ثبات وجلد وصبر، والى ايمان حقيقي بالقضية التي يناضل من اجلها واعتقـل بسببها.

وتتبع أجهزة المخابرات في التحقيق وسائل عديدة لإسقاط المناضل في شباكها نـذكر منها:

أسلوب المقايضة: يعرض المحقق على المناضل صفقة وهمية قوامها ان يعترف بما لديـه من معلومات وأسرار حول نفسه وغيره مقابل إنهاء التعذيب وإيقافه، ويستمر هذا التعاون بين الطرفين بعد إنهاء فترة التحقيق حيث يقوم المعتقل المتورط بالتجسس على زملائه في المعتقل مقابل وعد من ضابط التحقيق بان يتم تخفيض مدة حكمه.

إيصال المعتقل الى مرحلة الانهيار النفسي: قد ينهار المعتقل نفسيا أثناء التحقيق أمام بطش المحققين ووسائل تعذيبهم ويعترف بكل ما قام به ضد الاحتلال هو ورفاقه، يشعر المعتقل بعدها بالخوف من ردة فعل اخوته ضده عندما يلتقون داخل المعتقـل، ويغـذي ضـابط التحقيق هذا الشعور مشيرا عليه بالاستعداد لحمايته في حالة تعرضه لاي اعتـداء داخـل المعتقل مقابل الموافقة على ارتباطه مع الإدارة القادرة على حمايته وتقديم المعلومات عن نشاطات المعتقلين.

وهناك عوامل عديدة تساعد على تساقط بعض المعتقلين منها:

1) عدم رسوخ الوعي الوطني وضعف الالتزام الثوري، مـا يـؤدي لتفضـيل المعتقـل المصلحة الشخصية على المصلحة العامة.

2) عدم الوعي بأساليب المحققين وألاعيبهم مما يجعلهم فريسة سهلة الوقوع.

3) سذاجة بعض المناضلين وتصديقهم لوعود العدو البراقة.

4) الخلفية الاجتماعية: ونعني بها انتماء المناضل الطبقي والتربية الأسرية أثرهـا علـى فكره ونفسيته.

3 العملاء الذين يتساقطون داخل المعتقل: لا شك ان حياة المعتقل ليست مريحة، ولا يستطيع تحملها الا المناضلون الذين لديهم الاستعداد الكافي للتضحية والفداء، الذين فضلوا المصلحة العامة على مصالحهم الشخصية، ان طول المدة في المعتقل وسيطرة الأفكار الذاتية على المعتقل، والتذكر الدائم للاهل والأصحاب، كل ذلك قد يدفع الى البحث عن وسيلة للخلاص، وبالطبع تسعى إدارة المعتقلات الى إيصال المناضلين لمرحلة اليأس من خلال استعمالها لأساليب عديدة، فهي مثلا تروج بين المناضلين ان تقديم الاسترحام قد يؤدي الى تخفيض مدة الحكم على المعتقل، وذلك لدفعهم لتقديم الاسترحامات.

وتعتبر مرافق العمل التي كانت منتشرة سابقا في المعتقلات مراكز هامة للضغط على المعتقلين وإسقاط بعضهم لقاء امتيازات تافهة ووعود كاذبة، كما تستخدم العيادة الطبية كما أشرنا في فصل سابق في المعتقل كوكر لتجنيد العملاء والاتصال بهم، فالمهمة الأساسية للممرضين في المعتقلات هي العمل على إسقاط المناضلين من خلال استغلال آلامهم وأمراضهم وليس العمل على علاجهم وشفائهم، وهذا دليل على انعدام الروح الإنسانية لدى هؤلاء الممرضين.

وأحيانا كان يتم تجنيد بعض العملاء في المعتقل عن طريق عملاء آخرين سابقين، وهذا الأسلوب كان منتشرا في بداية الاعتقال عندما كانت الأوضاع التنظيمية والالتزام التنظيمي ضعيفين، وفي السنوات الأخيرة فقد ندر استخدام هذا الأسلوب بسبب وجود الأطر التنظيمية القوية وارتفاع مستوى الوعي والحس الأمني لدى المناضلين عموما في المعتقلات،وملاحقتهم للظواهر والعناصر المشبوهة.

وهناك إمكانية استغلال إدارة المعتقل للخلافات التي كانت تبرز أحيانا بين بعض الاخوة لإيهام البعض بانه مهدد بالموت او الضرب من قبل المعتقلين الاخرين، تعرض الإدارة توفير الحماية لهذا الشخص مقابل التعاون والارتباط معها، كما قد يتم ارتباط بعض العملاء وتوريطهم من خلال علاقتهم مع شرطة المعتقل، يحاول بعض الشرطة الظهور بمظهر انساني والتودد الى المعتقلين والانفتاح عليهم ومعاملتهم بلطف ولين، وبهذه الطريقة يستطيع كسب ودهم حيث قد يعتقدون بسلامة نيته، ومن خلال علاقته معهم يستطيع تجنيد بعض المعتقلين وتوريطهم في سلك العمالة.

وفي حالات عديدة يتم توريط بعض المعتقلين من خلال المقابلات مع مدير المعتقل، فمن المعروف ان مدير المعتقل يصر على إجراء المقابلات مع المعتقلين الذين يرغبون بالحصول على بعض المطالب الشخصية مثل السماح بإدخال الصور الخاصة بأقارب المعتقل، أو السماح بإدخال الملابس الداخلية وغير ذلك من الطلبات البسيطة خلال المقابلة يحاول مدير المعتقل توريط من يرى انه صاحب نفسية ضعيفة.

ولا شك ان السقوط الأخلاقي يقود الى التساقط الأمني، وقد تظهر بعض حـــالات الشـــذوذ الجنسي لدى بعض الأفراد، ويغذي العملاء ومن ورائهم إدارة المعتقل ظاهرة الشذوذ هـــذه لاعتقادها الراسخ بان الانحراف الأخلاقي مقدمة جيدة للسقوط الأمني ، ومن خلال معرفة لادارة ببعض حوادث الشذوذ عن طريق عملائها الذين يوصلون لها هذه المعلومات،تحاول الضغط على مرتكبي هذه الحوادث بشتى الوسائل مثل التهديد بفضحهم أمام المعتقلـــين، او تنمية الخوف لديهم من عقاب المعتقلين وتقنعهم بالارتباط معها مقابل توفير الحماية.

مهام العملاء داخل المعتقلات

لم تكتف سلطات الاحتلال باعتقال المناضلين من أبناء شعبنا والزج بهم في معتقلاته، حيث يعانون من سوء الأحوال المعيشية والمعاملة اللاإنسانية والأحكام العالية، بل تلاحقهم في المعتقلات وتحاول بشتى الوسائل إفراغهم من محتواهم الـــوطني وتحطـــيم نفســـياتهم وروحهم المعنوية،وسوف نستعرض في هذا الفصل بعض المهمات والأدوار التي يقوم بها العملاء داخل المعتقلات لمساعدة إدارتها في وظيفتها القمعية ضد المناضلين القابعين خلف القضبان:–

1) الحصول على المعلومات الخاصة بنشاط المعتقلين قبل الاعتقال، ربما هناك عدد مـــن المعتقلين لم يعترفوا بكل ما لديهم من معلومات أثناء التحقيق معهم في بدايـــة الاعتقـــال، واثناء وجودهم في المعتقلات ومع مرور الزمن قد يشعر أحدهم انه بمنـــأى عـــن أعـــين السلطات، وتصبح النشاطات السابقة عنده مجرد ذكريات، ومن عـــادة الإنســـان ان يثـــق ببعض الأشخاص من خلال صداقة او من خلال المعاناة المشتركة التي يعيشـــونها معـــا، ويستغل العملاء المندسون في المعتقلات هذه الثقة والصداقة لابتزاز المناضـــلين بطـــرق مختلفة، فمثلا يقوم العميل بالتحدث أمام صاحبه عن دوره في النضال ضد الاحتلال قبـــل اعتقاله والأعمال التي مارسها، وكيف انه يعرف الكثير من الأسرار التي لم يعترف بهـــا للمحققين، متبجحا متفاخرا بصموده في التحقيق حيث انه استطاع تضليل المحققين، وحبـــا في المفاخرة ومجاراة الحديث قد يقع المعتقل الضحية في الشرك الذي نصبه العميل، فقـــد يعترف الضحية أمام العميل بانه هو أيضا لم يعترف بكل ما لديه، وهنا يركـــز العميـــل مستدرجا إياه للوقوع في الفخ، ومع تكرار مثل تلك الأحاديث بصور وأشكال ومناســـبات عديدة، يستطيع العميل ان يحصل على بعض المعلومات، ثم يقوم العميل بإيصالها لادارة

المعتقل او لضابط المخابرات المرتبط معه، ويفاجأ المناضل بعد فترة وجيزة باستدعائه لدى ضابط التحقيق، وهناك يجد المعلومات قد سبقته.

لقد كان هذا الأسلوب شائعا في السنوات الأولى من الاحتلال وذلك بسبب ضعف الحس الأمني لدى المناضلين وقلة تجربتهم ووعيهم بألاعيب العملاء وحيلهم، ففي السابق كانت الصورة الشائعة عن العميل بانه ذلك الشخص الذي يحمل مسدسا أمام الناس، او الذي يرافق قوات الجيش أثناء مداهمتهم لاماكن تواجد المناضلين، او ذلك الذي يضع على وجهه برقعا ليخفيه عن أعين الناس أثناء التشخيص للبحث عن المطلوبين لسلطات الاحتلال، اما ان يكون العميل شخصا عاديا ومعتقلا في المعتقلات ويتحدث بلغة الثوار والمناضلين، فذلك امر بعيد الاحتمال خصوصا اذا كان يتظاهر بالمودة والصداقة، ويعيش نفس الظروف الصعبة، ويزداد المر خطورة عندما يصل أتحد العملاء الى مركز الصدارة في أتحد المعتقلات، ويتولى مهام تنظيمية باعتباره أتحد النشيطين في هذا الفصيل، فدرجة الثقة تزداد به، ويستغل هم مكانته ليطلب من بعض المعتقلين الجدد بشكل خاص، بصورة مباشرة او غير مباشرة، الإدلاء بمعلومات تخص نشاطاتهم السابقة، ومن ثم يرسلها لضابط المخابرات.

- الإيقاع بين الفصائل المختلفة وبث روح العداء بينها، لكل فصيل من فصائل الحركة الوطنية الفلسطينية أطروحته الفكرية التي تختلف في بعض جوانبها عن بعض،وهذا امر عادي،الا ان هناك مجالات مشتركة تجمع بينها أهمها وحدة القيد والمصير، والعدو المشترك والهدف الموحد، ومن المهمات المطلوب من العملاء القيام بها داخل المعتقلات بث روح العداء وافتعال المشاكل بين الفصائل المختلفة، وذلك منعا لاي عمل نضالي مشترك ضد إدارة المعتقل، وللضغط على نفسية المعتقلين، لا سيما وان أجواء المشاكل والصراعات بين المعتقلين الذين يعيشون في غرف مشتركة تجعل الحياة مريرة وصعبة.

ومن الأساليب التي يتبعها العملاء للإيقاع بين الفصائل المختلفة مايلي:-

أ. التطرف الفكري: بديهي ان كل عنصر يفضل فصيله، ويعتبر خطه السياسي والعقائدي اكثر صحة من الخطوط السياسية الاخرى، ولكن التطرف الفكري القائم على كراهية الاخرين، والحط من شأنهم تعتبر مسألة غاية في الخطورة خصوصا في المعتقلات، والعميل يظهر تعصبه لفصيله وشتم الفصائل الأخرى ونعتها بالنعوت الجارحة، وقد يتصدى له مناضل من فصيل آخر مما قد يؤدي الى الاصطدام وإثارة النفوس وفرض أجواء متوترة في الغرفة.

ويجدر بنا ذكر قاعدة هامة تنص على ان التطرف اما ان يكون عن عمالة او جهالة، ولا شك ان المعتقلات عانت كثيرا من التطرف والتعصب الضيق والتي غذاها واستغلها العملاء وادارة المعتقل.

ب. تغيير الانتماء:كان هذا الأسلوب شائعا في المعتقلات التي تحوي المعتقلين الجدد، أي الموقوفين، هناك العديد من المعتقلين الذين دخلوا المعتقلات دون ان يكون لهم ارتباط بفصيل معين في الخارج، وعند وقوعهم في الأسر، حاول كل فصيل جذبه اليه وضمه الى صفوفه بطرق عديدة مثل الإقناع او توظيف تأثير المعتقلين مناهل بلدته ومنطقته او أقربائه، او استخدام الصداقة، ان مصارعة الفصائل وتلهفها لضم أي معتقل جديد اليها، وجد من يستغلها للإيقاع فيما بينها، فمثلا كأن يقوم أتحد العملاء بإعلان التزامه بتنظيم س، وبعد فترة يعلن عن اعتزامه لالتزام بتنظيم ص، كان يعكر هذا صفو العلاقات بين الفصائل، فتنظيم س لن يسمح لاحد أعضائه ان يخرج عنه بسهولة، وبالمقابل فان تنظيم ص يعتبر هذا الشخص تحت رعايته انطلاقا من رغبته التي أعلنها، لقد نجح هذا الأسلوب واحدث مشاجرات عنيفة بين الفصائل المختلفة ولم ينتبه المناضلون لخطورة هذا الوضع الا بعد سنوات طويلة، فقد اعترف بعض العملاء الذين تم التحقيق معهم من قبل المعتقلين بان إدارة المعتقل هي التي أمرتهم بالقيام بهذا الدور بهدف الإيقاع بين الفصائل، وبعد انكشاف هذا الأسلوب تم تحديد إجراءات صارمة ومتفق عليها من قبل الجميع بخصوص المعتقلين غير المنظمين مسبقا.

وهناك مسألة أخرى تتعلق ببعض المعتقلين الذين كانوا قبل دخولهم المعتقل ذوي انتماءات محددة ومعروفة لكنهم يقعون بعد دخولهم المعتقل تحت تأثيرات متعددة قد تخلق لديهم قناعات جديدة فيغيرون انتماءاتهم السياسية، وعلى الرغم من ان هذه مسألة تقع ضمن قناعة الشخص وقراره الا أنها كانت مسألة تجتذب الاستغلال، خاصة وان تغيير الانتماء لم يكن يتم بشكل ودي وهادئ، ولم يكن خاضعا لإجراءات متفق عليها.

استغل العملاء هذه الثغرة، فمثلا كان يقوم ببناء علاقات اجتماعية ودية مع عناصر فصيل آخر، وبعد فترة يخبرهم انه اقتنع بأفكار فصيلهم السياسية والأيدلوجية ويرغب بالانضمام لهم، يعارض الفصيل الذي ينتمي اليه هذا العميل تلك الخطوة،ويسعى لاعادته الى صفوف التنظيم بالقوة ، بينما قد يقوم الفصيل الاخر بتبني قضية هذا العميل مدافعا عنه بحسن نية مما قد يؤدي لحدوث نزاع شديد وتوتير الاجواء.

ان مسألة تغيير الالتزام لم تحل بشكل سليم في معظم المعتقلات، فأحيانا قد يرغب شخص ما بتغيير انتماءاته لحدوث قناعات جديدة لديه، ولكنه يصادف عقبات كثيرة عند

إعلانه عن هذه الخطوة، فقد يصل الامر الى منعه بالقوة وإجباره على البقاء فــي كنــف فصيل لا يشعر بالود تجاه أعضائه او بالانسجام مع اطروحاته الفكرية، وهذا يجعل حياتــه صعبة وحرجة، وفي بعض الاحيان قد توجه اتهامات باطلة ضد الشخص الــذي يرغــب بتغيير انتمائه، بهدف تشويه صورته وسمعته، مع كل هذا فان حل تلك المســألة يختلــف سهولة وتعقيدا من معتقل لاخر، ومن شخص لاخر، ومن ظرف لاخر.

ت. افتعال المشاكل مع عناصر الفصائل الأخرى: الحياة الجماعية ينجم عنها خلافات قد تؤدي الى حدوث مشاكل، وهذا أمر اعتيادي كما ان العمل على حل هذه المشــاكل ومحاصــرتها والتقليل من آثارها شيء اعتيادي أيضا، لكن العملاء يفتعلون المشــاكل لأتفــه الأســباب، والهدف من ذلك جعل العلاقات بين عناصر الفصيل الواحد غير وديــة، وتعكيــر صــفو العلاقات بين الفصائل المختلفة، ويكون لافتعال المشاكل مردودات خطيرة على العلاقــات بين الفصائل حينما يكون الجو متوترا أصلا بينهما بسبب ما، ومن المؤسف ان نذكر فــي هذا المجال ان العلاقات بين الفصائل داخل المعتقلات لم تكن ودية فــي بعــض الاحيــان، وحدثت بالفعل مواجهات عنيفة بينها ادت كما سنرى فيما بعد الــى ضــرب العديــد مــن الأشخاص.

وقد ثبت فيما بعد ان إدارة المعتقل لم تكن بعيدة عن هذه الأحداث، ففي عامي 75و76 حدثت مصادمات عديدة بين عناصر فصيلين رئيسيين من فصائل الحركــة الوطنيــة فــي معتقل نابلس كان يذكيها ويوقد تحت العملاء، لا نقول ان العملاء هم اساس كل المشــاكل، فالعقلية العربية ربما مبنية على الفرد والنفور من العمل الجماعي وهذا مــا نلاحظــه فــي الكثير من المؤسسات القائمة سواء كانت الجامعات او النقابــات او حتــى العلاقــات بــين الأحزاب والأنظمة العربية، فالعقلية القبلية القائمة على التعصــب للقبليــة والنفــور مــن الانضباط وبروز النزعة الفردية لا زالت سائدة بيننا، ومن الصعب القضاء عليها بين عشية وضحاها، ومع كل ما سبق قوله، الا ان الحركة الوطنية تسعى دائمــا لتقلــيص دور هــذه العقلية، واحلال روح التعقل والاتزان وحب العمل الجماعي وتنميــة روح التعــاون بــين الجماعات المختلفة انطلاقا من التركيز على نقاط لاتفاق بدلا مــن التركيــز علــى نقــاط الخلاف، ومع ازدياد الوعي والتجربة استطاع المعتقلون في النهاية مــن ترســيخ مفــاهيم وأساليب جديدة لحل الخلافات التي تقع بين الفصائل، فقد تم استبعاد العنف كأسلوب لحــل الخلافات سواء كان ذلك على مستوى عناصر الفصل الواحد او على مستوى العلاقات بين الفصائل المختلفة.

ß بث الروح الفردية، وخلق الشلل البلدية والمحاور المتعددة المتصارعة، كما قلنا ســابقا فــان الإنسان العربي يعاني بشكل عام من طغيان النظرة الفردية، ولا يمكن إنجاز مهمات كبيرة

بدون عمل جماعي منظم، لذا فان إدارة المعتقلات يهمها كثيـرا التركيـز علـى الفرديـة والشللية ومحاربة الشكل والإطار الجماعي المنظم، فإدارة المعتقلات تـرى ان المعـتقلات عبارة عن مقابر للأحياء، وقد هالها الامر عندما تحولت هذه المقابر الى مـدارس ثوريـة بفضل الإرادة الجماعية والعمل الجماعي المنظم، وتسعى إدارة المعتقلات باسـتمرار الـى تحطيم الاطر التنظيمية القائمة في المعتقلات ليسهل لها بالتالي السيطرة والتحكم بالمعتقلين.

وانطلاقا من هذه القاعدة فهي تسعى عن طريق عملائها الى إبـراز النظـرة الفرديـة والامتناع عن المشاركة باي عمل جماعي، فإذا طرح بعض المناضلين اقتراح إنشاء صندوق جماعي للمعتقلين،سارع العملاء بالرفض والتحريض على ذلك.

وهناك ظاهرة جديرة بالاهتمام وهي بروز الشلل والمحاور داخل إطار التنظيم الواحـد، ويهدف البعض من وجود هذا المحور او التجمع غير الشرعي الى تشكيل مركز قوة داخـل التنظيم يدعمه ويقف الى جانبه عندما يرتكب بعض الممارسات الخاطئة ويتوجه التنظيم نحو معاقبته، وعادة ما يكون الولاء للمحور او الشلة على حساب الولاء للتنظيم، وتبـرز الشـلل والمحاور الى السطح حينما يكون التنظيم ضعيفا خصوصا بعد الانتهاء من الإضرابات التي يقوم بها المعتقلون، ففي هذه الظروف تقوم إدارة المعتقل بنقل أعداد كبيرة من النشطاء الـى معتقلات أخرى مما يؤدي الى الاضطراب والضعف، كما ان مرحلة الإضراب المرهقة تثقل الأعصاب وقد تضعف الالتزام التنظيمي لدى بعض المعتقلين، يسارع العملاء الـى تشـكيل شلل او الانضواء تحت إحدى الشلل القائمة، ومن الجدير ذكره ان الشلل قد تكون قائمة على اساس بلدي او فكري معين، ومن المؤسف ان ترى أعضاء الشـلة يـدافعون عـن العميـل المنزرع بينهم بحسن نية، وقد لا يؤيدون التحقيق معه لكشف النقاب عن حقيقته، معللين ذلك بأنهم لا يشكون بامره ولا توجد دلائل كافية لادانته، وغالبا ما يكون دفاعهم عنه ليس دفاعـا عن العمالة، وانما شعورا منهم ان التحقيق معه قد يسيء اليهم ويعرضهم للشكوك والنظرات الجارحة.

وقد تكون الشلة في بعض الاحيان ستارا لبعضهم للقيام بممارسات غير أخلاقية او لذوي النفوس الضعيفة الذين يريدون بقاء التنظيم ضعيفا للحفاظ على وجاهتهم، فالمصالح الشخصية وحب الظهور وتوفير الحماية تعتبر الدوافع الأساسية لظهور الشـلل والمحـاور، والعمـلاء يستغلونها من جانبهم ويسعون لتكريسها خدمة لادارة المعتقل وحفاظا على أنفسهم، حيـث ان وجود التنظيم القوي قد يؤدي لكشفهم والتحقيق معهم وإزاحة الستار عن حقيقتهم المتسـاقطة، وادارة المعتقل ترى في وجود الشلل خير معاون لها في ضرب الأطر التنظيمية وبالتالي أحكام قبضتها على المعتقلين، وتنفيذ مخططاتها الرامية لإفراغهم من المحتـوى الـوطني الثـوري، وكثيرا ما حدثت مشاجرات عنيفة بين الشلل والمحاور المختلفة مما أضفى على الحيـاة فـي

المعتقل جوا من المرارة والإحباط، وقد مرت كل المعتقلات في مرحلة كانت فيها السيادة لشلل والمحاور خصوصا في معتقل عسقلان بين سنوات 1972–1976، ولكن تضافر الجهود أدى في النهاية الى تثبيت الأطر التنظيمية.

4) إسقاط المعتقلين أخلاقيا او تشويه سمعتهم: ان التجمعات الكبيرة لاحد الجنسين قد تفرز انحرافات أخلاقية، فالمدارس الداخلية وثكنات الجيش والسجون يظهر فيها بعض حالات الانحراف الجنسي، لكن حدة الانحراف تختلف باختلاف عناصر هذا التجمع والأهداف التي تجمع بينهم، ونلاحظ ان نسبة المنحرفين بين السجناء الجنائيين عالية بالمقارنة مع التجمعات الأخرى لكونهم ينتمون أصلا في غالبيتهم الى العالم السفلي.

اعتقل الفلسطينيون بناء على انتمائهم لقضية وطنية شريفة، وهذا يتطلب منهم السلوك الأخلاقي المتزن والبعيد عن أي شكل من أشكال الانحراف، لكن المعتقلين ليسوا جميعا بنفس المستوى من الوعي والالتزام والخلفية الاجتماعية، ومن المحتمل تواجد بعض ذوي النفوس الضعيفة الذين يحاولون تفريغ كبتهم الجنسي باي وسيلة، والملاحظ ان حوادث الشذوذ الجنسي تزداد في أوضاع التسيب التنظيمي وبروز الشلل والمحاور، حيث لا وجود لرقيب داخلي يردع ضعاف النفوس، ولا قوة تنظيمية تعاقبهم وتردعهم.

ومن الضروري التنويه لملاحظة هامة وهي ان السقوط الأخلاقي يعتبر مقدمة للتساقط الأمني، فأجهزة المخابرات تضرب على وتر الغرائز، والكثير من العملاء خارج المعتقلات قد تم تجنيدهم لدى جهاز المخابرات عن طريق استغلال الجنس والمومسات، وبذلك يكون إسقاط الضحية أخلاقيا مقدمة تسهل وتشجع الانزلاق الى مستنقع الخيانة والعمالة، ويعمد العملاء في المعتقلات الى تغذية نوازع الانحراف من خلال التركيز في أحاديثهم على القصص الغرامية ومغامراتهم الجنسية في الخارج، والتعبير بصراحة عن كبتهم الجنسي أثناء أحاديثهم الخاصة مع أصحابهم، وأيضا من خلال الاهتمام والترويج للكتب والقصص الساقطة التي تهتم إدارة المعتقل بإحضارها الى مكتبة المعتقل، فالكتب الخليعة والقصص الغرامية تبعد المرء عن القراءة الهادفة الى ترفع من مستوى المناضل، بالإضافة الى أنها تلهب المشاعر والغرائز وتثيرها، لذات نرى ان كافة الفصائل في المعتقلات لا تشجع على قراءتها وتسعى لوضع برامج ثقافية يتم التركيز فيها على الدراسات السياسية والفكرية الخاصة بالقضية الفلسطينية والوطن العربي وغيرها من الدراسات الهادفة.

يحاول العملاء بشتى الوسائل توريط بعض المعتقلين أخلاقيا ومن ثم ربطهم بأجهزة المخابرات، وبالطبع فان من مصلحة المتساقطين أخلاقيا بقاء الأطر التنظيمية ضعيفة حتى لا ينكشف أمرهم ولا تتخذ الإجراءات الصارمة بحقهم، فالفصائل المختلفة في المعتقلات تعاقب

مرتكبي الانحراف الأخلاقي بشدة لردعهم وردع كل من تسول له نفسه السير في هذه الطريق الموحلة.

ومن ناحية أخرى يستغل العملاء هذه الظاهرة لتشويه سمعة بعض المناضـلين الشـرفاء، وذلك بان ينهض العميل من فراشه في الليل، شاتما جاره ومحاولا ضربه، معللا تصرفه بان هذا الشخص يحاول ممارسة الانحراف معه، وبالطبع يقوم التنظيم بالتحقيق بالحادثة مما قـد يسيء للمتهم الذي لم يقترف أي ذنب في الأصل، ومع تكرار هذه الحوادث انكشفت اللعبـة، ولا سيما وان بعض العملاء الذين تم التحقيق معهم اعترفوا بافتعالهم لتلك الأحداث بناء علـى توصيات من إدارة المعتقل بقصد تشويه بعض المناضلين وتحطيم نفسـياتهم خصوصـا وان بعض العملاء قد استخدموا الحبوب المنومة في احد المعتقلات لتنفيذ بعض حوادث الانحراف الجنسي،وهذا يعني ضلوع العيادة الطبية وطاقمها من الممرضين في التحـريض علـى هـذا النوع من الانحراف الهادف لإسقاط المناضلين أخلاقيا ومن ثم أمنيا.

6) محاولة إفشال أي عمل نضالي ضد إدارة المعتقل: يعيش المعتقلون داخل معتقلات الاحـتلال حالة صراع مستمرة مع إدارة المعتقلات من اجل تخفيف المعاناة عنهم وتحسـين ظـروف اعتقالهم، انهم يصارعون من اجل الحصول على حقوقهم كبشر أولا وكمناضـلين سياسـيين ثانيا، والحقوق لا تعطى ولكنها تنتزع بالنضال والتضحية، اما الإدارة فتسعى الـى تضـييق الخناق عليهم، وهضم حقوقهم،ومعاملتهم بصورة لا إنسانية بهـدف تحطـيم ومنـع تكـتلهم والتشويش على نشاطاتهم ، وكلما زاد المعتقلون من وحدتهم وتماسكهم ونضالهم كلما ازدادت الحقوق المنتزعة.

يستخدم المعتقلون أسلوب الإضراب للضغط على إدارة المعتقلات من اجل تلبيـة مطـالبهم، والتحضير للإضراب ضروري لنجاحه، وهذا العمل يستغرق بعض الوقت لتهيئة النفـوس، وترتيب الأوضاع بشكل يكفل الحد الأدنى مـن التماسـك والاسـتعداد اللازمـين لخـوض الإضراب والصراع مع إدارة المعتقل، كما يستلزم الامر اختيار التوقيت المناسب والاتصال مع وسائل الاعلام لتحريك الرأي العام واشراكه في الضغط على السلطات للاستجابة لمطالب المعتقلين.

تتمثل مهمة العملاء في هذه الظروف بالعمل على تثبيط عزيمة المعتقلين، وشق الصفوف من اجل إنهاء الإضراب بدون تحقيق الحد الأدنى من المطالب، أي العمل على إفشاله، كما يقوم العملاء بإيصال المعلومات للإدارة حول الخطوات التي ينوي المعتقلون القيام بهـا والحالـة النفسية السائدة كي تكون الإدارة على بينة من الامر فيكون بمقـدورها اتخـاذ الإجـراءات الملائمة الكفيلة بإفشال الإضراب، فالعملاء يشكلون طابورا خامسا حيث انهم يشـككون فـي

جدوى أي عمل نضالي ضد الإدارة، ويبثون فكرة ان المعتقلين لن يجنوا من هذه الخطـــوات سوى المزيد من القمع والإهانة.

وفي نهاية الإضراب يبدأ بالتشكيك في النتائج التي حصل عليها المعتقلون، ويلقون مســـؤولية عدم تحقيق كافة المطالب على عاتق المسؤولين في التنظيم، وقد يجد العملاء مـــن يصـــدق أضاليلهم من ذوي الوعي المتدني او من ذوي النفوس المرهقة التي تفضـــل الهـــدوء علـــى النضال، وقد يعمد العملاء خلال الإضراب الى التطرف مطالبين باتخاذ خطـــوات متشـــنجة بهدف جر المعتقلين الى أوضاع حرجة قد تؤدي الى نتائج سلبية، فمثلا قـــد يقـــوم أحـــدهم بالتحرش بأحد الشرطة وافتعال مشكلة معه لتقوم الشرطة بعدها باتخاذ إجراءات قمعية ضـــد المعتقلين، كما انه يهدف بهذا الى إظهار نفسه كمناضل صلب، وتقوم إدارة المعتقل باستدعائه اثر هذا التصرف المتشنج لكي يقدم لها معلومات كاملة عن الوضع الداخلي للمعتقلين ومـــدى صمودهم وتوقعاتهم المستقبلية.

وتعتبر الوحدة والتماسك في ظروف الإضراب حاسمة جدا فـــي تقريـــر النهايـــة والنتـــائج المحتملة، لذا فان العملاء يقومون ببث الخلافات وافتعال المشاكل بين الفصائل المختلفة فـــي هذه الظروف الصعبة، كما نهم يقومون بالتشكيك بمواقف الفصائل الأخرى وبث الإشـــاعات عن رغبة بعضها في إنهاء الإضراب او عن وجود خلافات في مواقفهـــا حـــول الخطـــوات الواجب اتخاذها او حول المطالب التي يجب التركيز عليها، كل ذلك بهدف فصم الوحدة التي تؤدي الى إنهاء الإضراب بدون نتيجة.

وفي حالة الإضراب عن الطعام يعارض العملاء هذا الأسلوب بحجة عدم جدواه ولانه يضر المعتقلين وقد يؤدي الى آثار صحية ونفسية صعبة، ويعتبر العملاء أول المتساقطين في الأيام الأولى للإضراب عن الطعام وذلك لخلق حالة من الاضطراب ولجر غيرهم لموضـــع فـــك الإضراب.

6 إيصال المعلومات لادارة المعتقل عن المسؤولين في الفصائل ونشاطات المعتقلين: اســـتطاع المعتقلون بعد جهود ضخمة وتضحيات غالية الى تشكيل أطر تنظيمية لهم تعمل على خدمتهم وتنظيم جهودهم وتسعى إدارة المعتقل الى ضرب هذه الأطر وشل فاعليتها والتشـــديد علـــى النشطاء الذين تعتبرهم المسؤولين عن هذه الأطر من قيادة العمل التنظيمي لـــدى الفصـــائل المختلفة، ويقوم العملاء بإيصال أسماء المناضلين النشطاء والمسؤولين لادارة المعتقل، ومن الإجراءات التي تتخذها لادارة بحق هؤلاء النشطاء القيام بنقلهم من معتقل لاخر بشكل متكرر لاعتقادها بأنهم سيحتاجون لفترة من الزمن لكي يتأقلموا مع ظروف المعتقل الجديد، كما أنها تعتقد ان عملية النقل تؤدي الى إفراغ المعتقل من العناصـــر النشـــيطة ممـــا يخلـــق حالـــة الاضطراب والتسيب، وعادة ما تتم عملية النقل بشكل مفاجئ، ومع ذلك فقد تمكن المعتقلون

من التغلب على هذه العملية بالاحتياط المستمر من خلال تهيئة عناصر أخرى للحلول مكان المنقولين في تسلم المسئولية.

يهتم العملاء بإيصال المعلومات لادارة المعتقل عن الأشياء الممنوعة التي يملكها المعتقلون وكيفية الحصول عليها وأماكن إخفائها، فمثلا كانت إدارة المعتقلات تمنع وجود أجهزة المذياع في المعتقلات بينما تسمح بها للسجناء الجنائيين، واستطاع المعتقلون الامنيون، كما اشرنا سابقا، الحصول على بعض هذه الأجهزة بطرق مختلفة وإخفائها في أماكن سرية، وعندما علم بعض العملاء بوجودها أوعزوا للإدارة بمكان وجودها حيث قامت الشرطة باجراء التفتيش المفاجئ، والبحث الدقيق عنها مما أدى في أحيان كثيرة الى اكتشافها ومصادرتها، ويحتفظ المعتقلون عادة بملفات تحوي أسماء الأشخاص المشتبه ارتباطهم بإدارة المعتقل وبعض المعلومات التي استطاعوا معرفتها حولهم، لذا فان من مصلحة العملاء معرفة اللجنة الأمنية المشرفة على الجهاز الأمني الذي يهتم بمتابعة وكشف العملاء المنغرسين بين المعتقلين.

كما يقدم العملاء تقارير كاملة عن النشاطات الثقافية التي يمارسها المعتقلون، والمواضيع التي يركزون على دراستها والمجلات التي تصدرها الفصائل المختلفة، ويحاول العملاء معرفة طرق الاتصال بين المعتقلين في المعتقل وبين الخارج والأشخاص الذين يتم الاتصال عن طريقهم، وكيفية الاتصال بين الغرف والأقسام المختلفة او بين المعتقلات المختلفة، وكثيرا ما استطاعت شرطة المعتقل ضبط الأوراق التي تحوي معلومات عن بعض نشاطات المعتقلين خلال نقلها من قسم لاخر، او خلال التفتيش عن أماكن إخفائها.

وهناك مهمة جديرة بالتنويه يقوم بها العملاء في المعتقلات وهي التجسس على الشرطة أنفسهم، فقد يحدث وجود بعض أفراد الشرطة خاصة من الموحدين الدروز المتعاطفين مع المعتقلين والذين يتغاضون عن بعض النشاطات ولا يبدون اهتماما كبيرا بها، لذا فان أفراد الشرطة يخشون التستر على تلك النشاطات خوفا من وصول ذلك لضابط الإدارة المسؤولين عنهم، وكثيرا ما نسمع بعض رجال الشرطة يبررون مواقفهم ضد المعتقلين بقولهم انهم لا يستطيعون غض الطرف عما يرونه خوفا من قيام العملاء بإيصال ذلك لمدير المعتقل الذي يتخذ بدوره إجراءات ضدهم، وقد حدث نتيجة لذلك ان تحول بعض الرجال المعتدلين في تعاملهم الى اتباع معاملة قاسية ضد المعتقلين، وكمثال على ما سبق ننقل هنا ما نقلته صحيفة الموقف في عددها الخامس عشر والصادر بتاريخ1985/10/5 من ان الشرطة أوقفت احد السجانين ويدعى الياهو، والذي يعمل في معتقل عسقلان بعد تعقبه لمدة ستة اشهر، ووجهت اليه تهمة نقل رسائل من خارج المعتقل الى المعتقلين داخل علب اللفافات وأجهزة المذياع، وقد انكر هذه التهمة قائلا بانه كان يزود المعتقلين بما يلزمهم عن حسن نية.

7) نقل أخبار التحقيقات الأمنية والأخلاقية مع المشبوهين في المعتقل: يقوم المعتقلون بالتحقيق مع المشبوهين بارتباطهم مع إدارة المعتقل او جهاز المخابرات بعد تجميع المعلومات الكافية، واثناء عملية الاستجواب يراعي السرية وعدم لفت أنظار الشرطة حتى لا ينكشف امرهم، ويحاول العملاء معرفة أخبار التحقيق والاستجواب والأشخاص المستجوبين والمحققين ونقل ذلك بأسرع وقت ممكن لادارة المعتقل، وتبادر الإدارة حال وصول هذه المعلومات الى استدعاء الشخص المستجوب لتعرف تفاصيل ما حدث معه، والمعلومات التي اعترف بها، وقد تقوم الادارة بنقل المستجوب الى معتقل آخر او الى أقسام العار التي اقامتها في العديد من المعتقلات(سنشرح عن أقسام العار فيما بعد) ، ومن المحتمل ان يكون المستجوب بريئا من تهمة الارتباط، ولكن الإدارة تشجعه على الهرب وعدم العيش مع المعتقلين والانتقال الى أقسام العار وذلك لتوريطه ودفعه الى طريق الخيانة،مصورة له ان المعتقلين سوف يقومون بفرض عقوبات صارمة بحقه إذا رجع عندهم.

يتابع العملاء ايضا حوادث الانحراف الأخلاقي، وأخبار قيام التنظيم بالتحقيق مع المنحرفين، فالعملاء يزينون لهذا المنحرف أخلاقيا الهرب وتسليم نفسه للشرطة، وأيضا يعلمون الشرطة بهذه القضايا من اجل استغلالها في إسقاطهم أمنيا.

ان ضعف الوعي وقلة التجربة في السنين الأولى جعل المعتقلين يتبعون وسائل عقابية اكثر منها علاجية او صلاحية في تعاملهم مع مشاكل المنحرفين أخلاقيا أو أمنيا، لم يكن لديهم تمييز كبير في درجة الخطر الذي يشكله العميل أو المتورط أخلاقيا، فالعقاب الصارم والردع الجسدي كان دائما الأسلوب المستخدم لمواجهة هذه الظواهر، بغض النظر الظروف التي تمت فيها، فمن الممكن ان يكون البعض قد تورط في ظروف حرجة ولكن عنده الاستعداد للتراجع والعودة الى الخلق الوطني الملتزم، من هنا فان العقوبات القاسية والنظرات لحادة تجاه الضحية قد تسد الطريق أمام عودته وتجعله عرضة للتمادي في السقوط، وفريسة سهلة أمام إدارة المعتقل المتربصة، وتشير السنوات الأخيرة الى تفادي المعتقلين الكثير من الأخطاء السابقة بحث اصبح هناك بعض التركيز على علاج ضحايا التساقط واصلاحهم بدلا من القمع والنبذ.

يلجأ العملاء الى التشكيك في عملية الاستجواب او التحقيق التي تتم مع المشبوهين، ويستغلون في ذلك الحالات العديدة التي تتم فيها التحقيق مع أشخاص أبرياء او لم تثبت إدانتهم، ولا شك ان بعض المعتقلات مرت في النصف الثاني من عقد السبعينات في أوضاع متردية بهذا المجال، خاصة معتقل نابلس، فقد سيق العشرات من العناصر الشريفة الى التحقيق والاستجواب بأيدي إخوانهم الذين وجهوا لهم تهمة العمالة، ففي تلك الفترة سيطرت على المعتقل بعض الشخصيات عديمة الوعي او حتى المشبوهة او الحاقدة قام هؤلاء

بالتحقيق مع عشرات الأشخاص البريئين مستخدمين العنف لإجبارهم على الاعتــراف زورا وبهتانا بتهمة الارتباط بإدارة المعتقل او المخابرات.

وقد كشف النقاب فيما بعد ان بعض المشبوهين الذين استطاعوا إخفاء حقيقتهم قد وصلوا الى مراكز المسؤولية في احد التنظيمات مستغلين الاعتبارات الشخصية والبلدية والمحورية ومن ثم عاثوا في الجسم الاعتقالي فسادا، يستغل العملاء فكرة ان المعتقلين يضطهدون ويوجهــون التهم جزافا.

8 التجسس على المعتقلين الجدد في زنزانات التحقيق: التحقيق عملية صــراع بــين قطبــين: المحققون الذين يسعون لابتزاز الاعتراف بشتى الوسائل، والمناضلون الذين يسعون للحفــاظ على أسرار نشاطاتهم وعلى ارادتهم من الانهيار، ويستخدم ضباط التحقيق اســاليب عديــدة لابتزاز الاعترافات من ضمنها استخدام العملاء في الزنزانات، فقد يعجــز المحققــون عــن إجبار المعتقل على الاعتراف وليس لديهم إثباتات دامغة لادانته، ولكن تســاورهم الشــكوك حول وجود بعض الأسرار لدى المعتقل الذي يرفض الإدلاء بها، لذا يتم اللجوء الى استخدام ألاعيب العملاء علها تجدي نفعا، يزود ضباط التحقيق احد العملاء بالمعلومات اللازمة حول الضحية والأسلوب الواجب اتخاذه والمواضيع التي يجب التركيز عليها لاعتقادهم بان المعتقل يحمل في صدره بعض الأسرار حولها.

يرسل المعتقل الى إحدى الزنزانات، وبعد فترة وجيزة يحضر الشــرطي المنــاوب فــي الزنزانات العميل المكلف بالمهمة في حالة تثير الإشفاق، يدخل العميل الزنزانة متظــاهرا بالإرهاق والألم الشديد نتيجة ما يسميه التعذيب الذي لاقاه على أيدي المحققــين، يصــدر العميل بعض العبارات والحركات التي تدل على تألمه مناجل لفت نظر المعتقــل الجــالس بجانبه، واثناء ذلك يوجه الحديث نحو المناضل متمنيا انتهاء هــذا الجحــيم المتواصــل، فالموت، حسب تمثيله، افضل عنده من هذه الحالة، ويفضل ان يحكم عليه عشــرين ســنة سجنا مقابل إنهاء التعذيب، فهو يدعي الصمود والصبر طوال الأيام السابقة، ولكنه بدأ يفكر جديا بالاعتراف للتخلص من العذاب، لقد صمد، حسب ادعائه، أسبوعين كاملين ولم تعد له القدرة على الصمود، ويضيف بانه مهما طال الوقت او قصر فان المحققين لن يتركوه حتى يصلوا الى غايتهم، ثم يعرب عن ندمه على هذا الصمود الذي سبب له المعانــاة والعــذاب الشديد، وفجأة يتحرش بالمناضل سائلا إياه عن طول مدة اعتقاله، وما ان يجيبه المناضــل حتى يبادره بحملة من الإحباط مفادها ان المشوار طويل وانه لا فائدة من الإنكار، كل هذه العبارات والأفكار هدفها التأثير على نفسية المناضل وإرهابه لجعله يفقد الثقة فــي أهميــة الإنكار، وأيضا لاظهار نفسه مناضلا صامدا حتى الان غم العذاب الشديد والمدة الطويلة.

ثم يحول العميل الحديث الى موضوع انتماءاته السياسية والفصائلية قائلا: "انني عضو في فصيل س، وقد نقذت عدة عمليات مع أفراد مجموعتي، ومن اجل حماية أفراد المجموعة وخوفا من الانهيار التام لا بد ان اعترف بما يخصني من المعومات، فلا بأس ان أتحمل انا كل شيء في سبيل الإبقاء على باقي الأعضاء سالمين، وأنت يا اخي هل اعترفت حتى الآن" ؟فيجيب المعتقل بالنفي، فيكمل العميل"انني اثق بك لأننا نعيش في نفس المعاناة لذا فانني استودعتك سري وانت اهل لهذه الثقة، هل عندك نشاطات هامة ام ان الامر يقتصر على مجرد الانتماء لاحد الفصائل، أي هل انت مبتدئ في نشاطك التنظيمي ام انك عريق"؟ واذا لم ينتبه المناضل الى طبيعة هذا الحديث فانه سيقع في الفخ ويبوح بأسراره للعميل الذي وثق به، وبعد انتهاء المهمة والحصول على مبتغاه، يطلب العميل من شرطي الزنزانات الخروج متذرعا بإحدى الحجج، او يعطي إشارة معينة للشرطي يفهم منها انه يريد الخروج لان مهمته قد انتهت، وفي اليوم الثاني يتم استدعاء المناضل الضحية الى التحقيق ليجد ان كل ما قاله أمام صاحبه في الزنزانات قد وصل الى المحققين.

بعد وجبات التعذيب اليومية يوضع المعتقل في زنزانة حيث يجد فيها شخصا آخر يقاسمه المكان، هذا الشخص هو العميل المكلف بالمهمة، يبدأ العميل بتشجيع المناضل، داعيا إياه الى الصمود والصبر أمام هؤلاء المحققين الذين يصفهم بالمجرمين والجلادين وشتى النعوت السيئة، ويظهر نفسه كوصي صلب وثوري عريق يتكلم عن الثورة ومعنى التضحية والفداء من اجل الهدف السامي، وقد يعطي العميل للمناضل درسا عن أساليب المحققين حتى لا يقع في ألاعيبهم، كل هذا الكلام بالطبع من اجل كسب ثقة المناضل واظهار نفسه كرجل ثوري وشريف، ويبدأ العميل بتعريف نفسه، وكيف انه أمضى حوالي الشهر في التحقيق، وصمد رغم كل وسائل التعذيب وبعد أيام قليلة سيتم الإفراج عنه حيث انه لم يثبت عليه أية تهمة،فهو بصموده قهر المحققين رغم انه يملك أسرار هامة، فهو ينتمي لتنظيم ص منذ مدة طويلة وله اتصالات مستمرة مع قيادة الفصيل في الخارج، بالطبع يختار اسم الفصيل الذي يتصور بان المناضل ينتمي له، ويطرح على المناضل استفسار حول ما إذا كان يريد أي خدمة يقضيها له في الخارج، وهنا يتصور المناضل نفسه أمام شخص مرموق ومناضل عريق استطاع الصمود وله اتصال مع القيادة في الخارج، فلا بأس عليه لو أباح له بحقيقة نفسه، ويكرر العميل القول بان التحقيق معه قد شارف على نهايته وسوف يتم الإفراج عنه خلال اليومين القادمين، وهنا يوجه سؤالا للمناضل عما إذا كان صامدا ام انه قد تهاوى، ويعرب عن خشيته من احتمال اعترافه للمحققين، وقد يرد المناضل مدافعا عن نفسه، وكله ثقة بنفسه وبمحدثه بانه لن يعترف وسيكون عند حسن ظنه، ونرى الان ان الحديث قد شارف على المواضيع الحساسة، وان

الضحية اقترب من الوقوع في الشرك، ويكمل العميل هذه التمثيلية حتى يستطيع في النهاية ابتزاز بعض المعلومات حيث تنتهي مهمته ليقوم من ثم بإيصـــالها لضـــابط المخـــابرات، ويكتشف المناضل انه وقع في الشرك ولكن بعد فوات الأوان.
ومن الطرق المستخدمة في الزنزانات للتجسس على المعتقلين الجدد وضع شخصين مـــن مجموعة واحدة في زنزانتين متجاورتين وإفساح المجال لهما للتحدث مع بعضـــهما، كـــأن يتظاهر الشرطي مثلا بانه نسي إغلاق الفتحات الصغيرة في أبواب الزنزانات، وفي هـــذه الحالة يحاول كلا المناضلين معرفة أخبار المرحلة التي وصل اليها الآخر فـــي التحقيـــق، ومن الممكن طبعا ان يتحدثوا عن بعض االمور التي لم يعترفوا بها من اجل إجراء تنسيق في المواقف أثناء التحقيق، وفي هذه الأثناء يكون العميل مستمعا لكل كلمة يقولونها، فقـــد يكون العميل موجودا في زنزانة مجاورة، وفي وضع يستطيع معه التنصت على أحاديـــث الآخرين دون ان يعلموا بوجوده.
ان الصور والأدوار التي ذكرناها ماهي الا أمثلة، انها تتغير وتتخذ أشكالا كثيرة، والمهـــم بالنسبة للمناضل أثناء التحقيق كقاعدة أساسية وجوهرية وهامة الا يتفوه بـــاي كلمـــة لـــم يعترف بها، وعليه الا يثق بأحد حتى لو كان والده او زوجته او قائـــده او الـــذي مـــارس العمل العسكري معه، ونقطة أخرى هامة على المناضل استيعابها وهـــي ان أي شـــخص يحاول معرفة لم يعترف بها، فان هذا الشخص لن يكون الا عميلا،والا فما معنى ان يطلب منه التحدث عن نشاطاته،خصوصا في الزنزانات وفي ظروف التحقيق.

طرق العملاء للاتصال مع إدارة المعتقلات وضباط المخابرات

يسلك العملاء في المعتقلات طرقا عديدة لإيصال المعلومات التي يحصلون عليها الى إدارة المعتقل، فعندما يتم توريط العميل وربطه في التحقيق، فان ضابط المخابرات المســـؤول يخبر إدارة المعتقل بذلك لترتيب الأمور، ويقوم ضابط الأمن في المعتقل بالتعرف على العميل الجديد، ويحدد له طريقة مناسبة للاتصال ونقل المعلومات، كما انه يعطيه فكرة حول الـــدور الملقى على عاتقه والمهمات التي عليه تنفيذها والقيام بها داخل المعتقل.
ونستطيع ان نعدد بإيجاز اهم المسالك والطرق للاتصال التي يسلكها العملاء بما يلي:
1.طريق الممرض في العيادة: وجدت العيادة أساسا لمعالجة المرضى وتقديم الدواء اللازم، ولكن إدارة المعتقل حولتها الى وكر يجري فيه الاتصال بالعملاء وإسقاط ضحايا جدد مـــن خـــلال

استغلال آلامهم وجروحهم، ويذهب العميل الى العيادة بحجة المرض حيث يتظاهر بأنه مريض وبحاجة لان يذهب الى العيادة لمقابلة الطبيب او الممرض، ففي العيادة يسلم العميل المعلومات التي بحوزته للممرض ويتلقى منه التوجيهات المناسبة لعمله ضد المعتقلين.

لقد تحولت كل العيادات الطبية في المعتقلات الى أماكن للعملاء وأماكن لاستقطاب عملاء جدد، وهذا ما دعا المعتقلين الى النظر بريبة الى هذه الأمكنة وعدم السماح بالذهاب اليها الا عند الضرورة القصوى، ووصل لامر الى ان ينظر المعتقلون بريبة الى كل من يتردد على العيادة بغض النظر فيما اذا كان مريضا او متمارضا، ويحرج هذا الامر العديدين الذين يفضلون تحمل الألم على تحمل نظرات الآخرين وتعليقاتهم الحادة.

2. الاتصال مع شرطة المعتقل: قد يحدد ضابط الامن للعميل شرطيا محددا كحلقة اتصال بين الطرفين، يمارس هذا الشرطي وظيفته في مكان قريب من تواجد المعتقلين، أي في الساحة او في الممرات التي تربط بين الغرف وأقسام المعتقل، كما يراعى في الشرطي الذي يقع عليه الاختيار ليكون حلقة الاتصال ان يكون من النوع الاجتماعي الذي يتظاهر بتساهله ومعاملته الجيدة للمعتقلين، وعندما يريد العميل إيصال معلوماته يغتنم فرصة يكون الشرطي خلالها بعيدا عن المعتقلين فيقترب منه ويتظاهر بالتسليم عليه أو التحدث معه كأمر عادي، وخلال ذلك يسلمه الأوراق التي تحوي المعلومات، وقد تكون المعلومات شفوية فينقلها اليه أثناء الحديث، وقد انتبه المعتقلون الى هذه الطريقة، فقاموا من جانبهم بتحديد علاقتهم مع شرطة المعتقل وامتنعوا عن التحدث معهم الا عند الضرورة وبحضور مسؤول الغرفة الذي يختاره المعتقلون من بينهم ليكون همزة الوصل بين الشرطة وبينهم، واصبح المعتقلون ينظرون بارتياب لكل من يكثر التحدث مع الشرطة، وهذه التقييدات لها ما يبررها مع انها كانت تصل الى درجة مبالغ فيها، والى درجة وصل الاعتقاد فيها لدى العديد من المعتقلين ان الشرطي كائن آخر له قوة خارقة تجعل أي اتصال بين المعتقل والشرطي يكون صالح الشرطي، ويمكن ان يفسر هذا العمل جزئيا بانه نوع من اهتزاز الثقة بالآخرين، وهذا بالضبط ما كانت تهدف إدارة المعتقل الى تحقيقه والوصول اليه.

3. الذهاب الى مشفى معتقل الرملة: يوجد في معتقل الرملة مشفى مركزي، ومن المحتمل ان يقرر الطبيب إرسال المريض من احد المعتقلات الى هذا المشفى بهدف اجراء فحوصات او عملية جراحية، والطبيب يعطي العميل معاملة خاصة في هذا الامر من اجل إفساح المجال له لمقابلة ضباط المخابرات الذين يستمعون الى شرح منه حول الادوار التي نفذها وحول المهمات الجديدة التي يمكن ان يقوم بها، وفي أثناء هذا اللقاء يجري الحديث أيضا حول الوعود التي قطعها ضباط المخابرات للعميل بالإفراج عنه او تخفيف مدة حكمه، يجدد الضابط هذا الوعد،

محذرا العميل من مغبة التوقف عن الامتثال لأوامره، معلنا بانه سيخبر المعتقلين بأمره بطرقة غير مباشرة ليقوموا بالتحقيق معه ومعاقبته.

4. طلب مقابلة مدير المعتقل: يقوم المدير كل فترة بالسماح للمعتقلين بمقابلتـه لبحـث الأمـور والمشاكل الخاصة بهم، ويتم تسجيل أسماء الراغبين في المقابلة قبل موعـد أجرائهـا عـن طريق احد الشرطة المختصين بهذا الموضوع،يطلب العميل تسجيل اسمه للمقابلـة متـذرعا بإحدى الحجج لاخفاء حقيقة امره، وعادة ما تتم المقابلة بين المدير والمعتقل بشكل فـردي، وبهذا يستطيع العميل تبادل المعلومات مع الإدارة والتداول حول ما يجب عمله، وقـد انتبـه المعتقلون لهدا الأمر فيما بعد فاتخذا بعض الإجراءات لغلق هذه الطريق مثل منـع إجـراء المقابلات الا للضرورة القصوى، والطلب من إدارة المعتقل ان تحل كثيـرا مـن الطلبـات الخاصة عن طريق ممثل المعتقل او عن طريق احد الشرطة المختصين بهذا الموضوع حيث يحضر الى غرف المعتقل ويسجل الطلبات بدون إجراء مقابلة فردية مع مدير المعتقل.

5. الاتصال من خلال مرافق العمل: أقام الاحتلال في معتقلاته مشاغل عديـدة ليشـتغل فيهـا المعتقلون لقاء اجر زهيد يساعدهم على شراء بعض الحاجيات كالشاي والقهـوة واللفافـات، وتستغل الإدارة هذا الوضع لتوريط بعض المعتقلين، وحيث انهم يخرجون للعمل،فانـه مـن السهل الاتصال بهم عن طريق المشرف على المشاغل، ويهدف الاحتلال مـن ايجـاد هـذه المشاغل الى استخدام طاقة المعتقلين في أعمال منتجة تدر الأرباح على سلطات الاحـتلال، أي تحويل هؤلاء المعتقلين من مناضلين الى عمال منتجين يفيدون الاحتلال، وبسبب الـدور السلبي الذي لعبته مرافق العمل قرر المعتقلون في النهاية وبشكل تدريجي وضع حـد لهـا، حيث امتنعوا عن العمل في مرافق العمل الإنتاجية، واقتصروا على مرافق العمـل الخاصـة بشؤونهم مثل المطبخ والمغسلة.

6. افتعال المشاكل مع الشرطة: يلجأ العميل الى افتعال مشكلة مع احد الشرطة، او القيام ببعض الأعمال التي تعاقب الإدارة مرتكبيها كإشعال النار في الغرفة لتجهيز الشاي، ويعتبر الاشتباك بالأيدي بين بعض المعتقلين سببا لاستدعاء المشتركين في المشكلة الى مدير المعتقل لمعرفة سبب الشجار، ونفس الشيء بالنسبة لعدم التقيد بالانضباط أثناء دخول الشرطة الى الغـرف لإجراء العد، باختصار هناك أسباب كثيرة قد يستغلها العميل او يقوم بافتعالهـا لكـي تقـوم الشرطة بأخذه الى الزنزانات كعقاب له، ومن هناك يمكنه لالتقاء مع ضابط الأمن او غيـره لإيصال المعلومات.

7. إيصال المعلومات عن طريق عميل آخر: قد يفتقر احد العملاء الى إمكانيات تتيح له المجال للاتصال مع الإدارة بسهولة، فقد يكون احد العمال في المطبخ او المغسلة او احد المرضـى

الذين يتواجدون بكثرة في العيادة عميلا ومن الممكن ان يقوم باستلام التقارير والمعلومات من بعض العملاء الآخرين وإيصالها بدوره لادارة المعتقل.

غرف العار

غرف العار هي امتداد لأجهزة السلطة القمعية بأيدي فلسطينية لمساعدة المخابرات في عملها، حيث يتم فيها المواجهة بين المناضل الصامد المزيف"العميل" الذي يطالبه بالمعلومات الوافية، وغرف العار هي غرف العملاء الذين سلموا أنفسهم لادارة المعتقل،وفروا من الغرف التي يتواجد فيها المعتقلون، وهناك تحولوا الى أدوات بأيدي المخابرات الإسرائيلية، حيث يقومون بأدوار تخريبية ضد المعتقلين الجدد لابتزاز المعلومات منهم.

بدأت تظهر مواخير العار منذ عام 1977 حين تم فتح غرف خاصة داخل المعتقل منفصلة عن أماكن تواجد المعتقلين لتكون مقرا للعملاء والمتساقطين، وقد تم فتح هذه الغرف في البداية في معتقل نابلس القديم في الجزء الشرقي من المعتقل، وتقع غرف العملاء في القسم الذي يضم السجناء الجنائيين وهو مفصول تماما عن بقية أقسام المعتقل، وفي معتقل عسقلان يوجد أيضا قسم خاص يضم المتساقطين والهاربين ويمارسون فيه مهماتهم الخيانية، وبعد النجاح الذي حققته هذه الأقسام في الإيقاع بالمعتقلين الجدد قامت السلطات بافتتاح المزيد منها حيث تم افتتاح قسم في معتقل جنين واخر في معتقل رام الله.

ان عمل الخونة والعملاء في مواخير العار يعتبر اكثر نجاعة من عملهم في الزنزانات، فالمناضل الجديد يكون في حالة تحفز دائم أثناء فترة التحقيق، لذا فان إمكانية الإيقاع به في الزنزانات عن طريق العملاء تعتبر قليلة، لشعور المناضل ان الزنزانات هي أماكن غير آمنة، لذا فان الصمت وعدم الإفصاح عن مكنونات صدره تعتبر افضل حتى يستطيع اجتياز هذه المرحلة بسلام، ومن هذا المنطلق فقد عمدت سلطات الاحتلال الى تطوير عمل الخونة ليقوموا بعملهم بشكل جماعي في الإيقاع بالمعتقلين الجدد.

وقد ظهرت غرف العار اثر تزايد عدد العملاء الهاربين من الأقسام التي يعيش بها المعتقلون، عمل بعض العملاء الذين قامت الفصائل بالتحقيق معهم او الذين يشعرون بان امرهم قد انكشف على تسليم أنفسهم لادارة المعتقل خوفا من العقاب الذي ينتظرهم، اما قبل افتتاح الأقسام الجديدة كان يمارس العملاء أدوارهم في الزنزانات، ومع تزايد عددهم فان الزنزانات لم تعد مكانا مناسبا لتواجدهم، فاستقر رأي سلطات الاحتلال على افتتاح أقسام

خاصة بعيدة ومنفصلة عن الأقسام التي يتواجد بها المعتقلون حيث يعيش بها هؤلاء المتساقطون لوحدهم او بالقرب من المعتقلين الجنائيين كما هو الحال في معتقلي جنين ونابلس.

ساهم المعتقلون في ظهور أقسام العار وذلك من خلال اتباعهم أساليب عقابية ضد العملاء الذين تم التحقيق معهم وعدم اتباع الأساليب العلاجية ، وأيضا من خلال رفضهم لتواجد العملاء المكشوفين للعيش بينهم، ففي بعض الاحيان كان المعتقلون يجبرون العميل الذي يتم التحقيق معه ومعاقبته على الهرب من عندهم، وفي السنين الأخيرة وبعد ظهور النتائج السلبية لهذه السياسة اتجهوا نحو الإبقاء على العميل المكشوف بينهم بكل السبل حتى لا يقوم بتسليم نفسه والهرب الى غرف العار، فالعميل المكشوف والذي يعيش بين المعتقلين يعتبر عديم الفائدة وعبارة عن لغم ابطل مفعوله لذا فانه لا خوف عليهم من وجوده ما دام تحت أعينهم ومراقبتهم الدائمة.

وتستخدم السلطات غرف العار لتحقيق أهداف عديدة، فهي قد تستخدم العملاء المتواجدين فيها لاهداف سياسية، فعندما وقع النظام المصري بقيادة السادات على اتفاقيتي "كامب ديفيد" الاستسلامية، قام المتواجدون في قسم العار في معتقل عسقلان بإرسال رسائل التأييد تحت اسم حركة السلام الفلسطينية، وروجت أجهزة الأعلام الإسرائيلية في حينه لهذه الرسائل باعتبار ان الموقعين عليها يمثلون قطاعا هاما من المعتقلين الفلسطينيين الذين يؤيدون المسيرة السلمية، فسلطات الاحتلال حاولت ان تشكل منهم تجمعا مشبوها على غرار روابط القرى في الأراضي المحتلة.

وتركز سلطات الاحتلال من خلال ايجاد أقسام العار على إظهار قصر النفس النضالي لدى المعتقلين الفلسطينيين على اعتبار ان المتواجدين في هذه الأقسام كانوا مناضلين ولكنهم انسلخوا عن الثورة مقابل الخروج من المعتقل او تخفيف مدة حكمهم، أي أنها تهدف الى التشكيك بصمود المناضلين ومدى تمسكهم بأهداف الثورة، هذا بالإضافة الى ان هؤلاء المتساقطين يحاولون رسم صورة سوداوية عن المعتقلين أمام الجماهير من خلال تشويه الواقع أمام أهاليهم والتلاعب بعواطفهم واظهار أنفسهم ضحايا صراعات داخلية بين المعتقلين، ولكن الهدف الأهم والدور الأكثر حيوية الذي يمارسه العملاء في أوكار العار فهو الإيقاع بالمعتقلين الجدد وابتزاز المعلومات منهم ومساعدة ضباط التحقيق بعملهم في هذا المجال، لذا فإننا سنتناول هذه المهمة بشيء من التفصيل بسبب أهميتها وتأثيرها السلبي الواضح.

نزلاء غرف العار

تضم غرف العار العملاء المتواجدين داخل غرف المعتقلات ويمكن تصنيفهم الى عدة أنواع

1. العملاء الذين شعروا بافتضاح أمرهم لدى المعتقلين، لذا قرروا الهرب ليعيشوا بعيدا خوفا من التحقيق والعقاب الذي قد يوقعه التنظيم في المعتقل ضدهم.
2. العملاء الذين تم التحقيق معهم وقرروا تسليم أنفسهم لادارة المعتقل أثناء التحقيق خوفا من العقاب الذي قد يفرضه التنظيم عليهم.

هذان النوعان من العملاء لم يستطع المعتقلون التعرف على تفاصيل نشاطاتهم ضد المعتقلين او في الخارج، لذا فانه من الممكن ان يدعي بعض هؤلاء العملاء بأنهم لم يهربوا من الأقسام المتواجدين فيها لان لهم ارتباطات سابقة مع الإدارة او أجهزة المخابرات، بل لان بعض المعتقلين حاولوا تشويه سمعتهم وإلصاق تهمة العمالة عليهم وفرض العقوبات الصارمة ضدهم، لذا فانهم قرروا الهرب خوفا من بطش المعتقلين، او قد يدعون بأنهم هربوا نتيجة لخلافات شخصية او سياسية مع مسئولي الفصائل التي كانوا ينتمون اليها داخل المعتقل.

3. العملاء الذين تم التحقيق معهم واعترفوا بارتباطهم وتوريطهم ونالوا العقاب الذي فرضه التنظيم عليهم، ولكنهم اصبحوا يشعرون بوضع اجتماعي ونفسي حرج، حيث انهم لم يستطيعوا العيش والتوافق مع الجو العام السائد بين المعتقلين.

ولا شك ان معاملة المعتقلين لمن تم التحقيق معه جافة وقاسية، حيث يرفض الأغلبية الساحقة من المعتقلين التحدث إليهم او الجلوس معهم، وينظرون إليهم بازدراء واحتقار كرد فعل على عمالتهم، فهم يعيشون في عزلة اجتماعية لا سيما وان مختلف الفصائل كانت تفتقر الى برامج الإصلاح لانها اعتقدت ان حالة العملاء ميؤوس منها فلا حاجة للقيام باي جهد من اجل إعادتهم الى الصف الوطني او تخليصهم من سطوة وسيطرة ضباط المخابرات على نفوسهم.

4. بعض السجناء الجنائيين الذين ارتبطوا مع إدارة المعتقل والمخابرات ووافقوا على العيش في هذه الأوكار وتنفيذ المهام التجسسية لقاء وعد بالإفراج عنهم او تخفيف مدة محكوميتهم، وربما كان بعضهم أصلا وقبل دخوله المعتقل قد ارتبط مع جهاز المخابرات الإسرائيلي.
5. بعض المعتقلين الذين ارتكبوا أعمالا منحرفة أخلاقيا، واثناء التحقيق معهم من قبل المعتقلين او بعد التحقيق سلموا أنفسهم لادارة المعتقل التي قامت بوضعهم في أقسام العار لتوريطهم وإسقاطهم أمنيا وسد الطريق أمام إمكانية عودتهم الى الصف الوطني.

وتحاول إدارة المعتقلات دائما زيادة عدد المتواجدين في أقسام العار، فهي تشجع من طرف خفي او صراحة العديد من المعتقلين على الانتقال الى هذه الأقسام، ففي حالة حدوث خلافات ومشاجرات بين عناصر من فصائل مختلفة او بين أبناء الفصيل الواحد او حتى عند قيام أي فصيل بمعاقبة احد عناصره لارتكابه مخالفة ما، ويصل الامر لادارة المعتقل فانها تقوم باستدعاء هؤلاء وتصور لهم ان وضعهم في خطر وانهم قد يتعرضون للقتل أو الضرب وتنصحهم بالانتقال للعيش في الأقسام المخصصة للعملاء والهاربين.

أساليب عملاء غرف العار

قلنا ان الهدف الرئيسي لإنشاء غرف العار هو المساعدة في انتزاع الاعترافات من المعتقلين الجدد، حيث تفشل وسائل تعذيب المخابرات وأساليبها المباشرة الأخرى، ويتم تحقيق ذلك عبر الأساليب التالية:

1. إظهار الاهتمام بالمعتقل الجديد والشعور معه لمحنته: عندما تقرر المخابرات إرسال احد المعتقلين الى هذه الأقسام بسبب عدم استطاعتها انتزاع الاعتراف منه فإنها تخبر العملاء بذلك وتكلف أحدهم بدور مركزي في تنفيذ المهمة، وتزوده بالمعلومات المتوفرة عنه واللازمة، ما ان يصل المناضل الى هذه الغرف حتى يتلقفه العملاء بالبشاشة والترحاب، مهيئين له مكانا مناسبا للجلوس والاستراحة، ويحضرون له الشاي واللفافات والطعام، ويقدمون له الملابس النظيفة الفظيعة لكي يلبسها بعد الاستحمام لا سيما وانه لم يستحم منذ اعتقاله ولم يستبدل ملابسه أيضا، ويجلس العملاء حوله مرحبين ومشجعين، ويشعرونه بانه الآن بين إخوانه المناضلين فلا خوف عليه بعد ان اجتاز محنة التحقيق لدى المخابرات، ان الهدف من كل هذه الإجراءات هو إدخال الثقة في قلب المناضل بانه في مكان امين ومع أناس ثوار يشاركونه المشاعر والأحاسيس، ولا شك ان هذه المعاملة تترك أثرا بالغا في نفس المناضل الجديد الذي قضى أياما طويلة في التحقيق تحت وطأة التعذيب والإهانة.
2. إظهار التقوى والتدين: وعندما يحين وقت الصلاة سواء كانت المغرب او العشاء فان المتواجدين في الغرفة ينهضون لادائها مما يشعر المناضل بان هؤلاء على جانب كبير من التقوى والصلاح والأخلاق الفاضلة بالإضافة الى كونهم مناضلين وثوارا.
3. ادعاء الثورية والوطنية وتمثيل الثورة بكل فصائلها: بعد إعطاء الوافد الجديد قسطا من الراحة يجتمع الموجودون في الغرفة حوله للتعارف، ويبدءون بالتعريف بأنفسهم مفتعلين

بعض أسماء الاخوة والرفاق الشرفاء الموجودين في المعتقلات، كما ينتحلــون انتمــاءات وطنية تنظيمية مختلفة ويدعون صدور أحكام عالية بحقهم، ويبدأ أحدهم بالتحدث عن واقع المعتقل حيث انه واقع منظم، ولكل فصيل قيادته الخاصة، ويتحدث عــن العلاقــة بــين المعتقلين وادارة المعتقل التي يصفها بابشع الصفات، وكيف انهم بصــمودهم ووحــدتهم استطاعوا فرض وجودهم رغم انف الإدارة التي تحاول التضييق عليهم وهضم حقــوقهم، وهكذا يستمر الحديث حول الثورة والتحقيق ونضال المعتقلين وغير ذلك من اجل تهيئــة المعتقل الجديد للخطوة القادمة.

بعد فترة قصيرة ينسحب المتواجدون كل الى مكانه،ويتركون المعتقل الجديد مع المكلــف لايقاع به، والذي يكون قد تحدث عن نفسه أثناء جلسة التعارف باعتباره مسؤول التنظيم- يتم اختيار اسم الفصيل الذي من المحتمل ان يكون المعتقل الجديد منتميا اليه- يبدأ العميل بالتحدث عن نفسه بشكل هادئ على انه الموجه العام للتنظيم وباستطاعته الاتصال مع قيادة التنظيم في الخارج، ويطلب منه ان يتحدث بالتفصيل عما اعترف عنه لدى المخابرات وما لم يعترف به حتى يتولى هو اعلام القيادة في الخارج لاتخاذ التدابير اللازمة، فــان كــان بحوزته أسلحة او متفجرات فلا يجوز ان تبقى مخزونة بدون استعمال بل لا بد من تسليمها لإحدى الخلايا العاملة في الأرض المحتلة، وان كان مع المعتقل الجديد عناصــر آخــرين ضمن خلية سرية فمن الضروري الإسراع بإعلام القيادة حتى تتدبر أمرهم حتى لا يقعــوا في الأسر، يتخذ العميل المكلف كل ذلك بشكل جدي باعتباره مسؤولا يهمه الامر شخصيا وتنظيميا ووطنيا، ويطلب من المعتقل الجديد كتابة كل ذلك على ورقة من اجــل إرســالها للخارج، ومن اجل طمأنة المعتقل يشرح العميل له كيفية تهريب هذه المعلومات حيث انــه يتم كتابتها بشكل رموز وأرقام لا تستطيع سلطات الاحتلال معرفة ما تعنيه فيما و وقعــت بأيديها.

واثناء هذه الجلسة يشارك العملاء الآخرون في التمويه والخداع، فهذا يجلس قرب البــاب، وذاك يتمشى في الغرفة لمراقبة تحركات الشرطي المناوب وخوفا مــن تفتــيش مفــاجئ، وهكذا قد يقع المناضل في الشرك بسبب نقصان الخبرة وقلة الوعي، وسيجد ان كل ما كتبه قد وصل لايدي المخابرات التي تقوم باستدعائه في اليوم التالي ومواجهته بها.

اما اذا لم ينجح الأسلوب الهادئ فانه يتم استخدام أسلوب التهديد بالعنف والاتهام بالعمالــة، فإذا كان المناضل الجديد قد اعترف ببعض الأشياء لدى ضباط التحقيق ولكــنهم يشــكون بوجود معلومات أخرى يخفيها رغم التعذيب الذي أوقعوه عليه فانه يرسل الى غرف العار، فان لم ينجح الأسلوب السابق فان هؤلاء العملاء يبدءون بتهديده واتهامه بالانهيار والعمالة، ويقول العميل المكلف للمناضل: "لقد اعترفت بكل ما لديك للمخابرات، وهذا يعنــي انــك

انهرت في التحقيق وتعاونت مع المحققين، اذن أنت عميل ولهذا السبب تم إحضارك الى هذه الغرفة بالذات والتي هي مقر قيادة المعتقل واصحاب الأحكام العالية"، يقال له "قد أرسلتك المخابرات للتجسس علينا"، وقد يتم في هذه الجلسة الصاخبة استخدام بعض العنف كان يضربه العميل المكلف صفعة على وجهه، بينما يقوم العملاء الآخرون بإبراز الشفرات والعصي والآلات الحادة بشكل تظاهري واضح مناجل إدخال الرعب في نفس المناضل والتأثير على نفسيته.

لا شك ان هذا الأسلوب ذو تأثير نفسي بالغ، فالمناضل يرى نفسه وقد صمد أمام ضباط المخابرات في التحقيق وتحمل العذاب الشديد، والآن يتهم بأنه عميل من قبل إخوانه الثوار، فلا بد من تفنيد هذه التهمة، وتفنيد التهمة يكون عن طريق النشاطات التي مارسها في الخارج، أي الاعتراف لهم بنضاله واعماله ضد الاحتلال، وبهذه الطريقة يقع الضحية في الفخ ويعترف العملاء بما لم يعترف به لدى المخابرات.

وفي الحالة التي يكون فيها المعتقل الجديد غير معترف باي شيء لدى المخابرات فان التمثيلية تأخذ طابعا آخر، فاثناء جلسة التعارف يعرف المتواجدون في الغرفة أنفسهم على انهم من فصائل مختلفة، وعندما يعلن المعتقل بانه غير منظم فان كل فصيل يحاول ان يقنعه بالانضمام اليه وذلك لمعرفة الى أي الفصائل هو اميل، فالميل لفصيل معين قد يكون مؤشرا لانتمائه الذي يخفيه، فان استجاب المعتقل لاحدهم فان من ينتحل صفة المسؤول في هذا التنظيم يجلس معه على انفراد ويستكمل المسلسل الذي شرحناه في السابق.

لقد أدى العملاء في أوكار العار خدمات هامة لسلطات الاحتلال، حيث ان العشرات من المعتقلين الجدد قد اعترفوا عن طريقهم بعد الصمود الصلب الذي واجهوا به ضباط المخابرات، ويعتبر ضعف الوعي وقلة التجربة سببا رئيسيا في وقوع هؤلاء المعتقلين في الشرك، فالمناضل الواعي يعرف بانه ليس من الحكمة ان يتفوه باي كلمة لاي شخص مهما كان مستواه، فهو كتفي بتكرار ما اعترف به أمام المحققين فقط، وحتى لو كان المتواجدون معه في الغرفة ثوارا حقيقيين وليسوا عملاء فليس من مصلحته ولا من حقهم ان يتحدث باي معلومات قد تضره، فمسؤول التنظيم في المعتقل لا يملك أداة اتصال سحرية تتيح له الاتصال بسهولة ويسر مع القيادة في الخارج، فهذا المسؤول كغيره من المعتقلين لا يستطيع نقل اي معلومات بسهولة ويسر.

متابعة العملاء والتحقيق معهم

ان مهمة متابعة العملاء ومراقبة تحركاتهم تقع بصورة أساسية على عـاتق الجهـاز الأمني في التنظيم، ويتكون الجهاز الأمني من لجنة أمنية ثلاثية ومن عناصر منتشرة فـي كافة الغرف والأقسام، هذه العناصر مكلفة بملاحظة أي تصرف مشبوه ومتابعة تحركـات العناصر المشبوهة وكتابة التقارير حولها وإرسالها الى اللجنة الأمنية، وهذه اللجنـة تقـوم باستلام التقارير من عناصر الأمن ومن غيرهم من عناصر التنظيم، حيث تقوم بفحصـها وغربلتها وتحليلها، وعندما تدور الشبهات حول احد الأشخاص باحتمال ارتباطـه بـإدارة المعتقل او المخابرات فان اللجنة الأمنية تركز اهتمامها عليه وتفتح ملفا خاصا بالمعلومات الواردة عنه، ويتم كتابة هذه الملفات برموز خاصة"شيفرة"، والاحتفاظ بها في أماكن سرية كي لا تقع في أيدي إدارة المعتقل، ومع تراكم المعلومات حول شخص ما قد تصل اللجنـة الأمنية الى قناعة أولية بان هذا الشخص متورط بالعمالة وان المعلومات المتـوفرة حولـه كافية لادانته بدرجة كبيرة، تعرض اللجنة الأمنية هذه المعلومات الـى اللجنـة الإداريـة المسؤولة عن التنظيم حيث يتم فحصها بدقة للتأكد من أهميتها وكفايتهـا لاتخـاذ القـرار المناسب، واذا اتخذت اللجنة قرارا بكفاية هذه المعلومات فإنها تقرر اسـتجواب المشـتبه بامره، ولتنفيذ هذه المهمة يتم اختيار لجنة تحقيق خاصة من عناصر التنظيم المؤهلين للقيام بهذه المهمة والمتواجدين في غرفة المشبوه، وتتخذ لاحتياطات اللازمـة لضـمان سـرية التحقق وعدم وصول الامر لادارة السجن، وبعد تناول وجبة العشاء وقدوم الليـل تباشـر لجنة التحقيق مهمتها، يوضع المشبوه في زاوية الغرفة بحيث لا يستطيع الشرطي المناوب في القسم ملاحظة أي شيء غير اعتيادي، وتواجه اللجنة المشبوه بالمعلومات التي بحوزتها وفي البداية يكون التحقيق هادئا بدون استخدام العنف، فإذا تجـاوب المشـبوه واعتـرف بارتباطه والنشاطات التي نفذها فان التحقيق ينتهي بسرعة وبدون مضاعفات او اسـتخدام وسائل أخرى، ولكن الغالبية العظمى من المشبوهين ينكرون الاتهامات في البدايـة ممـا يؤدي الى استخدام العنف ضدهم لإجبارهم على الاعتراف، وقد يستمر التحقيق طوال الليل او عدة ليالي متتابعة حتى يصل المشبوه إلى قناعة بانه لا مفر من الاعتراف، وفي أثنـاء النهار يكلف بعض عناصر التنظيم بمرافقة المشبوه أثناء"الفورة" كي لا يقوم بتسليم نفسـه لشرطة المعتقل، وهذه العناصر مكلفة بحراسته ومنعه من تسليم نفسه بكل الوسائل المتاحة،

فاذا حاول تسليم نفسه فان عناصر الحراسة مكلفة بضربه، وفي عملية الضرب قـد يـتم استخدام أدوات حادة كالشفرات والسكاكين.
المهم ان عملية التحقيق والاستجواب تستمر حتى يعترف بعمالته ويكتب اعترافه بخط يده، وترسل هذه الاعترافات الى اللجنة الإدارية التي تدرسها بعناية لمعرفـة مـدى صـحتها وامكانية وجود ثغرات فيها او احتمال وجود معلومات أخرى يخفيها العميل، وعندما تصل اللجنة المكلفة بالتحقيق واللجنة الإدارية الى قناعة بان العميل قد اعترف بكل ما ليده حول كيفية ارتباطه والظروف التي أدت الى التورط، والنشاطات التي قام بها لصالح المخابرات في الخارج ان كان قد ارتبط قبل دخوله المعتقل، والنشاطات والمهمات التي نفذها داخـل المعتقل، والنشاطات والمهمات التي نفذها داخل المعتقل ضد المعتقلـين، تـدرس اللجنـة الإدارية هذه الاعترافات وعلى ضوئها تقرر العقوبة اللازمة بحقه والمتناسبة مـع حجـم المهمات التي قام بها لصالح سلطات الاحتلال.
والعملاء يختلفون في خطورتهم والمهمات التي قاموا بها، فمنهم من نفذ أعمالا إجراميـة ضد الشعب والثورة مما أودى بحياة بحياة بعض الأشخاص ويستدعي عقوبة قاسـية قـد تصل الى حد تنفيذ حكم الإعدام، وقد تم تنفيذ الإعدام بحالات عديدة في مختلف المعتقلات، وعندما تقرر قيادة التنظيم تنفيذ الإعدام بحق أحد العملاء فانها تكلف بعض الأشخاص ذوي الأحكام العالية والذين لديهم الاستعداد للقيام بمهمة التنفيذ، وعادة مـا يتحمـل مسـؤولية الإعدام شخص او شخصان فقط يعترفان بعد التنفيذ لدى إدارة المعتقل بما قاما به، تقـوم إدارة المعتقل بإرسال المنفذين الى الزنزانات للتحقيق معهما وتوجه ضدهما تهمة القتل مع سبق الإصرار ومن ثم تقدمهما للمحاكمة.
وهناك عملاء اعترفوا بارتباطهم ولكنهم لم يقوموا بأدوار خطيرة، فهؤلاء يصدر بحقهـم عقوبات الجلد وتجميد عضويتهم ووضعهم تحت المراقبة الدائمة، وفي أحيان كثيرة وكمـا أشرنا آنفا يسلم العملاء أنفسهم لادارة المعقل التي تبادر بإرسالهم الى الزنزانـات للإقامـة الدائمة اوالى غرف العار بعدما تم افتتاحها.
وعلى العموم فان العقوبة التي يوقعها التنظيم بحق العملاء تختلف في شدتها مـن معتقـل لآخر، ففي المعتقلات التي تضم المعتقلين ذوي الأحكام العالية كمعتقلات عسـقلان وبئـر السبع ونفحة يمكن تنفيذ حكم الإعدام بحق العملاء الخطرين بسهولة بسبب توفر الاستعداد لدى المحكومين بالمؤبد او مدى الحياة على تنفيذ هذه المهمة وتحمل تبعاتهـا، امـا فـي المعتقلات التي تضم الموقوفين وذوي الأحكام المنخفضة، فان إعـدام أي عميـل يلاقـي عراقيل كثيرة من أهمها عدم استعداد الغالبية الساحقة من المعتقلين تنفيذ هـذه المهمـة لا سيما وان سلطات الاحتلال ستقدم المنفذين للمحاكمة حيث تصدر بحقهم أحكاما عالية تصل

المؤبد، وبالتالي فان المعتقل المحكوم عليه سنة او سنتين يصعب عليه كثيرا ان يضاف الى حكمه السابق حكم جديد ومرتفع.

كما ان الظروف السائدة في المعتقل لها دور كبير في تحديد العقوبة على العميل الذي يعترف بارتباطه، ففي ظل الظروف الاعتقالية التي تسود فيها الأطر التنظيمية القوية والالتزام المتين من قبل العناصر بهذه الأطر فان احتمال إصدار أحكام بحق العملاء أقوى مما لو كانت الأوضاع الاعتقالية مهلهلة والوضع التنظيمي ضعيف.

وفي نهاية الحديث حول التحقيق مع العملاء لا بد من التنويه الى بعض الأخطاء التي حدثت في المعتقلات في هذا المجال، ان المشبوهين بارتباطهم يتم التحقيق معهم بناء على المعلومات المتوفرة لدى اللجنة الأمنية وتعتمد أهمية هذه المعلومات وكفايتها على تقرير أعضاء اللجنة، أي انها تعتمد على مستوى الوعي والأمانة التي يتحلى بها هؤلاء الأعضاء لذا فمن الممكن إجراء تحقيق مع أشخاص شرفاء بناء على معلومات غير كافية أو معلومات خاطئة مما يسبب إلحاق الظلم بهؤلاء الأشخاص والتأثير على نفسياتهم وموقعهم من العمل الوطني، وهناك من يتعمد اتهام الآخرين لاسباب شخصية، لقد حقق مع العديد من الأبرياء، وفي إحدى الحالات تم إعدام شخص لم يعترف من قبل محققين جهلة ومتشنجين، وقد استغل العملاء هذه التجاوزات للتشكيك بكل التحقيقات والاستجوابات التي حدثت في المعتقل، ولا شك ان ارتكاب بعض التجاوزات بالإضافة الى فرض أجواء غير اعتيادية أثناء التحقيق قد زادت من التوتر النفسي لدى الكثيرين في المعتقلات.

ان ظاهرة العملاء في المعتقلات مثيرة للمعتقلين عموما وذات نتائج سلبية، وهذا ما دفع المعتقلين الى التشدد في معالجتها وإغلاق المنافذ أمام العملاء، وقد أدى التشدد المفرط أحيانا الى تأثيرات سلبية علىة نفسيات المعتقلين، فمثلا إذا كانت العيادة الطبية تستخدم لتجنيد العملاء أو الاتصال بهم، فان الذهاب اليها يثير الشبهة مما أحرج الكثيرين لدى ذهابهم للعيادة للعلاج، وإذا كان الشرطي حلقة اتصال بين العملاء والإدارة فيجب على المعتقلين عدم التحدث إطلاقا مع الشرطة وإذا صدف وحاول الشرطي التحدث مع أحد المعتقلين او الاقتراب منه فانه يشعر بالحرج والضيق والخوف من عاقبة هذا الحديث أمام المعتقلين، والنظر الى الكثير من الأمور والتصرفات نظرة سلبية بعيدة عن النظرة الموضوعية، وهناك ناحية نود التطرق اليها وهي ان التركيز أثناء التحقيق مع العملاء كان منصبا على كيفية الارتباط والأعمال والمهام التي نفذها هذا العميل او ذاك، وهذا يعني انعدام التركيز على دراسة الظروف الاجتماعية والأحوال النفسية والأوضاع الاقتصادية التي ساعدت على تورط هؤلاء الأشخاص، فلا شك ان العميل يعتبر منحرفا وضحية في نفس الوقت، فلو وجدت الدراسات الموضوعية حول الخلفية الاجتماعية التي ينتمي اليها

العميل لامكن الخروج بنتائج حاسمة حول النوعيات المؤهلة للسقوط اكثر من غيرها والتي تركز عليها اجهزة المخابرات التابعة لسلطات الاحتلال.

الضغوط النفسية المترتبة على الاعتقال

لا بد ان كون القارئ فكرة واضحة حول قسوة الحياة التي يعيشها المعتقل من خلال الفصول السابقة، فقد بينت هذه الفصول ان كل حق انتزعه المعتقل، مهما كان بسيطا، تطلب نضالا شاقا وصعبا كلف تضحيات كثيرة شملت التضحية بالنفس، وبينت أيضا دور العملاء القميء والذي من شأنه ان يوتر أجواء المعتقل ويشعر المعتقلين بعدم الطمأنينة، وكذلك اخذ القارئ فكرة عن الصراعات الداخلية التي تأخذ دورها في قمع المعتقل وإحساسه بنوع من الشرود واليأس، تشير كل العوامل التي تتفاعل داخل المعتقل إلى مدى المعاناة التي يعانيها المعتقل والتي يمكن ان يعبر عنها أحيانا او يكتبها أحيانا أخرى لتعمل في صدره.

نحاول في هذا الفصل الوقوف مع المعتقل في أحواله وأوضاعه النفسية داخل المعتقل والتعرض لمجمل العوامل التي تنازع تكامله النفسي واستقراره، انه من الصعب بل من المستحيل ان نستطيع التطرق إلى كل عامل يحدث أثرا نفسيا لدى المعتقل، فالعوامل كثيرة جدا ويكاد يكون حصرها مهمة لا يمكن الوصول إليها، فالإنسان الفرد فريد، ومشاكله فريدة وردود فعله فريدة وأفكاره وآثارها فريدة، فعلى الرغم من وجود عوامل عامة تؤثر على المعتقل وتستدعي انشغاله الفكري ورد فعله النفسي، الا ان تأثر المعتقل لا ينحصر بها، إضافة إلى اختلاف التأثر ونوعيته من معتقل إلى آخر.

أننا لا نحاول في هذا الفصل التعامل مع كل معتقل على حدة، وإنما نحاول التعامل مع مجتمع اعتقالي مجملين تلك الآثار النفسية المترتبة على الاعتقال كما حاول ان يصورها بعض المعتقلين، والمسألة هنا لا ترتقي إلى حد الوصف العلمي الدقيق لما يعانيه بالضبط كل فرد، وإنما تقف عندما يتوقع انه معاناة الفرد ضمن حياة جماعية تواجه مشاكل عامة، تترك هذه المشاكل آثارا تنطبع في نفس الإنسان على أشكال مختلفة من الانفعالات وردود الفعل النفسية.

المعتقل تحت التحقيق

تبدأ معاناة المعتقل النفسية مع اعتقاله ويزج به في زنزانات التحقيق، ربما يقاد المعتقل إلى مركز التحقق بالضرب الشديد وربما يكون معصب العينين وتحت تهديد السلاح، انه مقاد وفي مؤخرة رأسه أفكار عن الجندي الإسرائيلي والمحقق قد تربكه او تثير فيه تساؤلات لا تجد إجابات، انه يتساءل في الطريق نحو المحقق عن سر اعتقاله، او عما يمكن ان يحصل له إذا كان يعي سبب الاعتقال، انه يفكر في التعذيب والآلام، ويفكر في كيفية المواجهة والصمود، هل سيغلبني المحقق ام سأتغلب عليه، بالطبع تختلف نفسيات المعتقلين وتختلف مواقفهم، فهناك من يرتبك ويبدأ بالانهيار قبل ان يمثل أمام المحقق وهناك من يقرر في داخل نفسه ان ساعة المواجهة قادمة وان عليه ان يحسم الموقف لصالحه مهما كان التعذيب ومهما تعددت أساليب القمع.

يمارس المحقق، وكما رأينا في فصل سابق، أساليب متعددة من شأنها ان تتغذى على نفسية المعتقل وتؤثر سلبيا على قدرته على الصمود، فقد يشبح المعتقل لساعات طويلة، وقد يبقى قناع الرأس القذر على رأسه أياما، انه يقف هنا مربوطا بماسورة او مربط ولا يرى من العالم شيئا، ويتلقى ضربات متواصلة من كل من يمر به بجانبه، يترك المعتقل هكذا ربما يومين او ثلاثة او لساعات وذلك حسب إرادة المحقق، انه يترك كذلك ليعيش مع نفسه لحظات يقصد منها المحقق ان تنتج عن إحباط نفسي يقود إلى اعتراف.

ثم يتعرض المعتقل لصنوف عديدة من العذاب والتقلبات النفسية التي من شأنها جميعها الوصول إلى ما يرغب به المحقق وهو الاعتراف، وقد لاحظنا في الفصل الأول هذه الصنوف وفنونها، تترك هذه الأمور آثارا لدى المعتقل وتبدأ الأفكار تتصارع حول ما يمكن ان يعمله المحققون وعن النتائج التي يمكن ان تتمخض، ويبدو ان أصحاب التجربة الضئيلة او غير العميقة اكثر تأثرا بالأجواء النفسية التي تقام أثناء التحقيق من أصحاب الوعي والتجربة.

من المتوقع ان يبدأ بعض أصحاب الوعي المتدني بطرح أسئلة على أنفسهم من شأنها ان تقلل من قدرتهم على الصمود، فمثلا، قد يعتقد أحدهم انه وحيد في هذا العالم بين مخالب الذئاب، لا يشاركه أحد معاناة ولا يعرف أحد مدى الضرب والعذاب اللذين يتعرض لهما، وقد يبدأ بالتفكير بأبيه وأمه واخوته وزوجته وأولاده ان كان متزوجا، وقد يبدأ بالظن انه سيتم ذبحه وتقطيعه ومن ثم إخفاؤه إلى الأبد، تؤثر كل هذه التساؤلات والظنون وما يشبهها على

قدرة المعتقل على المواصلة إلى حد قد يدفعه إلى الاعتقاد بأنه يمكن ان يعترف ويخرج من معتقله بسهولة ويسر، او ان يجعل اعترافه منه رجلا محترما ومتعاونا أمام رجل المخابرات مما سيجعل من ظروف سجنه اكثر قبولا.

اما أصحاب التجربة والوعي، فانهم يستطيعون رسم صورة حول أجواء التحقيق وظروف الاعتقال الأولى، وبالتالي لديهم قدرة اكثر من غيرهم على مواجهة الضغوط النفسية والأهداف التي ترمي اليها، انهم يعدون أنفسهم نفسيا لمواجهة مختلف المتغيرات والأساليب المخابراتية، ويسلحون انفسهم بوعي حول أضرار الرضوخ الجسيمة، وحول الفوائد التي يمكن ان يجندوها من خلال الصمود، وهذا يعني، على الأقل من الناحية الاستنتاجية، ان العوامل النفسية تحدث فعلها لدى غير الواعين بحيث ان نسبة الانهيار بينهم أمام رجل المخابرات اكثر بكثير من نسبة المنهارين من أصحاب الوعي والخبرة.

هذا ومن المحتمل ان ترتبط مسألة القبول بالتعامل مع المخابرات مع الانهيار أمام المحقق، أي ان رجل المخابرات يحاول تجنيد عملاء له من بين المنهارين أمامه، وهذا أمر اعتيادي حيث لا يسعى الى تجنيد غير المنهارين لانهم لم يصلوا الى درجة الانهيار والبوح بأسرارهم، بمعنى آخر، يزداد احتمال التعامل مع الانهيار الذي يزداد احتماله مع قلة الوعي والتجربة، أي ان احتمالات التعامل تتزايد مع قلة الوعي والتجربة.

هنا يأتي دور الفصائل الفلسطينية في علاج مسألتي الانهيار والتعامل، بما ان الوعي يلعب دورا هاما في عملية المواجهة بين المعتقل والمحقق فانه من الضروري تدريس الشخص المعني ومنذ اللحظة الأولى لانتمائه للفصيل حول ظروف الاعتقال وما يواكبها من ضغوطات نفسية، يجب ان يعلم الفرد منذ اللحظة الأولى انه من الممكن ان يستشهد ومن المحتمل ان يعتقل، ومن ثم يجب ان يعطى معلومات نظرية حول أساليب المحقق، وبعدها يجب تعريضه لظروف مشابهة حتى لا يفاجأ في المستقبل بشيء.

تذمر العديد من المعتقلين، خاصة أولئك الذين اعتقلوا مع بداية الاحتلال منعدم تثقيفهم حول أساليب المخابرات او أجواء التحقيق، وقد اثر جهلهم بهذه الأمور على مدى صمودهم والمحافظة على أسرارهم، على الرغم من انه يمكن القول ان فصائل الثورة لم تكن قد تجذرت بصورة شاملة مع بداية الاحتلال، ولم تكن قد أعطت مختلف الأمور استحقاقها من الاهتمام، الا انه كان من الخطأ الا يتعرض المناضل الفلسطيني الى شرح حول ما يمكن ان يلاقيه، قاد الجهل الى تخبط والى إضرار كبيرة حلت بخلايا الفصائل الفلسطينية المختلفة.

قد يعتقد أحد المعتقلين ان تدريس المناضل المبتدئ حول أساليب المخابرات وظروف التحقيق يؤدي الى إنزال الخوف في قلب البعض مما يؤثر على إعداد المنتمين للفصائل الفلسطينية، هذا امر وارد، من المحتمل ان يتخيل أحد أظفاره تخلع او جرحه ينزف بدون

علاج او أعقاب اللفافات تطفأ في جسده وبالتالي يقرر ترك التفكير في النضال والتحرير، إذا كانت الفصائل الفلسطينية جادة في تجنيد محاربين أقوياء، فانه من الأفضل ان تفسح المجال أمام كل فرد ليفكر بمخاطر الرحلة قبل ركوب السفينة، فالسفينة قد تغرق إذا لم يكن راكبوها أشداء في مواجهة الموج العاتي.

انتظار الحكم

يعشي المعقل حالة قلق طيلة فترة انتظاره للحكم الذي تصدره ضده محكمة عسكرية، جرت العادة على نقل المعتقل من دائرة نفوذ المخابرات، أي من زنزانات التحقيق والمرافق التابعة لها، الى غرف المعتقل بعد انتهاء التحقيق معه وتسجيله الخطي لاعترافه، تطلب المخابرات من الشخص بعد انتزاع الاعتراف منه، ان يكتب نشاطاته ضد ما يسمى بالأمن ليصبح ما يكتبه وثيقة اعتراف تستند عليها المحكمة في إصدار الحكم، وبما ان المحكمة خاضعة لإجراءات كتعيين موعد المحاكمة او طلب محامي الدفاع تأجيل المحكمة، فان المخابرات تحرر المعتقل من مرحلة التحقيق وتودعه المعتقل.

يبدأ المعتقل بعد تسجيل اعترافه وانتقاله الى غرف المعتقل بالتفكير فيما يمكن ان يصدر ضده من حكم، فتارة يخطر على باله حكم طويل الأمد فيسعر ان إقامته ستكون طويلة وان عليه ان يهيئ نفسه لمثل هذه الإقامة البعيدة كل البعد عن أنماط النشاطات التي كان يقوم بها خارج خارج المعتقل، أحيانا يظن ان حكمه سيكون اعتقالا قصير الأمد فيساوره أمل بقرب الخروج الى الحياة الاعتيادية وصخبها، أي ان نفسية المعتقل في صعود وهبوط مع ظنونه حول مدة الحكم ، وهذا لا يعني ان المسألة تتطور الى أزمة يعيشها المعتقل الا ان ردود فعل المعتقلين حول ظنونهم وتحسباتهم حول مدة بقائهم في المعتقل تختلف من معتقل الى آخر.

واما ما يزيد من ظنون المعتقلين وتحسباتهم هو مزاجية المحكمة العسكرية الاحتلالية، لم تتعود هذه المحكمة إصدار أحكام ثابتة حول ذات "الخروقات الأمنية"، بل عاملت كل حالة حسب مزاجية الحاكم والظروف السائدة في البلاد، فمن الممكن مثلا ان تحكم المحكمة في وقت ما ضد شخص متهم بالتنظيم في فصيل فلسطيني بسنة، وفي وقت آخر قد تحكم ذات التهمة بسنتين، ترتفع أحكام المحكمة مع ارتفاع حدة التوتر في البلاد، فعندما تسود البلاد

أوضاع توتر ممزوجة بالمظاهرات وقذف الحجارة، فانه من المتوقع ان ترتفع الأحكام بالسجن بحدة وذلك، على حسب تفسير الاحتلال، كتأديب وردع للمواطنين.

والحاكم العسكري أيضا ليس مقيدا بمعادلة محددة للأحكام، فقد يحكم حاكم تهمة معينة بعشر سنين، بينما قد يحكم آخر ذات التهمة بسبع سنين، والمسألة كذلك مرتبطة الى حد ما بالمفاوضات التي تجري بين محامي الدفاع وما يسمى بالمدعي العام خارج قاعة المحكمة، جرت العادة ان تقوم مشاورات أحيانا"صفقات" بين هذين الطرفين يتنازل كل منهما عن شيء من مطالبه، فاعتمادا على ظروف التهمة وحجمها وأهميتها، واعتمادا على شخصية المدعي العام ومزاجه وعلى قدرة محامي الدفاع على المناورة تتوقف مدة الحكم جزئيا، فقد يستطيع محامي الدفاع من خلال هذه المشاورات ان يساعد موكله وقد يورطه بصورة اكبر، وفي هذه عوامل ذات تأثير في حسابات المعتقل وظنونه وفي صعوده وهبوطه حسب ما تورد أفكاره، وقد توصل الحسابات هذا المعتقل الى حد الاضطراب النفسي او قضم الأظافر، او قد تقوده الى الانعزال في ركن من الغرفة بعيدا عن نشاطات المعتقلين.

من المحتمل ان يتأثر المعتقل في حساباته بظروفه الخاصة، فقد ترتفع اضطراباته مع ظنونه إذا كانت متزوجا او إذا كان له أبناء يعتمدون عليه، وقد يتأثر بمدى ارتباطه بوالديه خاصة إذا كان يعيلهما، وهذا يعني انه من المحتمل ان يكون صغير السن قليل المسؤوليات اقل تأثرا بظنونه من غيره، وكذلك من المحتمل ان يقل الضغط النفسي على المعتقل مع ضعف ارتباطاته مع الخارج ومع عدم اتساع دائرة مصالحه.

ظروف المعيشة

تعمل إدارة المعتقل على قتل الإنسان الفلسطيني معنويا حتى تفرغه من محتواه الإنساني والوطني وتحوله من ثم الى مجرد أداة تخدم الأهداف الصهيونية، او الى مجرد شخص يبحث عن لقمة العيش دون ان يكون له ارتباط بقضايا الوطن والامة، انها تستخدم المعتقل من كافة الجوانب والشؤون لتحدث ضغوطات نفسية هائلة على الفلسطيني والتي من شأنها ان تشيع في نفسه الإحباط واليأس والقنوط والشرود والتخاذل والاستسلام، ومعها يتحول الفلسطيني الى لا شيء، الى الرقم صفر.

في سبيل ذلك، تركز إدارة المعتقل على ظروف المعيشة بحيث تحول نظر الفلسطيني المعتقل عن جهود تنمية الذات الى أمور من المفروض أصلا ان تكون متوفرة، وكما رأينا في فصل سابق، خاض المعتقلون صراعات عنيفة ومميتة من اجل تحسين ظروف المعيشة من

مأكل وفراش وماء، لقد نزفوا من عرقهم ودمائهم وعلى مدى سنين طويلة من اجـل تحقيـق أمور توفرها إدارات المعتقلات والسجون في العالم دون ضغوطات او إضرابات او أضـرار تلحق بالمعتقلين، وقد تقدم المعتقلون نحو تحقيق مطالبهم ببطء شديد، وما فتئوا يناضلون مـن اجل إحباط محاولات الإدارة إعادة عقارب الساعة الى الوراء.

عانى الفلسطيني في بداية الاعتقال بمرارة شديدة وبصورة اكثر حدة مـن الفتـرات اللاحقة، لقد كانت فترة ما بعد حرب 1967 مقيتة بطريقة رهيبة، لم تبدأ بالتحلل الـى بعـد تعمق التجربة لدى المعتقلين وازدياد الوعي لديهم حول ما يجب فعله للخروج مـن الـدوائر المغلقة، وقد كان للفترة الأولى آثار نفسية هائلة تركت بصماتها بشكل او بآخر على تجـارب المناضل الفلسطيني وطريقة تفكيره واستعداده النفسي، وكذلك كان من شأن باقي الفترات ولو بصورة اقل حدة وارفق حدة وارفق شدة.

الطعام

من الصعب على صاحب المعدة الخاوية والأمعاء المتلوية ان يجند تفكيـره لخدمـة أهداف أسمى من الحصول على الطعام، انه يفكر في الطعام ويشم رائحته تنبعث وهـو منـه بعيد، استغاثات الجهاز الهضمي وإفرازاته لا تجد متنفسا ولا من يلبي النـداء، هكـذا أرادت إدارة المعتقلات لوضع المعتقلين الطعامي ان يكون، بدأت هذه الإدارة تقدم طعاما لا يكاد يسد الرمق ولا يملأ المعدة، أرادت بذلك توتير أجهزة الجسم العضوية ومن ثم التأثير على قدرات الفرد المعنوية والعقلية، وكأنها أرادت ان تقول للمعتقل ان لا مجال أمامه ليأكل، وان طريـق النضال مفروش بالجوع وما يتبعه من آلام.

قلة الطعام عبارة عن وسيلة ضغط من أجل تركيع المعتقلين، أي من اجل إبعادهم عن أهدافهم الوطنية وشغل عقولهم بأمور شخصية تتعلق بالأمعاء، وهي وسيلة ليست سهلة، إنهـا موجهة ضد حاجة عضوية طبيعية جبل عليها الإنسان، الطعام أمر ضروري مناجـل البقـاء ومن اجل حيوية الجسم، وحرمان الإنسان منه يعني محاولة قتل هذا الإنسان، أي إنها وسـيلة من اجل دفع المعتقل نحو التفكير بسبل الهرب من الموت، بسبل البقاء.

وهل هناك أقسى من ان يشعر الإنسان باستمرار انه مهدد بالموت وبطرقة بطيئة ؟ ان يرى جسمه ينحل يوما بعد يوم وقواه تتأثر سلبيا على الدوام ؟انه يحشر في ركن يصارع فيه عقله الانهيار ويحدث نفسه عن لذة الحياة، ربما يركع، فقد يكون الطعام بالركوع، بالتخلي عن

كل المبادئ والقيم التي خاض من اجلها صراع، وفي النهاية قد يكون حب البقاء غريزة، فيذهب الإنسان بكل أفكاره الثورة والتحرير والنصر ويستبدلها بأفكار اللحم والبندورة والسكر.

كان أمام المعتقل الفلسطيني ضائقتين: تمثلت الأولى بقسوة الاحتلال وشح الطعام، وتمثلت الثانية في المحافظة على المبادئ الوطنية والقيم الأخلاقية في مواجهة الضغط النفسي الناجم عن الضغط الذي يستغل التركيب العضوي للإنسان.

فضلا عن قلة الطعام، واجه المعتقل الفلسطيني مشكلة النوع الرديء جدا من الطعام، قدم الاحتلال بذور ذرة المكانس كوجبة رئيسية، والبندورة المتعفنة والماء الملون تحت اسم المرق والشوربة، وحتى يشعر الإنسان العادي خارج المعتقل بمدى قسوة هذا الضغط النفسي فان بإمكانه ان يخصص لنفسه يوما يجرب فيه هذه الأنواع من المأكولات، ويحاول تقييم رد فعله النفسي تجاهه، بالطبع، مع فارق ان المعتقل لا بديل له عما يقدم له.

المعتقل الفلسطيني يتمزق بين ناحيتين: ان يأكل الطعام العفن او ان يعيفه ويبقى يتضور جوعا، الجوع يدفعه نحو الطعام ورداءة الطعام تقيده، وقد ابرز أحد المعتقلين هذا الصراع في تجربة مر بها تحت التحقيق، قدمت له ذات يوم سمكة متعفنة وقطعة من خبز، لم يطق المعتقل الرائحة الكريهة التي تنبعث من السمكة ففتفتها ورماها في زنزانته، لكن لسوء حظه، لم تقدم له المخابرات طعاما في اليومين التاليين، بدأت أمعاؤه تتمزق وتستغيث، فلجأ الى البحث عن فتافيت السمكة الملقاة على الأرض يقتاتها، والامثلة من هذا النوع كثيرة لا تحصى.

في مواجهة هذا الوضع السيء، قرر المعتقلون مواجهة الجوع بالجوع، أي قرروا الإضراب عن الطعام، كما رأينا سالفا، من اجل الضغط على إدارة المعتقلات لتحسين نوعية الطعام وزيادة كميته، وهذا قرار صعب لانه يتطلب حشد الجهود جميعها، ويتطلب إرادة صلبة تواجه الموت، انه قرار يحمل في طياته الإقدام على الاستشهاد مع سابق معرفة وتصميم، لا يملك المعتقلون سلاحا في النهاية سوى سلاح الإضراب وما يرافقه من إعلام محرج لسلطات المعتقلات، وقمة هذا السلاح هو الإضراب عن الطعام.

امتنع المعتقلون الفلسطينيون مرارا عن تناول طعام إدارة المعتقل وسقط خلال ذلك شهداء، كان يرى معتقلون إخوانا لهم يستشهدون أمامهم من اجل تحقيق وضع يأخذ كرامة الإنسان في الاعتبار، وكان ينظر الفلسطيني الى ذاته وكله إحساس من الممكن ان يكون الشهيد التالي، انه صراع داخلي بين ضرورة تحقيق المطالب وتوفير عيش افضل وبين حب البقاء، انه صراع عنيف بين الحياة الكريمة والموت، سيطر المعتقل على حب النفس للحياة في سبيل ان تمارس هذه النفس، ان بقيت على قيد الحياة، نوعا من النشاط الإنساني وتحقق قسطا من الاحترام.

هذا ناهيك عن الأمراض التي يمكن ان تحل بالإنسان نتيجة الامتناع عن الطعام، ومع هذا كان يتوفر الاستعداد النفسي للقبول بهذه النتائج في سبيل التخلص من عفن الطعام ورداءته.

وهنا لا بد من ان نكرر ان بعض المعتقلين كانوا يعزفون عن الخوض في مثل هذه التجربة، فمنهم من كان يتملكه الخوف ويفضل القبول بما هو موجود، وآخرون انطلقوا من منطلق التعامل الهادف الى خذلان المعتقلين وإفشال جهودهم، ومنهم من كان يشكو من مرض لا يتحمل إضرابا عن الطعام، الا ان هؤلاء لا يميزون المجتمع الاعتقالي،وكما هو الحال في كل مكان وزمان، الصامت والجبان والمتخاذل لا يحددون مسار المجتمع الإنساني، انهم يعرقلون رسم الطريق نحو المستقبل، لكنهم في النهاية لا ينجحون.

مع هذا الصراع النفسي الذي يخوضه المعتقل، كانت الإدارة تحاول زيادة حدة هذا الصراع من خلال إثارة الشهية الإنسانية وتثوير الشهوة على الحكمة العقل، فكانت تدفع بأفراد الشرطة في كثير من الاحيان لان يأكلوا أمام المضربين او تدفع بالطباخين لإشاعة رائحة الطعام في المعتقل، والهدف هو إسالة لعاب المعتقلين وفتح شهياتهم مما قد يترك أثرا على صمودهم ومقاومتهم ويدفعهم بالتالي الى فك الإضراب، ولا شك بأن، هذا سلاح يعبر عن لؤم وحقد شديدين، ينهى الخلق القويم عن مجرد تناول الطعام أمام شخص عادي آخر دون دعوته لئلا يكون جائعا او فيه رغبة للأكل فيسيل لعابه وتتحفز نفسه نحو الطعام، فما بال شخص يأكل أمام معتقلين عانوا من قلة الطعام فترة طويلة وامتنعوا عنه لأيام عديدة ؟ لا شك بأن الأمر يتطلب إرادة حديدية لان الحرب ليست فقط ضد إدارة المعتقل ولكنها أيضا حرب ضد النفس الإنسانية وشهواتها واستفزازاتها.

قضية الطعام، على أية حال، لم تنته على الرغم من التقدم الذي أحرزه المعتقلون، فهناك نوعية افضل وكمية اكثر، هذا التقدم لم يلغ حقيقة ان المعتقل يعيش داخل قضبان حديدية ويبقى خاضعا لظروف معيشية متناسبة مع هذا الواقع، وبالتالي لم يلغ الضغط النفسي الذي يتعرض له المعتقل على الرغم من تخفيف هذا الضغط فالمعتقل إنسان مارس حياة مختلفة خارج المعتقل ولديه معرفة بأنواع الطعام وله مزاج طعامي مميز، ولا بد ان يخطر على باله تلك المأكولات اللذيذة التي كانت تحضرها له أمه، او تلك الكنافة الساخنة المعروضة في المحلات،او رائحة شواء قام به وصحبه في الهواء الطلق، قد يبدو ان هذه الأمور عابرة ولا تأثير لها، الا ان الحقيقة تقول عكس ذلك، فالمعتقل يعود بتفكيره الى الوراء دائما ويستذكر أيامه السابقة خارج المعتقل بحلوها ومرها وبطعامها وشرابها.

الفراش

يعيش المعتقلون الفلسطينيون الآن في"فندق" مقارنة مع الأيام الغابرة، اسـتطاعوا ان ينتزعوا من الإدارة عددا اكبر من البطانيات وفرشة إسفنجية غير سميكة، وحصلوا مؤخرا في بعض المعتقلات على أسرة، عانى الفلسطيني في بداية الاحتلال وعبر سنين عديدة من وضع مأساوي من ناحية الفراش، خصص للمعتقل في البداية عدد قليل من البطانيات ولم تخصص له فرشة او غيرها.

فضلا عن قلة الأثاث، كان على الفلسطيني ان يصحو مع العدد(التمام) الأول ليرتب بطانياته بشكل متناسق ويجلس على الأرض بصمت، لم يسمح له باستخدامها لجلوسه، ولم يسمح له بالحركة او بمجرد الإخلال بترتيب مخصصاته،أي ان المعتقل الفلسطيني كان معتقلا من ناحيتين: انه معتقل بعيدا عن المجتمع الخارجي ومعتقل في داخل غرفته.

لم يكن يشعر الفلسطيني بدفء، وإذا طالب به ضرب ضربا مبرحا، فالبطانيات ليست الا مجرد اكثر اللاشيء بقليل، اثر هذا على وضعه الصحي وخلق لديه أمراضا وخاصة "الروماتيزم"، وضع الفلسطيني في حالة توتر مستمر خاصة ليلا وشتاء، وترك بدون علاج لآثار البرد القارص، كان يخف هذا التوتر صيفا بسبب ارتفاع درجة الحرارة، الا ان مشكلة الفرشة خلقت ضغطا نفسيا مستمرا، هذا ولم تكن تسمح إدارة المعتقل للفلسطيني بالعمل بطريقته الخاصة لمعالجة وضعه، فهي رفضت ارتداء الملابس الخاصة التي تقي من البرد ومنعت الأهل من تزويد أبنائهم بما يحتجون.

زادت إدارة المعتقل من حدة الضغط النفسي على المعتقلين عن طريق إجراءاتها الإدارية والاستثنائية، فمن ناحية، حرمت المعتقلين من الحديث المشترك وفرضت عليهم التزام الصمت، وإذا حدث ان حاول أحد ان يخوض حديثا مع آخر فانه لا يجد الا العقاب الشديد من قبل الشرطة، ولم تكن تسمح للمعتقل بان يجلس بالطريقة التي يراها مريحة، بل كانت تجبره على الجلوس بطريقة محددة، وعملت على معاقبته فيما إذا حاول التغيير.

على الرغم من ان ظروف الأثاث قد اختلفت الآن السابق، الا ان الفراش لم يصل الى الدرجة المطلوبة، فما زال الفراش دون المستوى المطلوب سواء من ناحية كميته ومواصفاته او من ناحية نظافته، فالبطانيات كانت قذرة جدا ورائحتها كريهة، وما زالت بحاجة الى عناية افضل، كما انه من الضروري ان يخضع الأثاث وخاصة الفرشة لمواصفات طبية تعين المعتقل على مواجهة الضغط الصحي الذي تفرضه حياة الاعتقال، فالمعتقل يمضي ساعات طويلة من وقته ممددا او نائما مما يستدعي وجود فراش ملائم للعمود الفقري والهيكل العظمي

بصورة عامة، كما ان المعتقلين بحاجة ماسة للارتفاع بفراشهم عن الارض لتخفيف آثار مرض الروماتيزم.

كما هي العادة، لن توافق إدارة المعتقلات بسهولة على تأثيث المعتقل بشكل يوفر الأمن الصحي للمعتقلين لان ذلك يتنافى مع أهدافها في خلق أزمات نفسية لدى المعتقلين بهدف تحويلهم عن قضاياهم العامة، إنها تستغل مسألة الأثاث من اجل خلق روح لدى المعتقلين معادية للأعمال التي قاموا بها وأوصلتهم الى الاعتقال، ومعادية لروح الثورة والمثابرة.

الماء

يشكل الماء أحد وسائل الحرب النفسية الهامة التي تستخدمها إدارة المعتقلات ضد المعتقلين، فقد عملت هذه الإدارة باستمرار على قطع المياه لفترات طويلة من الزمن خاصة الماء الساخن، وكغيره من الأمور، خاض المعتقلون صراعات عنيفة من اجل تحسين ظروف توفره، اضطرت الإدارة الى تلبية المطالب الا انها ما زالت تستخدمه خاصة حين ظهور توتر في المعتقل.

كان من المفروض مع بداية الاعتقال ان يستحم كل ثلاثة معتقلين معا في آن واحد تحت نفس الدش،، وكان عليهم ان يتموا عملية الاستحمام خلال دقائق قليلة، هذا فضلا عن ان عملية الاستحمام كانت تتم على فترات متباعدة،وكان من شأن هذا ان يؤثر على نفسية المعتقلين من ناحيتين: تتمثل الناحية الأولى في التقاليد والعادات التي تميز المعتقل الفلسطيني والتي تركز على خصوصية الجسد المطلقة، شكلت عملية الاستحمام الجماعي حرجا لكل المعتقلين وخلقت لدى المعتقل نوعا من التردد في التقدم نحو الاستحمام، أما الناحية الثانية فتتمثل بعدم كفاية فترة الاستحمام وتباعد الفترات، من شأن ذلك الا يفي بمتطلبات النظافة خاصة في فصل الصيف حيث ترتفع نسبة إفراز العرق، أي انه كان على المعتقل ان يعتاد على رائحة عرقه وعرق زملائه.

كانت إدارة المعتقل تعمد في كثير من الأحيان الى قطع الماء فترة طويلة من الزمن وتحرم المعتقلين من الاستحمام، كان ذلك يؤدي الى شعور المعتقل بضرورة الانسلاخ عن جلده الذي يسبب له ضيقا بسبب الرائحة الكريهة، وكان يضطر المعتقل الى الهرب من جاره لئلا يشتم هو رائحة جاره ولئلا يشتم جاره رائحته هو، لا شك بان رائحة عرق الجسم الإنساني كريهة وتشعر الإنسان بالضيق والقرف والاشمئزاز، وتؤدي الى نوع من التوتر والإحباط، هذا ناهيك عن الأضرار الصحية التي تلحق بالجلد نتيجة عدم الاستحمام.

وصل ضغط الحاجة الى الماء الى كوب الشاي ونظرت الإدارة الى كوب الشاي كشيء يتصل بعالم الرفاه، ولم تكن توفر ماء في بعض الأحيان الا الشرب فقط، وذلك ليشعر المعتقل انه محارب حتى في ميدان كأس الشاي والذي يلزم في كثير من الاحيان كجزء من وجبة الطعام، وامتد شح الإدارة في توفير الماء الى استخدام المراحيض،إذ كان يسمح للمعتقل في بعض الاحيان الذهاب الى المرحاض مرة واحدة فقط في اليوم، وهذا أمر مؤلم من الناحية الفسيولوجية، لا يتحدث المعتقلون بوضوح عن هذه المسألة، لكن الأمانة العلمية تقتضي من الباحثين الإشارة اليها، انها حرب نفسية شعواء ضد الفلسطيني بحيث تنال حقه الطبيعي في إخراج الفضلات.

مرت على المعتقلين فترات كانوا يحتاجون أثناءها لأذن من الشرطي للدخول الى المرحاض على الرغم من وجوده في الغرفة، أحيانا كان يرفض الشرطي، واذا ألح عليه المعتقل السؤال فانه يرد بالضرب والشتائم، وإضافة الى ذلك كانت تقطع المياه عن المراحيض مما يشيع الروائح الكريهة التي تسبب الصداع وضيق النفس ويجعل منها مكانا ملائما لنشر الأوبئة والأمراض، كان على المعتقلين ان يعتادوا هذه الروائح، أي ان يصبروا على الوضع الى ان يصبح بمقدورهم تغييره.

تغير الوضع الى حد كبير بفضل نضالات المعتقلين، الا ان المرحاض ما زال داخل الغرفة وما زال صنبور المياه مهددا بالجفاف.

العيادة

أشرنا سابقا الى عمل العيادة المخالف لكل الشرائع الطبية، وتحدثنا عن الممرض والطبيب اللذين يمارسان عملية قمع منظمة ضد المعتقلين، العيادة، في كثير من الاحيان تعمل على استفحال المرض، والمعنيون بمعالجة المرض يبدعون في نشره، ضمن هذا الجو يعيش المعتقل الفلسطيني، عليه الا يمرض حتى لا يذهب الى العيادة، وهل له ان يمتنع عن الذهاب اليها اذا مرض؟ فالعيادة تبقى ذات مدلول نفسي يوحي بان المعالجة قد تكون ممكنة، وقد يتخيل المعتقل أحيانا انه قد يجني فائدة، لكن الأفضل الا يمرض.

من الصعب، بل من المستحيل، ان يتحاشى الإنسان المرض خاصة في ظل ظروف اعتقال صعبة جدا، فقلة الطعام ورداءته، وقلة توفر الأغطية والفراش، وعدم وجود رعاية صحية، وعدم وجود نشاطات رياضية، تشير جميعها الى إمكانية إضعاف قدرة الجسم على مقاومة الميكروبات والجراثيم، والى تفشي أسباب المرض، المعتقلات ليست صحية وظروف

المعيشة فيها بائسة، والمعتقلون يخضعون لقمع مباشر وغير مباشر يضعف أجسامهم ومقاومتهم الطبيعية، وقد بينا في فصل سابق مدى معاناة المعتقلين من الأمراض.

ان يمرض الإنسان الفلسطيني داخل المعتقل يعني ان حياته قد أصبحت مهددة او ان حياته قد أصبحت مليئة بالآلام، يعاني الفلسطيني من مرضه أياما وشهورا وسنين ولا يجد من يخفف عنه الآلام، وقد تحول الآلام منه الى عجوز هرم لا يقوى على القيام بالنشاطات الإنسانية الاعتيادية، يعيش آلامه مع هواجس حول ما يمكن ان يكون مصيره مستقبلا، هل سيصبح مشلولا ؟ ام ان مرضه مزمنا ؟هل سيموت بعيدا عن أهله ؟هل سيرى أطفاله وزوجته ؟هذه أسئلة كفيلة بان تعمل بقسوة في نفس الإنسان وتجعل منه أسير الأفكار قد لا تكون بعيدة عما يمكن ان يكون مستقبلا.

هناك ممرض وهناك طبيب وهناك علاج، ماذا يمكن ان تفعل كل هذه العوامل ؟أليس الأفضل له ان يبقى بين زملائه يتألم بصمت وبعيدا عن عيون إدارة المعتقل؟ ام انه من المجدي ان يخرج الى العيادة علّ هذه الآلام تخف او تزول؟ قد يقرر الخروج، لكنه يعود وألمه مضاعف، فهناك ألم المرض وهناك ألم الضمير الذي بدأ يؤنبه على خروجه، فماذا العمل؟ الصراخ والعويل والتأفف؟ قد تخفف هذه الأمور الألم لكنها لن تزيله، ثم ان المعتقل يعيش في غرفة فيها العديد من المعتقلين الذين يرغبون بممارسة حياة اعتقاليه اعتيادية، فهل يشكل بالنسبة لهم عنصر إزعاج، حمل المعتقلون بعضهم بعضا وشعروا بالمشاكل الخاصة والعامة، لكن المعتقل نفسه قد يجد نفسه محرجا في تأففاته وأناته.

وكيف النوم مع الألم؟ فالجسم كله آلام مستمرة، ولا مجال هناك لنوم هادئ الليل قلق والنهار توتر بسب قلة النوم وعنف المرض، صحبه يطلبون الممرض ويلحون على الإدارة من اجل تقديم مساعدة، قد تقرر الإدارة معالجته ولكن شريطة ان يركع أمام طلباتها، وطلباتها دائما محصورة في التعامل، في ان يصبح المعتقل عميلا، فهل يرضخ المعتقل مقابل الخروج من أزمة المرض التي يعيشها، رضخ نفر واستسلموا لطلبات الممرض وأوامره، لكن الغالبية الساحقة بقيت محافظة على كرامتها حتى لو كان الموت هو الثمن.

كانت الإدارة تعمل أحيانا على معالجة المرض بعد استفحال المرض بهم بشكل شديد، لكن هذه المعالجة لم تكن لتتم ضمن شروط المعاملة الطبية الصحيحة ،بل كانت تدور ضمن نوع من الاحتقار والمسبات والضرب، فلم يكن من الغريب ان يضرب معتقل بعد خرجه من العملية، او ان يحرم من الإشراف الطبي، ربما يجري معه نزيف ولا يجد من يسعفه، أي ان قرار الإدارة بالمعالجة كان يعني الضرب الشديد والقمع النفسي، وربما الموت أيضا، فماذا يهم الإدارة إذا مات المعتقل؟ أنها ترتاح منه، فكان يخرج المعتقل الى العملية الجراحية وهو في قمة أزمته النفسية، وفي ظنه انه قد لا يعود حيا.

يحتار المعتقل بين أمرين: إما ان يصبر على ألم متواصل ويقرر تحمل مرض مزمن محتمل، او ان يغامر بحياته في سبيل تجريب إمكانية الخلاص، لا شك بان الألم صعب وقــد يدفع الإنسان الى قرار ليس بالسهل اتخاذه، والخيار هنا ليس بين جيد ورديء، او بين صعب وسهل او سيئ واقل سوءا، الخيار هنا بين أمرين سيئين وصعبين ورديئــين، ويبقــى الأمــر ضمن قدرة الفرد التمحيصية وقراره الخاص.

حركة الجسم

شكلت الفورة (الخروج الى الساحة) الفرصة الرئيسية أمام المعتقل لتحريــك جســمه وتنشيط الدورة الدموية، بسبب عدم وجود عمل وحركة مستمرة يترهل جسم المعتقل وتكســل دورته الدموية ويصبح اقل مقاومة للمرض، يحتاج المعتقل الى برنــامج تمــارين رياضــية مختلفة حتى يبقى ضمن حدود اللياقة العادية، لكن المعتقل الفلسطيني حــرم مــن مثــل هــذا البرنامج، وحتى حرم من الجري في ساحة المعتقل، ومع نضال المعتقلــين، ســمحت الإدارة مؤخرا بالجري في بعض المعتقلات وببعض الألعاب الرياضية.

يميل الإنسان نحو الانطلاق بين الحين والآخر، واذا لم يستطع التعبير عن هذا الميــل فانه يحبط ويصيبه نوع من اليأس، وانساننا الفلسطيني، وخاصة القروي، معتاد على الجبــال والوديان والعمل اليدوي، وهو يحب الهواء الطلق ويكره التقيد ضمن جدران صماء، حتى ان تصميم بيوتنا التقليدية عبرعن رغبة الإنسان في العيش ضمن بيوت ذات غــرف متداخلــة، صممت بيوتنا بحيث يخرج الإنسان من الغرفة الى الهواء الطلق مباشرة، فكيف يكون شعور الفلسطيني في معتقل لا يسمح له فيه الا بالسير في ساحة ذات مساحة صغيرة ؟

ولتشديد الضائقة التي يمكن ان يعاني منها الفلسطيني ،عملت إدارة المعتقلات خاصة في بداية الاحتلال على منع التحدث أثناء الفورة، وذلك لتجعل من عملية المشي شيئا مملا ومثيرا للسأم، وعملت أيضا على تكبيل الفرد بآخر، فلم تكن تسمح للشخص بأن يسير لوحده، بل كان عليه ان يشبك يده بيد آخر، تغير هذا الوضع كما ذكرنا، الا ان حقوق الفرد في إشباع حيوية الجسد ونشاطه ما زالت غير متوفرة بالشكل المطلوب.

ربما يتساءل أحد عن الحقوق التي تعطى للمعتقلين او المساجين في حين انهم عملــوا ضد ما يسمى بالأمن او خالفوا ما يطلق عليه بالقانون، وهنا نحاول المس قلــيلا حــول هــذه المسألة فقط ليرى القارئ عنصرية المعاملة بالنسبة للمعتقل الفلسطيني، وعقاب الشخص لمــا يسميه القائم على السلطة مخالفة يتمثل في الاعتقال او السجن، ويجب الا يكون العقاب مزدوجا

بحيث يحارب المعتقل او المسجون في لقمة عيشه او دفئه او الماء الذي يشربه، ان كل عقوبة تتعدى حدود أسلاك المعتقل او السجن تعتبر ضمن منطق العقوبة المزدوجة، ولهذا تعامل دول العالم التي تحترم الإنسان أسراها ومعتقليها بطريقة إنسانية، ففي مجال حركة الجسم، أنشأت هذه الدول في معتقلاتها ساحات واسعة وملاعب رياضية تلائم مختلف الألعاب، وفتحت لهم ما يشبه بالنوادي لممارسة الألعاب الخفيفة او العاب التسلية، أي ان المعتقل او السجن، لو لم يكن كذلك لكان افضل من بيت الشخص المعتقل او المسجون.

المعتقلات الصهيونية لا تعترف بكل هذا لان الهدف ليس المحافظة على احترام الإنسان وكرامته بل تجريده ذهنيا وعاطفيا الى مجرد أداة تخدم أهدافا معادية للوطن والامة.

المعرفة بالتطورات العامة

المعتقل الفلسطيني ليس سجينا عاديا، وانما مدافع عن قضايا عامة يؤمن بها، انه لم يكسر قواعد احترام حقوق الغير وهو ليس بمزور او مرتش او سارق، انه مناضل يؤمن بعدالة قضيته، وحركة هذا الإيمان بحيث ضحى بمصالحه الذاتية المباشرة في سبيل بذل الحرية والاستقلال، انه ينظر الى المسألة الوطنية كمسألة فوق المصلحة الخاصة ويجب التضحية من اجلها، أي انه يرى في الهم العام أولوية أساسية، وان الجهود يجب ان تتجه نحوه وتتفرغ له.

لذلك فان المعتقل الفلسطيني معني بمتابعة الأحداث على الصعيد العام وفهم تطورها، انه مهتم بعمليات القمع الجماعي التي تمارس ضد المواطنين،ومهتم بمقاومة الناس للاحتلال، انه شغوف بسماع أخبار الثورة في الخارج وتطورات الأوضاع في لبنان وعلى الساحتين العربية والدولية، وهو أيضا مهتم بمختلف التحليلات السياسية حول أمور المنطقة ومهتم بفهم مختلف وجهات النظر المطروحة،أي ان القضية الفلسطينية لا تنفصل عن تفكيره، ولا يرغب بان تكون منفصلة، انها مجبولة به وهو مجبول بها.

تعي إدارة المعتقلات توجه المعتقل الفلسطيني تجاه الأمور العامة، وعملت على استغلال ذلك، تعمدت الإدارة فصل الفلسطيني عن العالم الخارجي وذلك من خلال عزله من الناحية الإعلامية، تعمدت الإدارة ان تضع الفلسطيني مأزق إعلامي في الوقت الذي يتحرق فيه شوقا لسماع أخبار الوطن والثورة والعمليات العسكرية، لم توفر الإدارة مع بداية الاحتلال أي وسيلة إعلامية أمام المعتقلين واكتفى الفلسطيني بسماع الأخبار من الأهل خلال الزيارة، شكل هذا الوضع ضيقا للمعتقلين وجعلهم هدفا للتكهنات المتعددة والمتناقضة، فالمتحرق لمعرفة

الصحيح من الأخبار يبقى يشعر بنوع من الحيرة حول ما يمكن ان تكون عليه الحقيقة، وهــذه الحيرة كفيلة بان تقضي مضجعه وتجعله عرضة لكل أنواع الهواجس.

سمح الاحتلال بعد نضالات المعتقلين بالاستماع لمذياع إسرائيل في اللغــة العبريــة، وتحكم في ذات الوقت بالساعات التي ينطلق فيها الصوت، لكن هذا المذياع على الرغم من انه خفف من أزمة، الا انه لا يشكل الحل السليم بسبب تحيزه وتوجيه برامجه نحو هدم الإنســان العربي وبعث اليأس فيه، فدار الإذاعة الإسرائيلية تحرص دائما علــى نفــل وجهــة النظــر الإسرائيلية، وتحطيم معنويات الإنسان العربي وإحباطه، الا ان الإذاعة تعطي فكرة حول أخبار اليوم وتطورها، هذا فضلا عن انها تقدم بعض الموسيقى التي من شأنها ان تغير من نمط الجو القائم في المعتقل.

هذا ودأبت إدارة الاعتقال على قطع إرسال المذياع عند حدوث أمور هامة من شــأنها ان ترفع من معنويات المعتقلين، الإرسال كان ينقطع في العادة عنــد قيــام عمليــة عســكرية فلسطينية جريئة، او عند فشل خطة إسرائيلية، او اسر جنود إسرائيليين، على الــرغم مــن ان الإذاعة الإسرائيلية تنقل مثل هذه الأخبار بصورة مشوهة الا ان مجرد علم المعتقلين بها كفيل برفع معنوياتهم وتغيير الجو العام في المعتقل، وبهذا الإجراء لا تحرم الإدارة المعتقلــين مــن سماع الأخبار فحسب، وانما تتركهم يتكهنون حول الأحداث التي يمكن ان تكون قــد حصــلت وبررت قطع الإرسال، وهذا التكهن لا يزول الا بعد فترة قد تطول او تقصر حسب موقع يوم قطع الإرسال من موعد زيارة الأهالي للمعتقل.

حققت نضالات المعتقلين دخول جريدة الأنباء الى المعتقل، لكن هذه الجريــدة كانــت تعبر عن وجهة نظر الاحتلال وتنطق باسمه، أي انها كانت مجرد بوق دعائي وموجــه نحــو قبول الاحتلال والاستسلام لسياساته، استفاد المعتقلون من وجودها لمعرفــة بعــض الأخبــار المحلية، الا ان الكثير من هذه الأخبار وخاصة المتعلقة بالسياسة منها كانت تــرد مشــوهة او بطريقة تناقض الآمال الفلسطينية.

وبعد نضالات متواصلة حقق المعتقلون إنجازا آخر في مجال الإعلام وتمثل بــدخول جريدة القدس الى المعتقل، الا ان هذا الإنجاز بقي دون المستوى المطلوب، فالمعتقل الفلسطيني يفضل قراءة مختلف وجهات النظر حتى يكون على بينــة واضــحة مــن مختلــف الأمــور والتوجهات، لكن إدارة المعتقل لا تسلم بسهولة لمطالب المعتقلين في هذا المجال، فهي تفضــل ان تبعدهم عن الأمور السياسية لا تبقيهم ضمن عجلة التطورات السياســية او ضــمن دائــرة الجدل السياسي القائم في المنطقة، من شأن هذا ان يهدم ما كانت تخطط لعمله بشــأن تحويــل الفلسطيني الى مجرد فرد يهتم بمصالحه الخاصة دون القضايا العامة.

العملاء

يعتبر العملاء من اهم عوامل بعث التوتر لدى المعتقلين وإثارة الضيق في نفوسهم وخلــق أزمات نفسية عندهم، العملاء عنصر تشويش وتشكيك وتخويف وإحباط، انهــم ســلاح الإدارة القوي في إشاعة البلبلة والظنون واليأس، انهم يخلقون العداوات ويثيرون الفوضى ويحرضون الفصائل ضد بعضها البعض ويحدثون الصراعات بين الأفراد انهم عديمو الخلق، ولا مبــادئ سوية تحكمهم او قيم أخلاقية، ولا يتورعون عن القيام بأي جهد من شــأنه ان يفكــك وحــدة الصف او ان يثير الشبهات حول كل معتقل ملتزم شريف.

نفذت إدارة المعتقل، كما أشرنا في فصل سابق، الى العديد من الأشخاص عن طــرق مختلفة كالشرطي والعيادة والتحقيق، الخ، وأوكلت إليهم مهمات كثيرة منها إثارة الفزع داخــل المجتمع الاعتقالي ونقل أخبار هذا المجتمع الى الإدارة، وقد استخدمت في نقــل المعلومــات وسائل دقيقة وعديدة بحيث جعلت المعتقلين يضعون قيودا على حركــاتهم وطرقــة تصــرفهم ومعاملتهم للآخرين.

يعتبر العملاء بصورة عامة مصدر التشكيك والحذر المستمر، فقد تبين من تحقيقــات المعتقلين ان عددا لا بأس به وقعوا بيد إدارة المعتقلات والمخابرات على فترات مختلفة مــن الحياة الاعتقالية، ومارس هؤلاء العديد من المهام التي ساعدت الإدارة في سياســتها القمعيــة أجهضت بعض خطط المعتقلين، ولم يقتصر التعامل على بعض أناس معــزولين لــم يهتمــوا بالأمور العامة، بل امتد الى نشطاء ومسؤولين في الغرف والأقسام، وقد كان لتغلغلهم وزيــادة عددهم ما اقلق المعتقلين على المستويين الفردي والجماعي، أشاع هذا الوضع الحذر الى درجة الذعر، اصبح يفكر المعتقل مرارا قبل ان يبوح بسر او بهدف لمعتقل آخر، واصبح الكثير من المعتقلين موضع شك وتقييم، وبدا للمعتقلين ان الحيطان قد يكون لها آذان، وقد تكــون مليئــة بأجهزة التصنت.

أوضح الذين اعترفوا بتعاملهم مع الإدارة والمخابرات لدى التحقيق معهم ان وسائل اتصالهم كانت متعددة ومتشعبة، كان الشرطي الذي يقف على الباب خراج الغرفة أحد وسائل الاتصال، فكانت تكفي غمزة ليفهم الشرطي المقصود، او ان يصيح به المعتقل المتعامل مهينا إياه، وقــد يكون لكلمة"أريد ماء" معنى تجسسيا، وبكلمة"سنتحرر" مغزى محددا.

تسربت الكثير من المعلومات عن طريق الشرطي بحيث اتخذ المعتقلون قرارا بعدم التحــدث معه، واقتصرت عملية التحدث معه على المسؤولين في الغرفة.

المسألة هنا ليست الحديث مع الشرطي، وانما انصباب تفكير المعتقل نحو الجهة التي يجلس فيها الشرطي والابتعاد عنها نظرا وجسدا حتى لا يصبح موضع شك، تحول الشرطي الى مصدر يبعث الشك\في كل شخص يتعامل معه او يحدثه او يسلم عليه، الخ، وحتى يبعد المعتقل عن نفسه الشكوك كان لا يدير بنظره نحو الشرطي، واذا صدف ان تحولت عيناه نحو الشرطي فانه يغض الطرف حتى لا يظن أحد انه يستعمل عينيه لاعطاء إشارة الى الشرطي، وقد امتد هذا الحذر الشديد والمرعب الى الذين يقومون بمهمة العدد(التمام) ، اصبح المعتقل يطأطأ رأسه ويحول عينيه أرضا حتى لا يعتقد أحد انه ينظر الى هؤلاء لاعطائهم إشارة مخابراتية، أي انه اصبح من المهم جدا والشغل الشاغل ان يبعد المعتقل تهمة التعامل عن نفسه.

ولزيادة الحيطة، حظر المعتقلون السلام على أي شرطي، تعرف المعتقلون عبر السنين على شرطة أقاموا معهم علاقات ودية وشخصية، وحسب العادات العربية، يعتبر السلام باليد تعبيرا عن روح المودة السابقة، وهذا ما كان يحصل أثناء الفورة عندما يلتقي الشرطي والمعتقل، وحيث ان العملاء استغلوا هذا الموقف، صدرت الأوامر من قيادات الفصائل بوقف مثل هذا التعامل.

امتد حذر المعتقلين ليشمل العيادة، فمن المعروف ان العيادة معقل تجنيد للعملاء، وقد تخرج منها عملاء كثيرون، وحتى لا يصبح المعتقل موضع الشك يفضل تحمل الآلام على الذهاب الى العيادة أو الطلب من الممرض مساعدته، وربما تصل الآلام الى درجة كبيرة من الحدة، الا ان المعتقل كان يفضل الموت على ان يصبح موضع اتهام، ومما زاد من حذر المعتقلين هو ان العملاء كانوا يتظاهرون بالألم الشديد ليأتي الممرض ويخرجهم الى العيادة حيث يتم تبادل المنافع، المعتقل يعطي المعلومات والممرض يعطي التعليمات، أي ان بعض المعتقلين قد لا يصدقون ان الألم الشديد ألم حقيقي وانما قد يكون تمارضا وتمويها مناجل الخروج الى العيادة، أي ان الممرض لا يشكل فقط مصدرا للألم وانما قد يكون أيضا مصدر الاتهامات اكثر مما يعاني من ألم المرض.

وقد حمل المعتقلون إجراءاتهم الاحتياطية والاحترازية الى درجة أصبحت تولد مردودا سلبيا على نفسيات المعتقلين، ويبدو ان اهتمام المعتقلين ينصب بدرجة رئيسية على منع التعامل ومنع العملاء غير المكتشفين بعد من إيصال المعلومات التي بحوزتهم، ولا يبدو ان انعكاس الإجراءات على المجتمع الاعتقالي يأخذ اهتماما خاصا، انه من المهم تتبع العملاء لكنه أيضا من المهم الا تخلق الإجراءات والشكوك هواجس ووسواس لدى المعتقلين، انه من الصعب على أي إنسان ان يكون انسانا سويا إذا شعر ان كل تصرفاته قد تكون موضع اهتمام الاخرين واتهاماتهم وتفسيراتهم المختلفة، يختل توازن الإنسان النفسي وتتأثر قدرته على الإبداع

والعطاء في أجواء القيل والقال والتفسيرات المتعددة لتصرفاته وأقواله، فما بال الوضع بالنسبة لمعتقل تتوفر عنده كل الأسباب التي تؤثر عليه نفسيا ؟

من المهم ان يبحث المجتمع الاعتقالي عن أسباب الراحة النفسية للمعتقل، حقق المعتقلون في هذا المجال إنجازات كثيرة من خلال تحسين ظروف المعيشة، الا انه لم يتم اتخاذ سياسات مناسبة حتى الآن من اجل تخفيف حدة التوتر الناتجة عن ظاهرة العملاء، علما بان الإدارة نفسها تعمل وباستمرار على استغلال الوضع من اجل تكريس فكرة التشكيك والخوف من الاتهام، هذا وقد حصل مرارا ان تم التحقيق مع بعض المعتقلين الذين ظهرت في النهاية براءتهم، لكن البراءة بحد ذاتها لم تكن لتنهي الآلام النفسية التي يعاني منها المتهم، يكفي مجرد التحقيق لان يخلق أزمة نفسية لدى المعتقل، وقد جرت العادة ان يعلم المعتقلون بان فلانا يخضع للتحقيق لاسباب أوجبت ذلك، أي ان الرصد أفاد بقيام المعني بتصرفات تثير الشبهات والظنون.

فضلا عن ذلك، تجري عملية تحقيق في كثير من الأحيان تحت الضرب الشديد، فهناك متخصصون في عملية الضرب والتعذيب الجسدي، وهذا من شأنه ان يخلق اشمئزازا لدى العديد من المعتقلين الذين يقرفون من تعذيب الاحتلال للفلسطينيين،فكيف يمارس المعتقلون الفلسطينيون إجراءات قاسية ضد من يمكن ان يكونوا أبرياء ؟بالطبع تطورت عملية التحقيق مع الزمن أصبحت اكثر دقة واقل تعذيبا، الا أنها زالت تحدث ضغطا نفسيا بحاجة الى علاج، وهنا لا ندافع عن ضرورة إلغاء التحقيق وانما من الضروري تطويره بحيث يراعي ظروف الأبرياء وأوضاعهم النفسية.

تحاول إدارة المعتقل ان ترفع من حدة التأزم النفسي الناجم عن هذه القضية، فقد تبعث لمقابلة أحد المعتقلين قاصدة من ذلك إثارة تساؤلات لدى زملائه عن أسباب هذه المقابلة، وقد تكرر الإدارة طلب شخص معين بهدف قتله معنويا أمام زملائه، ونظرا لان الإدارة تتعمد طلب المتعاملين وغير المتعاملين فانه من الصعب على المعتقلين ان يقرروا من هو البريء ومن هو المتعامل فعلا، تحد أعمال الإدارة من قدرة المعتقلين على المناورة والتحليل الدقيق، لذا يجد المعتقلون أنفسهم في كثير من الاحيان مرغمين على إجراء تحقيق مع بعض الأشخاص الذين قد تكون تصرفاتهم موضع تساؤل، ومما يعقد الأمر ان الإدارة تحسن أحيانا لعملائها وتتعمد في نفس الوقت التساهل مع آخرين غير متعاملين، انها تحاول خلط الحابل بالنابل لتتويه الحقيقة.

الصراعات الداخلية

تعتبر الصراعات الداخلية في أي مجتمع عنصرا حاسما في استتباب الوضع النفسي للفرد ومواصلة جهوده الإبداعية في خدمة المجتمع، تبعد الصراعات الداخلية الفرد عن اهتماماته العامة والعمل من اجل المصلحة العامة وتلهيه في أمور تافهة لا تعود الا بالضرر على الناس جميعا، يبدأ الإنسان يتقولب في ظل الصراعات الداخلية ليتقبل القيل والقال ولينفر من مجموعات عديدة وليدخل في مشاحنات وخصامات داخلية تفتت المجتمع وتأتي على أعمال الأفراد المثمرة.

تؤدي الصراعات الداخلية الى تأزم في العلاقات الاجتماعية، ويبدأ الإنسان يشعر بعدم الارتياح في تعامله مع الآخرين، فإذا كان المجتمع مؤسسه،مثلا، تحول المؤسسة الى مقبرة للأصحاء نفسيا، انها مكان الخصام والإهانة والخوف والإحباط واليأس،انها مصدر القلق واصداع والإرهاب النفسي.

يعاني مجتمعنا العربي بصورة عامة من صراعات داخلية كثيرة بسبب تركيبة المجتمع التي رسخت عصبية قبلية وطائفية حزبية، لم يعتد مجتمعنا التعامل بين القبائل والطوائف اوالاحزاب بتسامح او باحترام متبادل او بعقل مفتوح، بل اعتاد على عناد في الخصام والعداء، تطور هذا الوضع مع الأيام نحو الأفضل، الا انه لم يرتق الى الدرجة الحضارية المطلوبة بعد.

حمل العديد من المعتقلين مجتمعهم معهم داخل المعتقل بعاداته الحسنة والسيئة، وقد تبلور مع بداية الاحتلال محورة بلدياته جعلت من المعتقل مجتمعات عديدة صغيرة، اصبح يميل المعتقلون من ذات المدينة او المنطقة نحو بعضهم البعض، تبلور مجتمع نابلسي واخر خليلي وهكذا، ولم يقتصر الوضع على الميل بل تطور الى حد التحيز والتعصب، فإذا اتهم أحد بالتعامل وقرر المسؤولون التحقيق معه، كان من الممكن ان يقف أبناء بلده او منطقته معه ضد إجراءات المسؤولين، أي حمل بعض المعتقلين أفكار التعصب الأعمى الذي كان من شأنه ان يؤثر على وحدة المجتمع الاعتقالي وتكاتفه، وان يؤثر بالتالي على معنويات أصحاب هذا ولزم ذاك، تكونت في بعض الغرف والأقسام بؤر تحاول ان تجيز الوضع لصالحها، بمعنى ان تكون في موقع قيادي يتلقى المعلومات ويصدر الأوامر، وكان من شأن كل شلة ان تعمل على قمع الشلة المنافسة وشل حركتها في المعتقل، وكان يصل الحقد بين الشلل الى حد الاتهام بالتعامل مع الإدارة، وقد أفاد محررون ان بعض الأشخاص تم التحقيق معهم بسبب عداوات شخصية، أي ان الشلل أدت الى عداوات حادة وصلت الى حد مؤسف من الجهالة.

وصل الألم ببعض المعتقلين الى حد تفضيلهم في داخل أنفسهم لتسليم أمورهم الى أعداء على ان تتسلمها شلل منافسة وذلك بسبب تخوفهم من العواقب المترتبة على استلام أصحاب الدرب المشترك، هذا الأمر يدعو الى الأسف، ونحن من هنا نأمل ان يعمل المعتقلون على محاربة الشللية التي أساءت للعمل الفلسطيني على كل مستوى وفي كل مكان، ان المسألة ليست سهلة خاصة انها تتعلق بأمر اجتماعي متميز في السلوك الفلسطيني، الا انها تستحق المحاولة الجادة.

ضمن إطار الشللية، تشكل أحيانا مسألة القيادة محور خصام وصد ورد، فكما هو الحال في كل مجتمع، هناك من يطمع في القيادة وهناك من ينافسه، تقود هذه المسألة الى جر معارضين ومؤيدين وبالتالي الى انقسامات وأزمات في العلاقات، ينعكس هذا بالتالي على استقرار المعتقل النفسي ومعنوياته وصلابة ثقته بنفسه.

من ناحية أخرى، شكلت الصراعات بين الفصائل أهم معالم الصراعات الداخلية بين المعتقلين، كانت تتأزم العلاقات بين الفصائل بشكل حاد جدا في بداية الاحتلال، فقد كان يصل التأزم الى حد الاقتتال الجسدي، والى حد تدخل إدارة المعتقل للفصل بين المتخاصمين، وهذا يصب ضمن التعصب الفصائلي الذي يبتعد عن التفهم العقلاني لوجهات نظر الآخرين، تطورت العلاقات بين الفصائل مع تطور الوعي وتعمق التجربة، فقد انتقلت هذه العلاقات من الصراع الجسدي الى الحوار والتفاهم المتبادل والاحترام، وتعتبر هذه العلاقات الان إحدى معالم رقي المعتقل الفلسطيني في تعامله مع معارضيه ومؤيديه.

حل تطور العلاقات بين الفصائل العديد من الاحباطات والأزمات النفسية التي كان يعاني منها المعتقل الفلسطيني، ساعد هذا التطور على إزالة مصدر حقيقي للتوتر النفسي والشعور بالخوف وعم الاطمئنان ، الا ان مشكلة واحدة يبدو انها بقيت تهدد العلاقات بين الفصائل، لا يقبل الفصيل الأصلي بردة أحد أعضائه ولا يتخلى الفصيل الجديد عن المتحول الجديد، تتأزم العلاقات وتعلن حالة الاستعداد لدى الفريقين.

حاولت الفصائل الحد من تكرار هذه المشكلة وذلك بحصر كل فصيل تنظيراته السياسية في مجتمعه الخاص وإلا يحاول التنظير على أعضاء الفصائل الأخرى بقصد تحويلهم، هذا حل غير سليم ومن شأنه ان يقيد انتقال حرية انتقال الأفكار ويكبل حرية الفرد في الاستماع الى مختلف وجهات النظر ويعتدي على حريته في الاقتناع، ويقلل هذا من قدرة كل فصيل على نشر أفكاره، يكمن الحل السليم في فتح المجال أمام الجميع للاستماع الى مختلف وجهات النظر وفي إعطاء الفرد الحرية في تكوين قناعاته والتعبير عنها، هذا يتيح لكل فصيل الحرية في نشر أفكار وللفرد حرية في تقبل الأفكار او رفضها.

ثم وان مسألة منع الفرد من الانتقال من فصيل الى آخر لا تمت الى الروح الثورية بصلة، الروح الثورية تتطلب وجود أعضاء تنظيم ملتزمين ومقتنعين بما يطرحه فصيلهم، وتتناقض مع إلزام فرد غير مقتنع بمجموعة البقاء ضمن هذه المجموعة، هذا فضلا عن ان حساسية الفصائل من عملية الانتقال يتم استغلالها من قبل العملاء الذين ينتقلون من فصيل الى آخر بهدف بث الصراعات والنزاعات بين الفصائل.

القضايا الشخصية

لكل فرد حياة خاصة واهتمامات تهمه هو دون المجتمع الأوسع، لا يختلف المعتقل عن غيره من الناس، إذ له مصالح خاصة وذكريات ومعاناة ذاتية وعلاقات على مستويات مختلفة، وعلى الرغم من ان المسائل الذاتية يمكن ان تمس مختلف جوانب الحياة، إلا أننا نحاول هنا المس ببعض الجوانب التي يمكن ان تعطي صورة عن الأوضاع النفسية التي يعيشها المعتقل، ولا ندعي هنا أننا سنكون منصفين في وصف رد فعل المعتقل وانفعالاته تجاه أموره الخاصة، ولكننا نحاول ان نترك لدى القارئ صورة قد يستفيد منها في تكوين تقديره للأمور وتقييمه لها.

الزيارة

ليس من السهل ان يقف معتقل أمام والديه او اخوته او زوجته او أولاده دون ان تكون هناك مصافحة او تعبير جسدي عن البهجة والسرور، يرغب المعتقل في عناق والده او والدته، ويحب ،كما يحب كل أب، ان يحتضن أطفاله ويلاطفهم ويرغب كذلك في قضاء فترات طويلة من الزمن معهم، الا ان المعتقل الفلسطيني لا يجد أمامه الا فرصة قصيرة جدا للالتقاء بذويه ومن وراء شبك لا يسمح الا بإخراج طرف من إصبع أحيانا، فالزيارة قصيرة ولا تتم الا بعد عناء من قبل المسؤولين.

تنبهت العديد من الدول الى الحاجات الإنسانية من هذا القبيل وسمحت للمساجين لديها بمقابلة عائلاتهم بشكل مفتوح ولمدة طويلة من الزمن، بل سمحت لهم بقضاء الأعياد في بيوتهم مع عائلاتهم، لكن الاحتلال الإسرائيلي لا يعترف بهذه الحاجات ولا يعطيها أي قيمة او انتباه، هذا ومن المتوقع ان تتوجه أنظار المعتقلين نحو هذه القضية وان يسعوا لتحقيق بعض الإنجازات التي من شأنها ان تخفف من حدة أشواقهم.

هذا ومن الممكن ان يكون المعتقل خاطبا او الا يكون قد مضى على زواجـــه فتـــرة طويلة قبل اعتقاله، تحت هذا الظرف، تبقى عواطف الإنسان جياشة وتؤثر على مدى تركيزه وعلى استقراره النفسي.

الذكريات

لكل إنسان حياته الخاصة وماضيه الخاص المفعم بمختلف النشاطات والأحاديث الحلوة المرة، طبع كل حدث أثره الخاص في نفس الإنسان بحيث أضفى جمالا على حيـــاة الحريـــة وعبر ديناميكية الحياة وتشعب أوجهها، يتذكر الإنسان الحياة مع الصحب وهم في عهد الشقاوة ،ويتذكر مغامراته ونجاحه وفشله، له ذكريات مع الجيران، مع زملاء المدرسة مـــع الجبـــال والوديان وربما مع الأغنام والعشب مع أيام الشتاء وجمال الربيع، مع ثمار الصـــيف وأوراق الخريف، كانت حياة زاخرة مليئة بفرح الشباب، ولكن بقي الشاب دون ان تبقى منافذ النشاط، اصبح داخل القفص الذي يهدف الى قتل الشباب فيه، الى هدر طاقاته وحيويته.

الآمال

لا يكاد يخلو إنسان من آمال وطموحات نحو المستقبل، يبقـــى الفـــرد فـــي مخيلتـــه خطوطا لما يجب ان يفعل في المستقبل ولما يجب ان تكون مهنته، هناك من يريـــد ان ينهـــي دراسته الثانوية وهناك من يريد الالتحاق بالجامعة وإكمال دراسته العليا، وهناك من يريـــد ان يكون تاجرا او مزارعا او فنيا، وهناك من يأمل في بناء بيت او شراء سيارة، وهنـــاك مـــن يرغب في الزواج وتكوين عائلة، الخ، هذه آمال وتخطيطات تتوقف مع الاعتقال والقضـــبان، واذا كان حكم السجن طويلا فإنها تتحول الى مجرد أمور للتلهي، بـــالطبع لا يفقـــد الإنســـان الأمل، الا ان المعتقل يرمي بظله الثقيل على كل المخططات والآمال.

كيف يشعر فرد دخل المعتقل ابن السابعة عشرة وحكم عليه بالسجن عشرين عامـــا ؟ وسيخرج وعمره سبع وثلاثين سنة : بعض شعره ابيض وربما رأسه اصـــلع، تجاعيـــد فـــي وجهه، يعاني من بعض الأمراض، أبناء جيله متزوجون وعندهم أطفال، بعضهم بنـــى بيتـــا وكون لنفسه مستقبلا ماديا وحقق استقرار في حياته، سيخرج بعد عشرين سنة ليبدأ من نقطـــة الصفر.

لا نقول هنا هذا الكلام لتثبيط الهمم، فالمعتقل ضحى من اجل وطنه ويبقى ارفع شـــأنا منكل المتقاعسين وعنوانا ساطعا لمعركة الأمة من اجل الحرية والاستقلال، فمن اجل الـــوطن

تهون كل الأمور وتقدم التضحيات، لكن القصد هنا هو لمس تلك الأمور التي يفكر بها المعتقل او تخطر على باله ومن ثم تترك أثرا في نفسه، يبقى المعتقل بشر يشارك بني البشر الآخرين في مشاعر وأحاسيس وعواطف وتطلعات وآمال، وبالتالي لا يمكن فصله عن التفكير بما كان يجري خارج المعتقل او بما يمكن ان يجري.

الجنس

هذا أحد المواضيع المحرم التحدث بها في العالم العربي، الا انه يبقى موضوعا جديا يدخل ضمن الاحتياجات الإنسانية، يستطيع المعتقل تلبية احتياجاته المباشرة الى حد ما الا من مسألة الجنس، فلا متنفس له في هذا المجال، وهذا أمر ثقيل على شخص يقضي سنين طويلــة فــي معتقل وهو في عنفوان الشباب.

لا يبوح المعتقل بكثير من الصراحة حول هذا الموضوع الا ان الأزمة الجنسية تقــود أحيانا الى تصرفات شاذة داخل المعتقل، وقد خلقت هذه التصــرفات وسواســا لــدى بعــض المعتقلين وأتاحت للمخابرات مجالا للنفاذ وإحداث البلبلة داخل المعتقل، وقد ضاعف من هــذا الوضع التصاق فرشات المعتقلين "البرش" بعضها ببعض، يؤدي الالتصاق الى لمــس معتقــل لآخر او ربما يد او رجل على جسد، إذ يتحرك كل فرد خلال النوم وتصبح الملامسة الجسدية ممكنة.

يفسر بعض ضعاف النفوس الملامسة الجسدية أثناء النوم على انها متعمــدة ويقصــد منها شرا، واستغل العملاء هذه المسألة بطريقة حقيرة، فإذا أرادت المخابرات خلــق مشــكلة لاحد المعتقلين أوعزت لاحد عملائها والذي ينام الى جانبه بخلق ذعر أثناء الليل متهما جــاره بمحاولة ممارسة الجنس معه، يقفز العميل من فراشه يصيح ويستنجد، يصحو المعتقلون ليبــدأ التحقيق مع المتهم، وبالطبع تعتبر هذه المسألة ضمن الأطر اللاأخلاقية التي تؤثر على المتهم بشكل واسع.

أهان العملاء العديد من الشرفاء داخل المعتقل وعملوا على إسقاطهم بهذه الطريقــة، هذا فضلا عن الأمر لا يخلو من شذوذ حقيقي، فهناك من بين المعتقلات مــن يخــرج عــن النموذج الأخلاقي المتبع داخل المعتقل ويفتح نافذة للمخابرات والعملاء.

هذه مشكلة لا تبدو قابلة للحل، حلت بعض دول العالم المشكلة جزئيا وذلــك بإتاحــة الفرصة أمام السجين للذهاب الى بيته لساعات محدودة او أيام قليلة في العام، وحاولت أيضــا حل المشكلة عن طريق أدوية مثبطة للنشاط الجنسي تمزج مع الشاي، هذه طرقة متبعة فــي

المعتقلات الإسرائيلية، الا انها لا تلغي الشهوة الجنسية لدى الفرد، أي ان المشكلة تبقـــى دون علاج حقيقي ودائم.

الخلاصة

لم يستنفذ هذا الفصل كل الضغوط النفسية المترتبة على الاعتقال ولـــم يســـتنفذ كـــل مصادرها، فالمصادر كثيرة جدا يصعب حصرها، وهي تبدو كذلك عند النظر في كـــل حالـــة فردية على حدة، فكل معتقل يعاني من مشاكل قد ينفرد بها عن غيره من المعتقلين سواء كان ذلك على مستوى المعتقل او على مستوى اهتماماته الخارجية، فالوضع الشخصـــي للمعتقـــل داخل المعتقل له خصوصيته من حيث ارتباطات المعتقل وعلاقاتـــه الشخصـــية والتنظيميـــة والعامة، ووضع المعتقل بالنسبة لديه سواء كانوا والدين او اخوة او أخوات او زوجة او أولاد فريد من نوعه أيضا، وتبقى طبيعة المعاناة بالحياة العائلية ذات خصوصية فريدة لا يعاني منها حقا الا المعتقل الفرد نفسه.

ومصادر الضغوط النفسية تتنوع أيضا حسب إبداعات إدارة المعتقلات وأساليبها فـــي خلق توترات لدى المعتقلين، فهذه الإدارة معنية دائما بتضييق الحياة على المعتقلين في ســـبيل قمعهم نفسيا وتجريدهم ذهنيا وعاطفيا، أنها تعمل على تحويل المعتقل الى حطام لا يقوى على المساهمة البناءة في خدمة مجتمعه ووطنه، وفي سبيل ذلك تلجأ دائم الى ابتكارات جديدة مـــن شأنها ان تخلق الأوهام والظنون والارتباك والإحباط، إشاعات الإدارة كثيرة وعمليات قمعهـــا متنوعة وكلها تصب في ضرب نفسية المعتقل.

لكن من المهم دائما ان يكافح المعتقلون الحرب ضدهم بتكاتف وتعاضد وشعور صادق بوحدة الهدف والمصير، وإذا لم يفعلوا ذلك، فان تفرقهم ومشاحناتهم ستبقى عاملا أساسيا فـــي هدم نفسية الفلسطيني وتحويلها الى مجرد أداة مستقبلية لاتقوى على التفكير والإبداع والأخـــذ بزمام المبادرة.